

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري - قسنطينة
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ والآثار
رقم التسجيل:
الرقم التسلسلي:

التجارة عند الفينيقيين

1200 ق م - 814 ق م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم
تخصص: تاريخ الحضارات القديمة

إشراف الأستاذ الدكتور:
الطاهر ذراع

إعداد الطالب:
نور الدين راهم

أعضاء لجنة المناقشة:

| الاسم واللقب | الدرجة | الجامعة الأصلية | |
|----------------------|-------------------|---|--------|
| أ.د محمد الصغير غانم | أ/ التعليم العالي | منتوري قسنطينة | رئيساً |
| أ.د الطاهر ذراع | أ/ التعليم العالي | الجامعة الإفريقية - العقيد أحمد دراية - أدرار | |
| د. محمد العربي عقون | أ/ محاضر | جامعة منتوري قسنطينة | |
| د يوسف عيبش | أ/ محاضر | جامعة منتوري قسنطينة | |

نوقشت يوم: 2010/01/31 الموافق لـ: 15 صفر 1431

السنة الجامعية: 1430هـ/1431هـ - 2009م/2010م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إهداء

إلى من قال فيهما الرحمن: وبوالدين إحسانا...

إلى أمي وأبي عرفانا لهما، وأدعو الله أن يحفظهما
ويرعاهما، ويطيل في عمرهما.

إلى التي صبرت معي وظلت تنتظر خروج هذا العمل إلى
النور..... زوجتي.

إلى أبنائي.....
إيمان، صلاح الدين، محمد رياض.

أهدي هذا العمل المتواضع
نور الدين

شكر وعرفان

إلى الأستاذ المشرف الدكتور الطاهر ذراع بجامعة العقيد أحمد
دراية بأدرار.

تابعنا بإخلاص.... وأجاد النصح ووقف على مراحل العمل، موجهها
ومقوما، ناقدا، حاضرا.
أدامه الله ونفعنا بعلمه.

ولا يفوتني أن أرفع شكري واحترامي للأساتذة الذين قيموا هذا
العمل على نصائحهم العلمية التي كانت لي منارا في إخراجه بشكله
ومضمونه العلمي فلهم مني جزيل الشكر والعرفان وثن الله جهدهم في
ميزان حسناتهم.

كما أوجه شكري وامتناني لجميع من ساهم في تقديم يد العون
والمساعدة أثناء إنجاز العمل من الأساتذة الأفاضل في مرحلة ما بعد
التدرج، وعمال المكتبات ودور الأرشيف والمتاحف، خاصة المكتبة
الوطنية بالحامة - الجزائر- ومكتبة المعهد القومي للآثار بتونس،
والمكتبة العمومية بمدينة سوسة التونسية.

وإلى كل من قدم لنا يد المساعدة علمية أو معنوية من قريب أو
بعيد، وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل محمد حسن فنطر وابنه
منير فنطر.

فلهم مني جزيل الشكر والعرفان

قائمة المختصرات:

الحوليات:

R.AF : Revue Africaine

A.G.I.C.M.O : Acte du congres international d'études des cultures de la méditerranée occidentale.

الكتب:

H.A.A.N : Histoire ancienne de l'Afrique du nord.

تقنية التهميش:

أ- العربية

ج: جزء

: المجلد

ب ط: بدون طبعة

ب ت: بدون تاريخ

ب- بالفرنسية

S.D : Sans Date

Op.cit : Oper-citato (المرجع السابق)

Ibid : Ibiiden (المكان نفسه)

اشتهرت منطقة جنوب غرب آسيا المحصورة بين النيل وبلاد الرافدين تاريخيا، بأنها منطقة النقاء الحضارات القديمة منها الحضارة الفينيقية التي تعد من حضارات الشرق القديم الكبرى، بل واحدة من الحضارات العالمية التي أسهمت في بناء التراث الإنساني نجد في دراستها نموذجا مهما للنشاط الإنساني، فعندما نتعرف على الفينيقيين نكتشف الدور الرائد الذي لعبوه في تاريخ البشر، فقد فتحوا أفقا لم يعرفها أي شعب غيرهم من قبل سواء في الاقتصاد أم الانتشار أو في العلم، تعاطوا الأعمال التي عرفتها شعوب عصره وأضافوا إليها كثيرا فكانوا أول شعب في التاريخ يرتفع بعلاقاته إلى المجال العالمي الواسع، وتأثر الفينيقيون بطبيعة موقع بلادهم، فافادوا كثيرا في النقل التجاري مما جعل هذه المنطقة موضوع بحث ودراسة تاريخية أكاديمية متخصصة، قد تكشف عن عناصر أساسية تاهلها إلى مستوى الحضارات الإنسانية العريقة المتطورة في التاريخ القديم

ويتعلق موضوع الرسالة بوحدة من أهم الحضارات العريقة، التي عرفها حوض البحر المتوسط قديما ألا وهي " الحضارة الفينيقية" التي انعمت على البشرية باختراع النظام الأبجدي، ونشره من طرف التجار الفينيقيين في العالم القديم الذي وصلت إليه قوافلهم وسفنهم التجارية.

اهمية موضوع المذكرة: تكمن اهمية هذا البحث في انه يتناول الحضارة الفينيقية من الجانب الاقتصادي الا وهم التجارة التي نالت شهرة واسعة في ربوع العالم القديم، وعليه فإن محاولة إلقاء الضوء على مسيرة هذا الشعب امرا مهما.

اقترن اسم الفينيقيين بنشاطات اقتصادية وفكرية متعددة، فقد اقترن بالحرف خير وسيلة لحفظ الفكر، ومع البحار الجريء والتاجر الناجح، وورد في تاريخ الصناعة والزراعة وكان الفينيقيون اول امة بحرية في التاريخ، اخذوا يجوبون البحار ويؤسسون الطرق البحرية بين الشرق والغرب وانشاوا المراكز التجارية ونشروا حضاراتهم وحضارات غيرهم بين مختلف الجهات، فتاريخ الفينيقيين لا يتناول الاحداث العسكرية ولا تاريخ ملوك وقادة كان لهم وجودا بارزا، بل يتناول شعبا مسالما كان له

موقعا استراتيجيا مميزا على شاطئ المتوسط، البحر الذي نشأت حوله أعرق الحضارات وأعظمها، تلك الحضارات التي شكلت بداية حضارة عالمنا اليوم.

ولا شك أن تسليط أضواء البحث عن مختلف جوانب تاريخ الفينيقيين خاصة الجانب الاقتصادي، سيكشف عن حقائق تاريخية جديدة، تتور الباحثين بعناصر جديدة في محاولاتهم لفهم الحضارة الفينيقية.

دوافع اختيار الموضوع: دفعني إلى دراسة موضوع التجارة عند الفينيقيين مع شعوب البحر المتوسط، الرغبة في إبراز العلاقات التي ربطت هذه الشعوب والتي تعدت الجانب الاقتصادي، وشملت الجوانب الحضارية والسياسية والثقافية لدى سكان فينيقا، وفقا لما سبق أقول أن سبب اختيار هذا الموضوع تمثل في عدة دوافع منها على وجه الخصوص:

1- الدافع الذاتي والنفسي الذي كان يرادني أثناء دراستي في سنوات الليسانس، وقد زاد اهتمامي لهذا الموضوع " الفينيقيون" خلال السنوات الأولى من الدراسات العليا 'ماجستير' .

2- إعجابي بالحضارة الفينيقية والفينيقيين، الذين جابوا العالم القديم شرقا وغربا، وكانوا بسطاء في مجال التجارة، خاصة البحرية واحتكرها في فترات تفوقهم.

3- علاقات الفينيقيين شعوب المستوطنات التي اقاموها والتي تعاملوا في حوض البحر المتوسط، هذا في المرحلة الأولى، حيث كان اهتمامهم منصبا على جمع المال والمواد الأولية وتوفير البضاعة، التي كانت أقل منهم تطورا والحصول على المواد الأولية.

4- عزوف الباحثين من خريجي جامعاتنا في الخوض في مواضيع تتعلق بالشرق القديم، الذي يعتبر مصدر الحضارة الإنسانية في العصر القديم.

إشكاليه الموضوع: إن اختيار الموضوع والرغبة في تناوله شيء، والكتابة الأكاديمية الموثقة شيء آخر، وهو ما زاد في أهمية هذه الدراسة فبحثنا هذا الموسوم بعنوان

'التجارة عند الفينيقيين 1200-814 ق م' هو موضوع اقتصادي يختص بميدان التجارة، يمكن أن نعرف منه تتبع دور الفينيقيين التجاري في حوض المتوسط، حيث لا يمكننا المرور على ظاهرة التاجر التي يعرف بها الفينيقي. لدى شعوب العالم القديم، والتي أثبتتها المصادر والمراجع التاريخية، وتمثل الإشكالية النقطة المحورية 'التجارة الفينيقية ودورها الحضاري في العالم القديم ضمن العلاقات بين الشعوب ذات الاحتكاك بالفينيقيين'، وللتوضيح فإنني أضع مجموعة من التساؤلات قصد الإجابة عن هذه الإشكالية:

- 1- هل كانت العوامل الطبيعية والسياسية والنفسية هي التي جعلت الإنسان الفينيقي مرتبطا بظاهرتي الترحال والتجارة؟
- 2- ما هي العوامل التي جعلت البحر المتوسط بحيرة خاضعة للتأثيرات الفينيقي والمتنوعة لفترة زمنية زادت عن أربعة قرون؟
- 3- هل هناك اسباب اهلتهم ان يتفوقوا على بقية الشعوب في الميدان التجاري؟
- 4- هل كان لهم دور في نشر حضارات شعوب البحر المتوسط في مختلف مناطق العالم القديم التي نزلوا واحتكوا بشعوبها؟
- 5- ما هو دور المستوطنات التي انشاها الفينيقيون على ضفاف حوض البحر المتوسط في انتعاش تجارتهم وازدهارها؟
- 6- هل كان للنشاط الاقتصادي الفينيقي :- الزراعة والصناعة- دور في ازدهار التجارة؟

كل هذه التساؤلات احاول إيجاد جوابا لها من خلال هذا البحث بما توفره المصادر والمراجع ذات علاقة بموضوع المذكرة.

المناهج المعتمدة : اعتمدت لمعالجة موضوع المذكرة على المنهج التاريخي، حيث تطرقت لمنهج الوصفي لعرض المادة الخبرية، ثم المنهج التحليلي للشرح والتحليل، والمنهج المقارن عندما كنت اعرض مقارنة التجار الفينيقيين بغيرهم من الشعوب التي

عاصرتهم في مجال التجارة، وركوب البحر، وأخيرا فقد تناولت المنهج الاستنتاجي في استخلاص النتائج من الدراسات التي عرضتها وحللتها في قضايا هذه المذكرة.

المجال الزمني للبحث: حددت مجالا زمنيا لهذا البحث، يمتد من ألف ومائتين ق.م (1200 ق.م) إلى ثمانمائة وأربع عشر ق.م (814 ق.م)، فإذا كان تاريخ 1200 ق.م هو تاريخ بروز الفينيقيين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط بعد زوال النفوذ 'الايجي' (Egeens) بعدما تعرضوا لغزوات شعوب البحر، فوجد الفينيقيون الفرصة مواتية في الحوض الشرقي فكانوا الوحيدة الذين نشطوا فيه دون منافسة، أما تاريخ 814 ق.م فإنه يمثل تأسيس مدينة 'قرطاجة' (Carthage) على الساحل الإفريقي، والتي أصبحت ذات أهمية كبيرة مقارنة بالمدن الفينيقية المترامية الأطراف في حوضي المتوسط الشرقي والغربي وقد أخذت المشعل من مدينة صور (TYR) وأصبحت الممثل الرئيس للإمبراطورية الفينيقية.

أهم المصادر والمراجع: اعتمدت على بيبليوغرافيا متنوعة تمثلت في مصادر باللغة الأجنبية وأغلبها لمؤرخين إغريق ورومان، ومراجع باللغة العربية والأجنبية لكتاب وباحثين في التاريخ القديم بالإضافة إلى مقالات صدرت في دوريات متخصصة تطرقت إلى هذا الموضوع.

ومن أهم المصادر المعتمدة 'هيرودوت' (Herodote) 'التاريخ' (Histoire) الكتاب الأول والرابع والخامس والسابع والتي تطرقت إلى أصل وتسمية الفينيقيين ، ووصفت طريقة التبادل التجاري 'المقايضة' التي كان يقوم بها الفينيقيون مع شعوب حوض البحر المتوسط مثلما ورد فيما يعرف بالمساومة الخرساء بين الفينيقيين وسكان المغرب القديم و' ديودور الصقلي' (Diodoros) " المكتبة التاريخية" الكتاب الخامس، الذي أشار إلى مراحل الاستيطان والاستغلال في المدن الفينيقية في حوض البحر المتوسط التي كانت عبارة عن وكالات تجارية مؤقتة تحولت إلى مستوطنات دائمة، و' بلين الكبير' (Pline L 'Ancien) الكتاب التاسع عشر، الذي تطرق فيه إلى تأسيس

المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للمتوسط مثل "قادس" (Gades) و"أوتিকা" (Utique) وغيرها من المستوطنات الأخرى.

ومن المراجع التي اعتمدت عليها: مجموعة "قزال" (Gsell) المتكونة من ثمانية أجزاء والموسومة: "التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية" (H.A.A.N) الجزء الأول الذي يتناول تاريخ استيطان الفينيقيين في حوض المتوسط وعلاقاتهم بالإغريق إضافةً إلى مؤلف "ج. كونتو" (G.Contenau) "الحضارة الفينيقية" (La Civilisation Phénicienne) الذي تناول دراسة أصل الفينيقيين ونشاطاتهم الاقتصادية وبعض القضايا الأخرى ذات الصلة بموضوع البحث ومجموعة أخرى من المراجع لمختصين في التاريخ القديم مثل: "سباتينو موسكاتي" (Sabatino Moscati) "الحضارة الفينيقية" (La Civilisation Phénicienne)، و"الحضارات السامية القديمة" (Les Civilisations Sémitiques Anciennes) و"مدخل للحضارة الفينيقية والبنونية" (Introduction sur la civilisation Phénicienne et Punique) و"العالم الفينيقي" (L'épopée des Phéniciens)، والذي تطرق فيه للحضارة الفينيقية في جميع الميادين خاصة الجانب الاقتصادي، ورغم اهتمامي بالمصادر والمراجع الأجنبية بدرجة كبيرة، فقد اعتمدت كذلك على مراجع لباحثين ومؤرخين عرب في التاريخ القديم، أهمها: "معن عرب": "أصور حاضرة فينيقيا"، وفليب حتى: "تاريخ سورية ولبنان وفلسطين"، و"محمد أبو المحاسن عصفور": "تاريخ الشرق الأدنى القديم"، و"محمد بيومي مهران": "المدن الفينيقية - تاريخ لبنان القديم"، و"م.ح. فنطر" (Fantar) "الفينيقيون بناءً المتوسط".

بالإضافة إلى اعتمادي على عدة مراجع لباحثين جزائريين في التاريخ القديم أهمها: "محمد الهادي حارش": "التاريخ المغربي القديم السياسي الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي"، و"أعمال الأستاذ" محمد الصغير غانم "المتتمثلة في المقالات والكتب التي تناولت موضوع الفينيقيين.

الصعوبات: من بين الصعوبات التي اعترضتني خلال إنجازي لهذا البحث:

-
- 1- المادة الخبرية مما يجعل البحث مشوقا ومتعبا.
 - 2- قلة المصادر وندرته وإن وجدت فمعظمها باللغة الأجنبية.
 - 3- قصر المدة الزمنية المخصصة للبحث والمحددة بسنة واحدة حسب النظام الجديد.
 - 4- العراقيل التي واجهتنا في العديد من المكتبات التي مازالت تعمل بالطرق التقليدية.

الخطوة: وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها اعتمدت في هذه المقدمة على خطة تضمنت مدخل وتناولت فيه التعريف بالبيئة الفينيقية من حيث الموقع والتضاريس والمناخ، وهذا انطلاقا من أن دراسة التاريخ لا تتم إلا بمعرفة الجغرافيا وتطرقت في الإطار التاريخي إلى الفينيقيين من حيث التسمية الأصلية والمهنية، بمختلف معانيها والتي أشار إليها المؤرخون الإغريق والرومان القدامى، بالإضافة إلى أصل الفينيقيين والمناطق التي نزحوا منها قبل الاستقرار على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، كما أورده المؤرخ "هيرودوت" ه السابع.

وعالجت في الفصل الأول المظهر الاقتصادي للمجتمع الفينيقي، وقد قسمته إلى ثلاث مباحث، تناولت في المبحثين الأولين الزراعة والصناعة ودورهما المكمل للجانب التجاري، وتطرقت فيهما إلى وسائل وطرق الإنتاج والمحاصيل الزراعية والمنتجات الصناعية من حيث المميزات والخصائص لكل منهما.

أما المبحث الثالث فخصصته للملاحة التجارية ووسائلها والطرق البحرية التي سلكها الفينيقيون في حوض المتوسط والمحيط الأطلسي والرحلات الفينيقية ونتائجها.

وتناولت في الفصل الثاني التجارة الفينيقية، وقسمته إلى مبحثين، حيث خصصت الأول لدراسة الدوافع المتعددة التي أدت إلى خروج الفينيقيين إلى حوض البحر المتوسط، أما المبحث الثاني فتطرقت فيه إلى المبادلات التجارية المتنوعة مع

شعوب البحر المتوسط والتي استمرت قرونا وأنبسطت إلى آفاق المعمورة حينئذ بعد رحلات طويلة وشاقة مستغلين حنكتهم ومهارتهم في الميدان التجاري.

ودرست في الفصل الثالث والأخير دور التجارة في تأسيس الحواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط، وقد قسمته إلى أربع مباحث خصصت الأول للحديث عن طبيعة المحطات والمراكز التجارية الفينيقية، من خلال شروط اختيارهم لها وكيفية تحويلها فيما بعد إلى مستوطنات غطت معظم سواحل وجزر البحر المتوسط.

ثم تناولت في المبحث الثاني مراحل التوسع الفينيقي في البحر المتوسط، فتمثلت المرحلة الأولى، وهي الاستكشاف والاستطلاع لمعرفة طبيعة سواحل البحر المتوسط قصد اختيار أماكن صالحة لبناء المحطات التجارية، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة مكملتها الأولى تحولت فيها المراكز التجارية المؤقتة إلى مستوطنات دائمة.

أما المبحث الثالث فخصصته للمستوطنات الفينيقية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط في كل من "قبرص" (Chypre)، و"رودس" (Rhodes) كمرحلة أولى للتوسع الفينيقي.

وفي المبحث الرابع تناولت المستوطنات الفينيقية في غربي المتوسط ومن أهمها مستوطنات: "مالطة" (Malte) " " (Sicile) "سردينيا" (Sardaigne) قادس" (Gados) "أوتيكا" (Utique) "ليكسوس" (Lixus) "قرطاجة" (Carthage) حيث ساعدت هذه المستوطنات الفينيقيين على السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط وسهلت لهم فيما بعد تأسيس المستوطنات الأخرى على سواحل أوروبا وشبه جزيرة إيبيريا وبلاد المغرب القديم وارفقت البحث مجموعة من الخرائط التوضيحية حول العديد من قضاياها، أولها خريطة فينيقيا السياسية، إضافة إلى خرائط الطرق التجارية الفينيقية في حوض البحر المتوسط وخارجه، وكذا الخرائط التي تبين المراكز التجارية والمستوطنات، إضافة إلى بعض الصور والأشكال والملاحق التي تعتبر مصدرا في غاية الأهمية خدمة للموضوع، وخلصت في الأخير إلى نتائج البحث التي رتبته في نتائج الموضوع وفي الأخير مجموعة من الفهارس والبيبليوغرافيا.

وفي الختام أشكر الله على توفيقى لإخراج هذا البحث في صورته العلمية التي
هو عليها الآن، مع العلم أنني بذلت قصارى جهدي لتقديمه في الشكل الذي هو عليه
بين أيدي أعضاء لجنة المناقشة الموقرة فإن وفقت فبعون الله وتوفيقه، وإن قصرت
فمن نفسي وحسبي أنني حاولت خوض غمار البحث العلمي بمواصفاته الأكاديمية.

مدخل: البيئة الفيزيائية

المبحث الأول: التعريف بفيزيائية

المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن تسمية وأصول
الفيزيائي

البيئة الفينيقية _____ :

تناولت في هذا المدخل البيئة الفينيقية من حيث الموقع والتضاريس والمناخ والنبات، وكيف أضفت هذه العوامل على المنطقة أهمية بالغة في تاريخ الحضارات، ودرست في بيئات الفينيقيين المتعددة، ذات المعاني المختلفة والتي أطلقتها عليهم مختلف الشعوب المجاورة لهم وأسرت إلى أصل الفينيقيين والمناطق التي نزحوا منها، وتطرق في هذا الشأن إلى الآراء المختلفة والمتوافقة التي أوردها المؤرخون القدامى والمحدثون حول أصول الفينيقيين.

المبحث الأول: التعريف بفينيقيًا :

للبيئة الفينيقية الطبيعية والبشرية دور هام في بروز الفينيقيين في هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم القديم، حيث تبوءوا الصدارة في الميدان الاقتصادي والحضاري ، وأصبحت لهم شهرة عالمية امتدت على مدار عشرات القرون.

تعد " (1) واحدة من أصغر دويلات العالم القديم (2)، والحقيقة أن الحيز الذي كان يطلق عليه " في التاريخ القديم يختلف من وقت لآخر، إلا أن الباحثين المتخصصين في تاريخ المنطقة يرونه يشمل منطقة الساحل السوري اللبناني وشمال فلسطين (3)، و فينيقيا تشغل من الناحية الجغرافية (4) شريطا ساحليا ضيقا، يمتد من جبل الاقرع (كاسيوس) (5) شمالا والذي يبلغ ارتفاعه 1667م إلى جبل الكرمل جنوبا، ويقارب طوله 322 كلم، أما عرضه يقدر بحوالي 56 كلم (6).

(1) فينيقيا هي تسمية كانت تطلق في القديم على منطقة جغرافية تطابق تقريبا الساحل السوري ولبنان وفلسطين، وكانت تضم مجموعة من المدن من أهمها انطلاقا من الجنوب نحو الشمال: صور، صيدا، جبيل، ارادوس. للمزيد

من المعلومات انظر: Madeleine Hours, Median, Cartage, PUF, Paris, 1964, P25.

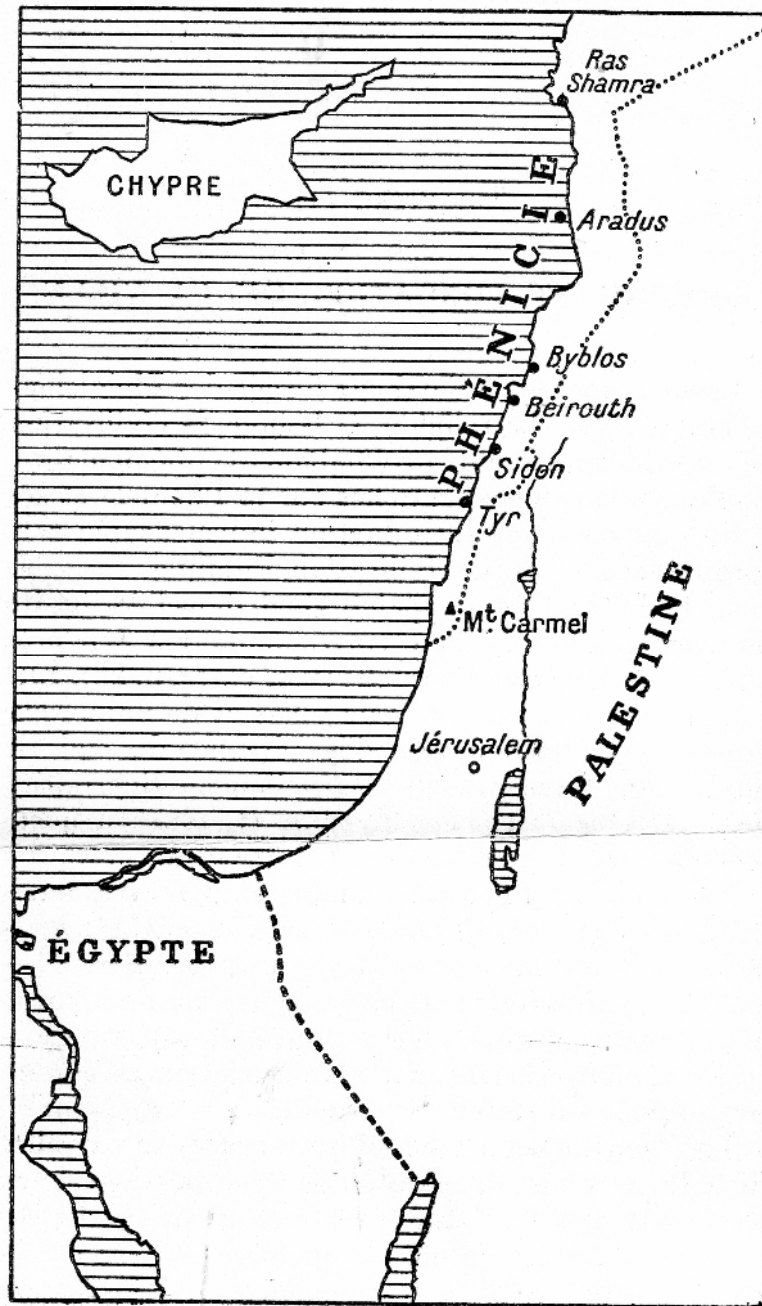
(2) ميخائيل إبراهيم نجيب: مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعارف، بيروت 1966، ص 48.

(3) عبد الحفيظ الميار الحضارة الفينيقية في ليبيا، ط1، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، 2001، ص 99.

(4) انظر: شكل رقم 1، ص 3.

(5) عرف هذا الجبل سابقا باسم سافون () وكاسيوس () والاقرع (بالعربية). نظرا لخلو قمته من الاشجار.

(6) ميخائيل إبراهيم نجيب: المرجع السابق، ص 48.



شكل رقم 1 : خريطة فينقيا

Madeleine- Hours Median, Cartage, P.U.F, 1964 , p26

البينة الفينيقية _____ :

والدارس لتاريخ فينيقيا من الناحية البيئية قد يلاحظ أن الشريط الساحلي مقسما بالطول إلى عدة أقسام، تفصلها عن بعضها البعض نتوءات جبلية تمتد من جبال لبنان وتقترب كثيرا من البحر بانحدارات عمودية، مما شكل حواجز طبيعية تفصل بين أجزائه المختلفة⁽¹⁾ وهذا ما جعل المواصلات بين المدن الساحلية آيسر وأسهل عن طريق البحر⁽²⁾، ونتج عن هذه الظاهرة الطبيعية أمران: أحدهما ضيق المساحة الزراعية، والآخر يتمثل في صعوبة النقل البحري بين مدنه، وهذا أمر عرقل حركة الاتصال، خاصة وأن المواصلات هي شريان الحياة الاقتصادية.

السلاسل الجبلية في فينيقيا، امتداداً إلى 'النصيرية والأمانوس' وتبدأ من جنوب النهر الكبير وتنتهي عند الوادي، الذي حفره نهر " القاسمية " ⁽³⁾ وإلى الجنوب من جبال " النصيرية " تمتد جبال لبنان الغربية والتي يتشكل سطحها من صخور كلسية رملية⁽⁴⁾، وقد ذكر الجغرافيون أنها تعود إلى الزمن الجيولوجي الثالث عندما كان سطح فينيقيا مغطى بالمياه، ونتيجة للتغيرات الطبيعية التي عرفتتها الكرة الأرضية على مر العصور الجيولوجية انحصرت المياه وتشكلت السلسلتين الجبليتين الساحلية والداخلية لفينيقياً فالجبال الساحلية تمتد على مسافة 100 كلم، يفوق ارتفاع بعض قممها 3000م، والمسافة بين الجبال والبحر تتراوح ما بين 10 و 44 كلم، تتخللها رعان⁽⁵⁾ صخرية تتغلغل إلى الداخل في مياه البحر⁽⁶⁾، فهي تمثل حاجزا طبيعيا يصعب المرور عبره،

(1) حلمي محروس: الشرق العربي القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1977، ص 149.

(2) احمد صفر: مدن الغرب العربي في التاريخ، ج1، دار النشر بوسلامة، تونس 1959، ص 78.

(3) Conteneau (G). La civilisation phénicienne, Payot, Paris 1926, P 30.

(4) محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، دار الهدى، عين المليلة، 2003، ص 14.

(5) ج، رعن إيفتح الراء وتسكين العين، وهو ترجمه عربية لكلمة (Promontoire)، وقد عرّف المورد: الرائد. الرعن بانه راس الجبل الخارجة منه والداخلية في البحر. للمزيد من المعلومات انظر: جبران مسعود: الرائد، معجم لغوي عصري، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 2001، ص 625.

(6) سباتينو موسكاتي: الحضارة الفينيقية، ط1، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1988، ص 22.

البيئة الفينيقية _____ :

وإلى الشرق توجد سلسلة جبلية داخلية موازية للسلسلة الساحلية والتي يقدر ارتفاع بعض قممها بحوالي 2860م مثل قمة 'الهرمن الكبير' (le grand hermon)، أما السهل الذي ينحصر بين السلسلتين الجبليتين والذي يبلغ طوله 112 كلم فإنه يتميز بالتربة المتنوعة الخصبة ويعرف اليوم بسهل البقاع⁽¹⁾ (Bekaa) ، وإلى الغرب من الساحل الفينيقي يوجد البحر المتوسط الذي جلب أنظار الفينيقيين، وكان حلقة اتصال بينهم وبين الشعوب المستقرة على شواطئه.

معظم أنهار فينقيا فصلية باستثناء نهر 'أورنتي' (Oronte) (العاصي) و'ليونتناس' (Liontes) (الليطاني)، اللذين ينبعان من الجبال الداخلية، بالإضافة إلى نهر 'ليكوس' (Lycos) (الذئب) ونهر 'الودونيس' بالقرب من " (2) (Byblos) الذي كان يجسد أسطوره روح المياه والنبات⁽³⁾. والواقع أن النطاق الجغرافي لفينيقيا⁽⁴⁾ يمكن حصره في المنطقة التي شملها معنى كلمة " والتي يحدها شمالا وشرقا سورية، وغربا البحر المتوسط وجنوبا فلسطين.

كان الشريط الساحلي الضيق القابل للزراعة بين ساحل البحر المتوسط وبين جب لبنان هو من سكنه أولا اقوام سمّو بالفينيقيين⁽⁵⁾ يقع في المنطقة المعتدلة الدافئة بين درجتي عرض 33° و 38°⁽⁶⁾ وبسبب هـ ذا الموقع الفلكي بالنسبة لدوائر العرض، يبـ دا فصل الربيع في شهر مارس حيث تقل الأمطار وتزداد الحرارة

(1) Somrest-Frey , Le grand livre de l'histoire du monde, EDIT. deux coq d'or, Paris 1986,p 68.

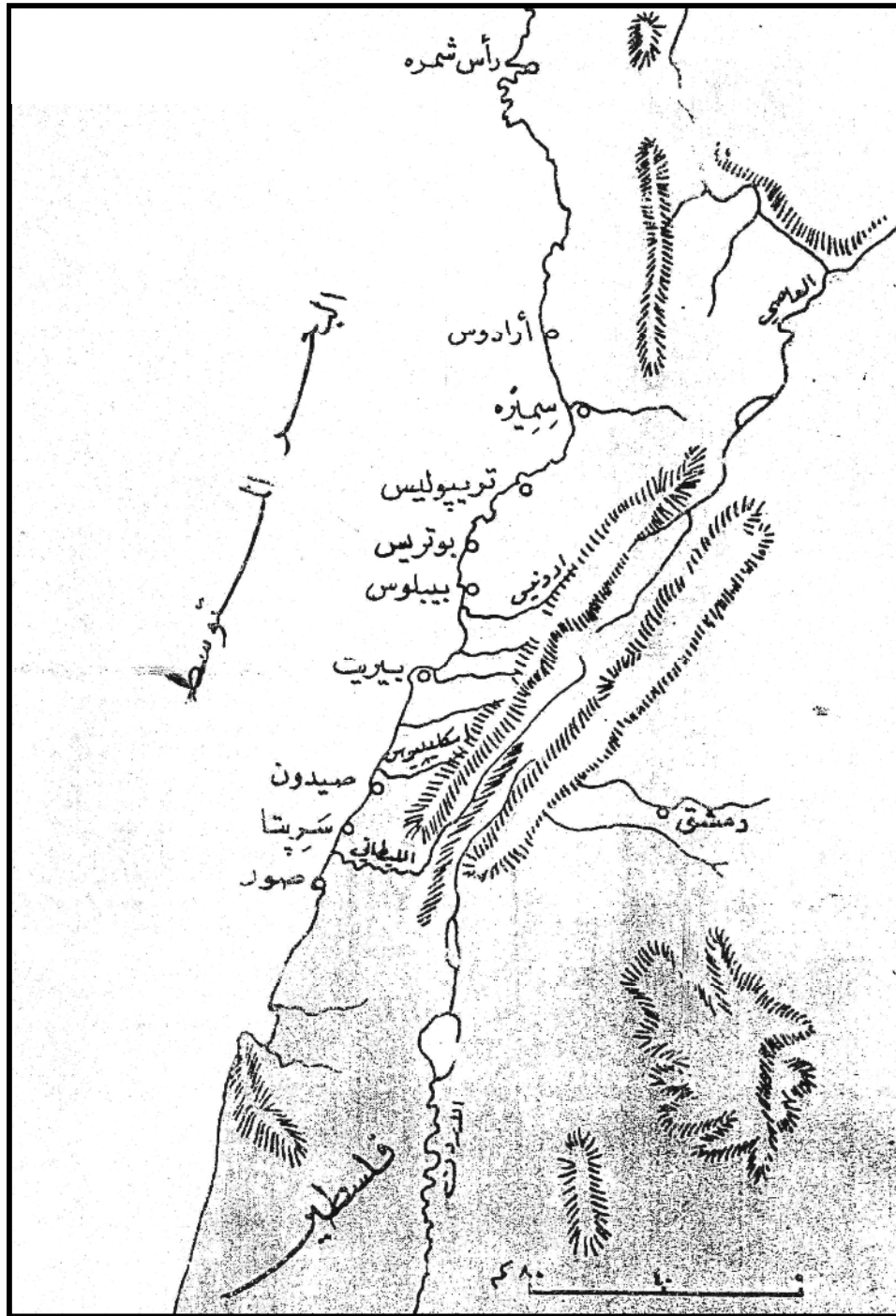
(2) انظر: شكل رقم 02، ص 6.

(3) Alexandre Moret, Histoire De L'orient, T1, P.U.F, Paris 1941, P. 264.

(4) الحقيقة ان ما كان يطلق عليه فينيقيا في التاريخ القديم يختلف من وقت لآخر، إلا ان الباحثين يرون ان تاريخ الفينيقيين يبدأ من المنطقة التي تشمل الساحل السوري اللبناني وشمال فلسطين يحدها من الشمال جبل سوقاس (SUGAS) حيث لم يعثر على اي مستوطنة فينيقية شمال هذا الموقع، والحدود الجنوبية تنتهي عند عكا ومن الغرب البحر المتوسط، ومن الشرق جبل النصيرية وجبل لبنان. للمزيد من المعلومات انظر: عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص 99.

(5) محمد صادق صابور: موجز تطور الحضارات الإنسانية، ط1، دار الامير، الجزيرة، مصر، 1998، ص 100.

(6) محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص 14.



شكل رقم 2: خريطة انهار فينقيا

حسان حلاق، ملامح من تاريخ الحضارات، الدار الجامعية، بيروت، 1991، ص 75.

البيئة الفينيقية _____ :

تدرجيا وتدخل المحاصيل الزراعية في مرحلة النضج بداية من شهر ماي، ويحل فصل الصيف بحرارته الشديدة مما ينجر عنه جفاف النبات في المناطق غير المروية، ومع بداية شهر أكتوبر يصبح الجو لطيفا نوعا ما، وتبدأ الأمطار تتساقط بصفة متباعدة، وتكون غزيرة ودائمة في فصل الشتاء⁽¹⁾ أما الرياح السائدة في المنطقة فهي الرياح الغربية الممطرة شتاء، والرياح الشرقية الجافة في فصل الصيف⁽²⁾.

ومنه فإن فينقيا تشترك بصفة عامة مع سائر بلدان الشرق الأدنى في مجالي الطبيعة والمناخ، بسبب وضعها الجغرافي الخاص وبصفة عامة فإن مناخ فينقيا تقريبا بقي على ما كان عليه منذ القديم⁽³⁾ وكان لهذا المناخ أثر على طبيعة الغطاء النباتي، حيث كانت فينقيا تتميز قديما بالغابات الكثيفة والغطاء النباتي المتنوع حسب تنوع المناخ والتضاريس، ولهذا فإن موقع فينقيا كان له أهمية واضحة في العالم القديم، لأنها كانت الممر الطبيعي الوحيد الرابط بين قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا، إفريقيا)، أو بلغة التاريخ بين دول مصر وما بين النهرين والفرس واليونان.

يبدو أن وجود هذه الرابطة الحيوية لطرق المواصلات الأساسية بين ثلاث قارات في هذا القطاع الضيق من الأرض، يعني أنه قدر لهذا الحيز الجغرافي أن يكون مسرحا لسلسلة من الهجرات والغزوات⁽⁴⁾.

كان لضيق رقعة فينقيا وقلة قابليتها الزراعية من جهة ووقوعها على شواطئ البحر المتوسط دور كبير في دفع الفينيقيين إلى امتحان الملاحة التجارية.

(1) Contenau (G), Op-cit, P 33.

(2) محمد محمود الصياد: جغرافية الوطن العربي، الجزء الثاني، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1968 ص 357.

(3) Contenau (G), Op-cit, p 33.

(4) سباتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص 96.

البينة الفينيقية _____ :

ونحن نرى أنهم تأثروا كثيرا بالبيئة التي عاشوا فيها، واستجابوا لها، است كاملة، فشكلت تاريخهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية⁽¹⁾، ومن ثمة تتسحب عليهم (الإنسان ابن بيئته)، وأصبحوا واقعا تاريخيا في الشرق الأوسط اعتبارا من 1200 ق.م، أي في مرحلة الخروج من العصر البرونزي إلى العصر الحديدي⁽²⁾.

كان النطاق الجغرافي الذي كانت تحتله فينقيا، بمثابة موقع إستراتيجي حددت خصائصه الجغرافية مصيره التاريخي، خاصة في الميدان السياسي حيث لم يستطع الفينيقيون تكوين دولة مركزية موحدة قوية، وإنما قامت دويلات المدن⁽³⁾ الصغيرة المتنازعة فيما بينها⁽⁴⁾ من أجل المجال الحيوي، مما اضطر سكانها إلى الهجرة وركوب البحار.

تبرز المضامين التاريخية التي ينطوي عليها الموقع الجغرافي لفينيقيا أن هذا الإقليم كله منحصر بين الجبال والبحر، وقد نتج عن هذا انفصال عن المناطق الداخلية، غالبا ما كان يعمقه غزوات الشعوب والدول المجاورة في نهاية القرن الثاني عشر ق.م (1200 ق.م)، بالإضافة إلى التجزئة الداخلية للمنطقة كانت عائقا دون قيام وحدة سياسية، مما نجم عنه قيام دويلات المدن⁽⁵⁾.

(1) محمد بيومي مهران: المدن الفينيقية- تاريخ لبنان القديم- دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1994، ص 132.

(2) عبد الحفيظ فضيل الميار: الحضارة الفينيقية في ليبيا، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي 2001، ص 99.

(3) دويلات المدن: كانت عبارة عن وحدات صغيرة محصنة بأسوار عالية، يلجأ إليها السكان وقت الخطر الخارجي، الذي قد يهدد امنهم وسلامتهم، ويتخذونها وقت السلم اسواقا لتجارتهم، فكانت عبارة عن مدن مقسمة لكل واحدة منها مجالها الجغرافي وحريتها وسيادتها الخاصة بها، لأنه لم تكن طبيعة المنطقة التي عاش فيها الفينيقيون تسمح بتأسيس دولة قوية موحدة، نظرا لموقعها الاستراتيجي بين مراكز الدول الكبرى التي قامت في وادي النيل في مصر وبلاد ما بين النهرين. للمزيد من المعلومات انظر:

Vigouroux (f), Dictionnaire de la bible t5. Lelouzley et Ane Editeurs, paris, 1912, p 228.

(4) احمد امين سليم: في تاريخ الشرق الأدنى القديم - مصر - سورية القديمة- دار النهضة العربية للطباعة والنشر،

بيروت 1989، ص 285.

(5) كان للمدن الفينيقية طوبوغرافيتها المميزة غالبا، حيث كانت في العادة تشيد على رعان صخرية فيكون لها مرفان احدهما في الشمال والآخر في الجنوب، يستخدمان تبعا للرياح والفصول، وكان الفينيقيون ايضا يفضلون=

البينة الفينيقية _____ :

ووجد الفينيقيون أنفسهم منذ فجر التاريخ، على أرض مساحتها ضيقة لا تستوعب العدد الكبير من السكان ولا تستطيع أن تؤمن لهم جميع المواد الضرورية التي يحتاجون إليها في حياتهم، فاضطروا أن يقيموا علاقات مع الخارج سواء بالتجارة أم بالنزوح والانتشار⁽¹⁾ في مختلف أنحاء العالم القديم خاصة حوض البحر المتوسط بصفته الشمالية والجنوبية بالدرجة الأولى، والسواحل المطلّة على المحيط الأطلسي، بعد وصولهم إلى بلاد المغرب القديم ومعرفتهم به، وركبوه وسخروه لتوفير مجال حيوي لهم كانوا في أمس الحاجة إليه.

ونستنتج في الأخير أن هناك عوامل أضفت على هذه المنطقة أهمية بالغة في تاريخ الحضارات هي: موقع هذه المنطقة بين حضارتين عريقتين، حضارة أرض شبه الجزيرة من جهة، وحضارة مصر من الجهة الأخرى، وامتلاك هذه المنطقة لعدة مرافئ طبيعية، بالإضافة إلى ثروتها بالأخشاب التي تفنقدها الحضارتين المجاورتين.

المبحث الثاني: لمحة تاريخية عن تسمية واصل الفينيقيين:

نتناول في هذا المبحث تنوع التسميات واختلاف معانيها التي اطلقت على الفينيقيين ومدى مطابقتها لواقعهم، مع الإشارة إلى أصل الفينيقيين ودراسة الآراء المتعددة التي وردت في هذا الشأن.

أولاً: التسميم :

يعرف كل شعب باسمه قبل كل شيء وأهمية أصل الاسم ما تنفك تتعاضم حتى لتجعل من البحث في معناه أمراً ضرورياً، ويجدر بي في موضوع تسمية الفينيقيين أن أعرض مختلف الآراء والنظريات التي جاءت في هذا السياق، ووردت متوافقة أحياناً ومتعارضة أحياناً أخرى في المصادر المختلفة الكتابية الشرقية والإغريقية

=الجزر التي يقع بعيداً عن الشاطئ حيث كان من الأيسر عليهم تحصينها والدفاع عنها مدة أطول عند الحصار. للمزيد من المعلومات انظر: سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص23.

(1) يوسف الدبس: تاريخ الشعوب الشرقية في الدين والسياسة والاجتماع، ج1، دار نصير عبود، بيروت (2000)، ص 260.

البينة الفينيقية _____ :

والمحلية فتسمية الفينيقيين كانت تطلق في فترة ما قبل التاريخ على الشعوب السامية⁽¹⁾ التي كانت تقطن الساحل السوري بين جبل الأقارع (CASSIUS) في الشمال وجبل الكرمل في الجنوب⁽²⁾.

لا يعرف الفينيقيون وطنهم بهذه التسمية لأنهم يجهلون، وفالإغريق هم الذين أطلقوا مصطلح "الفيينقيين" (*Phoinikes*) عليهم⁽³⁾ وتناول بعض فقهاء اللغة اليونانية لفظة "فوينيكس" (*Phoinikes*) بالدرس، قصد الوقوف على معانيها وفهم الأسباب، التي جعلت الإغريق يلقبون أولئك السكان بالفيينقيين: "أن كلمة 'فوينيكس' (*Phoinikes*) تعود إلى المادة اليونانية 'فوينيكس' (*Phoinikes*) التي لها معنيان: فهي تشير إلى شجرة النخلة من جهة، وتشير إلى لون من جهة أخرى، واللون المشار إليه بلطفة 'فوينيكس' (*Phoinix*) هو الأرجوان"⁽⁴⁾.

وهناك احتمال وضعه الباحثون هو أن استعمال هذا اللفظ 'الفيينقيين' مأخوذ من نصوص ميقينية (*Myceneen*)⁽⁵⁾ ترجع إلى النصف الثاني من الألفية الثانية ق.م، حيث كانت الكلمة تدل على اللون والأشخاص وكانت لها صلة إيتيمولوجية⁽⁶⁾ (*Etymologique*) "فوينيكس" (*Phoinix*) وهي كلمة إغريقية معناها الأرجوان⁽⁷⁾.

(1) الساميون: مصطلح اطلق على المجموعة البشرية التي عاشت على الأرض الممتدة بين جنوب غرب اسيا ومعظم اقطار شمال إفريقيا اي المنطقة التي تضم اقطار العالم العربي، لامتيازها بمظاهر حضارية موحدة، كالأصل اللغوي الذي يمثل الثقافة الظاهرة في النحو والصرف والمفردات، وكذلك وحدة العقلية والتفكير، إضافة إلى العادات والتقاليد. للمزيد من المعلومات انظر: محمد السيد غلاب، الساحل الفينيقي وظاهره، دار العلم للملايين، ط1 1969، ص 205.

(2) Pierre Vidal Naqueti Histoire De L'humanité, De La Préhistoire, A La Fin Du XX^{eme} Siècle, 1^{er} Edit, Hachette, Parie 1987, P 24.

(3) Véronique Krings, La civilisation phénicienne et punique. E.j, Britelan, Kölen, 1995,p560.

(4) محمد حسن فنطر، الفرق بين الفينيقيين والبونيقين، مجلة الفكر، عدد 8، ماي 1970، ص 46.

(5) الميقينية نسبة إلى مدينة ميسينيا او ميكنيا وهي مدينة في جنوب اليونان من الألف الثاني ق.م.

(6) إيتيمولوجيا - Etymologie - علم يبحث في أصول الكلمات وتاريخها.

(7) سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 17.

البينة الفينيقية _____ :

ونجد في موضوع تسمية الفينيقيين نظريتان في ضبط الأسباب التي جعلت الإغريق يطلقون اسم الفينيقيين على الذين كانوا يقطنون الحوض الشرقي للبحر المتوسط. وهما:

- **النظرية الأولى:** تقول أنهم لقبوا بالفينيقيين إشارة إلى وفرة النخيل في بلادهم، لكن المعطيات الجغرافية الواقعية تحول دون هذا الرأي فمن المعلوم أن بلاد الفينيقيين ليست من البلاد التي اشتهرت بواحاتها وإنما عكس ما ذهب إليه أصحاب نظرية النخيل.

- **النظرية الثانية:** تورد بأنهم لقبوا بالفينيقيين اعتراف لهم بفضلهم في اختراع الأرجوان، تلك المادة التي تستخرج من بعض الأصداف البحرية وتستخدم لصبغ منسوجات الصوف والكتان بلون أرجواني بنفسجي، ومن أرى أن النظرية الثانية التي تربط بين اسم الفينيقيين والمادة الإغريقية التي تعني الأرجوان الأقرب إلى الواقع مع العلم أن معنى الأرجوان موجود في اللغة الموقينية، كما تثبته تسمية المادة *Po-Ni-Ki-Ja* التي تعني اللون الأحمر ولعلها كانت تسمى بعض الأشجار مثلما أشار إليه بلين الأكبر (Plin L'ancien) بقوله: (Herba Phoeniciae)⁽¹⁾، ولكن العلاقة بين كلمة Po-Ni-Ki-Ja والنبتة التي أشار إليها المؤرخ بلين لا تتجاوز مستوى الافتراض، إن كلمة فوينكس (Phonix) تعني النخلة وإن البلاد التي سميت بها لكثرة نخيلها ثم صارت علما لسكانها⁽²⁾، حيث وجدت للنخلة تمثيلا في المسكوكات الفينيقية القديمة التي ضربت في القرن الخامس ق.م وصورة هذه الشجرة توجد بكثرة على نقود صور⁽³⁾، وقرطاجة فيما بعد⁽⁴⁾.

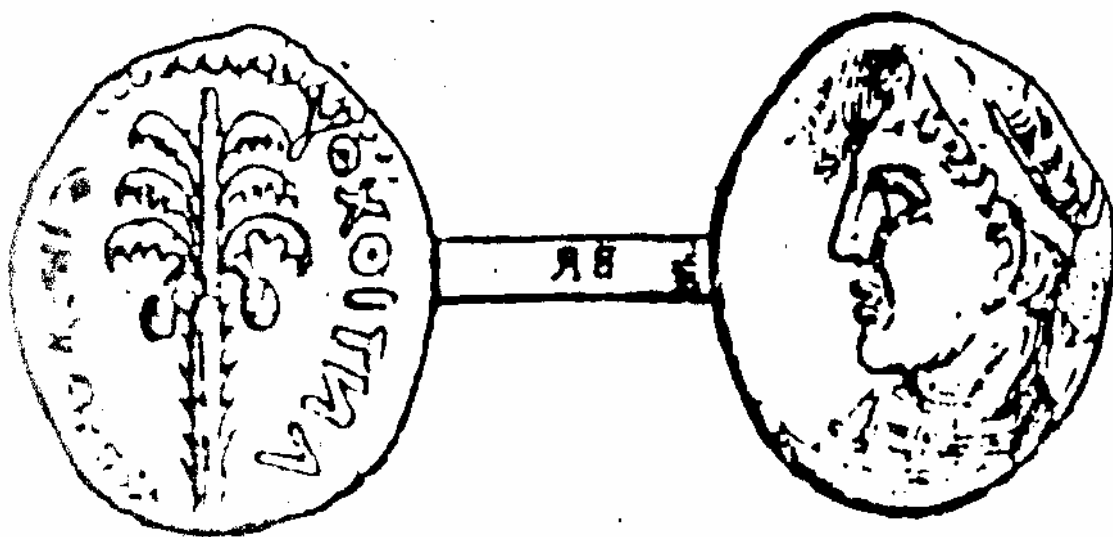
(1) Plin L'ancien, Histoire Naturelle, XXII, P 135.

(2) معن عرب، صور حاضرة فينيقيا، دار المشرق، بيروت 1970، ص 09.

(3) انظر: شكل رقم 03، ص 12.

(4) محمد عزة دوروزة: تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار، ج2، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، 1959، ص 46.

البيئة الفينيقية _____ :



الشكل رقم 3 : قطع نقدية لمدينة صور تعود إلى القرن السادس

VIGOUROX (CF) , OP-CT, P 320.

البيئة الفينيقية _____ :

ومن الفرضيات التي أوردتها المؤرخ جواد بولوس (Jawad Boulos) حول تسمية الفينيقيين، أنهم كانوا يتقنون صناعة الأرجوان (Pourpre) الذي يستخرج من صدف 'المريق'⁽¹⁾ (Murex)، فكانت شراع السفن الراسية في الموانئ الفينيقية مصبوغة باللون الأرجواني المستخلص من المريق مما أدى باليونانيين إطلاق هذه التسمية على البحارة والتجار الفينيقيين⁽²⁾، أما في المصادر المحلية فنجدهم يحملون تسمية « الكنعانيين »⁽³⁾، وبلادهم هي أرض كنعان⁽⁴⁾ (Canaan).

وهناك تفسير لكلمة كنعاني فهي مشتقة من « كيناهو » الموجودة في اللغة كتعبير جغرافي من أصل كلمة () التي تدل على الغرب، أو بلاد مغرب الشمس، كما أن كلمة فينيقيا أو فوينقس (Phoinix) لا تعود إلى الأصول الإغريقية وليست مشتقة منها، بل هي محرفة من الكلمة السامية فوني والتي هي (Phoinix)، بينما اسم الكنعانيين مشتق من اللون الأحمر الأرجواني، وذلك استنادا إلى ترجمة النقوش الأكادية لنوزي (Nuzi) والتي جاء فيها أن كلمة (كيناهو) مشتقة من كلمة كنعان⁽⁵⁾.

(1) الموريكس (MUREX) رخويات ذات اصداف تعيش على سواحل البحر الأبيض المتوسط وتستخرج منها مادة الأرجوان

POURPRE- واكرها حجما يتجاوز طولها ثمانية سنتمتر، انظر: Petit Larrousse Illustre 1982, p 665

(2) Jawad Boulos, les peuples et les civilisations du proche orient, TOME 1, Mouton et co grauenage, 1961, P 215.

(3) الكنعانيون: هي تسمية اطلقها اليونانيون على الفينيقيين وهي جماعة سامية لعبت دورا هاما في تاريخ سورية، واسم بلاد كنعان يعتبر ساميا بمعنى الارض المنخفضة، وقد اطلق اسم كنعان في اول الامر على غربي فلسطين ثم اصبح الاسم الجغرافي المتعارف عليه لفلسطين وقسم واسع من سورية، وتشير كلمة كنعانيون الان عادة إلى الشعوب التي تتكلم بالسامية والتي تتألف من جنس مختلط سكن المنطقة التي تتوسطها فينيقية على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط خلال العصر البرونزي. للمزيد من المعلومات انظر: فيليب حتي تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1958، ص ص 85 - 87

ليونارد كوتريل (Leonard Cotril): الموسوعة الاثرية العالمية، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص 330.

(4) عبد الحفيظ فضيل الميار المرجع السابق، ص 96.

(5) نفسه، ص 97.

البينة الفينيقية _____ :

وأطلقت هذه التسمية حوالي الألف الثالث ق.م على المنطقة السورية⁽¹⁾ وعلى الرغم من أن الفينيقيين أطلقوا على أنفسهم اسم الكنعانيين إلا أن هذا الاسم لم يكن الاسم الوحيد الذي أطلق عليهم، ذلك أن الشاعر الإغريقي 'هوميروس'⁽²⁾ (Homere) الفينيقيين بالصيدونيين نسبة إلى مدينتهم الرئيسة 'صيدون' (Sidon)، إن لفظة 'صيدونين' تشير في هذا السياق إلى سكان مدينة صيدا على وجه التخصيص بل إنها على غرار ما ورد في نصوص أخرى ترادف لفظة 'فينيقيين' أو 'كنعانيين' فهي من الأسماء التي ، الفينين⁽³⁾.

وهكذا مرت تسمية الفينيقيين مرة بالصيدونيين نسبة إلى مدينة صيدا وأخرى بالصوريين نسبة إلى مدينة 'صور' (TYR)، مع قلة الأسماء التي تدل على وحدة الفينيقيين هو دليل على تجزئة الأرض وعدم وجود وحدة قومية تربط بين مدنها وهو ما أكد عندهم الانتماء إلى المدن بدل الوطن، كما هو الحال لدى الإغريق وسكان بلاد ما بين النهرين قبل توحيدهم في دولة واحدة ومن جهة أخرى ورد اسم صيدون في الكتاب المقدس⁽⁴⁾ العهد القديم⁽⁵⁾ إشارة إلى الشعب الفينيقي.

⁽¹⁾ يشير بعض الباحثين إلى ما جاء في نصوص العهد القديم ان هناك صلة قوية بين الأموريين والكنعانيين، وان الأموريين ربما كانت تعني سكان المنطقة الجبلية في فلسطين، وان الكنعانيين هم سكان السهول والأراضي

المنخفضة، وهو ما تعنيه كلمة () في اللغة العبرية. انظر: محمد بيومي مهران: المدن الفينيقية، ص 125 - 127.

⁽²⁾ هوميروس؛ شاعر إغريقي صاحب ملحمتي الإلياذة (Iliade) والملمحة (L'odysee) والتي تدور أحداثها على محور من حرب طراودة وما تلاها. حدد وجوده بـ 850 ق م وكانت تصوره التقاليد بأنه شيخ مكفوف يتجول بين المدن حيث يلقي قصائده الشعرية، وكانت لشعاره تنلى في المناسبات الرسمية ويتعلمها الأطفال في المدارس، وكان لها تأثير كبير على الفلاسفة والكتاب والمعلمين آنذاك، واحتلت مكانة هامة حتى القرن العشرين في الألب الكلاسيكي الأوربي. للمزيد من المعلومات انظر: Le petit Larousse illustre, 1982, p1398، الموسوعة العربية العالمية، ط1، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1999، ص 280.

⁽³⁾ Stephane Gsell, H. A.A.N, T1, P 371.

⁽⁴⁾ الملوك الاول، 20 / 5 31 / 6.

⁽⁵⁾ التوراة (العهد القديم): كلمة عبرية معناها الشريعة ويطلق عليها ايضا 'اسفار موسى الخمسة'، لان موسى بحسب التقليد، هو المشتريع والوسيط الذي عن يده حصل إسرائيل على هذه الشريعة وتحتوي شريعة موسى من جهة على روايات وتقاليد قصصية، ومن جهة أخرى على شرائع بحصر المعنى وتقاليد اشتراعية اثرت في مراحل تكوين شعب إسرائيل. والعهد القديم هو التسمية العامة لاسفار =

البينة الفينيقية _____ :

استعمل المصري القديم كلمة "فنخو" (*Poeni*) منذ عصر الدولة القديمة للدلالة على شعب من الإقليم السوري، ويرجح أن اليونانيين قد استعملوا الكلمة المصرية "فنخو" بعد تحريفها إلى (*Phoivikes*) للدلالة على فينيقيا و"قويكيك" (*Phoiviken*) للدلالة على الفينيقيين⁽¹⁾ إن لفظة "كيناخو" الواردة في نصوص مدينة نوزي العراقية تشير إلى اللون الأحمر الأرجواني.

واستنادا إلى هذا المعنى فإن سباتينو موسكاتي يرى في لفظ "كيناخو" إشارة إلى إحدى الحرف المتميزة لدى الكنعانيين وتتمثل في صناعة استخراج الأرجوان ونشره عبر كامل البحر المتوسط لاسيما عند الإغريق⁽²⁾.

إن تسمية الكنعاني⁽³⁾ مشتقة من أصل سامي هو (- -) إشارة إلى صفة الأراضي المنخفضة، فاسم الكنعانيين يعني سكان الأراضي المنخفضة. وظل هذا الاسم يرد في الوثائق، وإن كان متفرقا على مر العصور، وخاصة في الكتاب المقدس⁽⁴⁾، وعثر في فينيقيا في الحقبة الهيلينية . نقوش عملة معدنية

=اليهود ويحتوي على كل الوصايا الخلقية التي انزلت على موسى وقد وصل لليهود بواسطة الانبياء الذين كانوا قبل عيسى، ويعتقد عامة اليهود ان العهد القديم منزل من الله وهو الركن الأساس لديانتهم، والتوراة في حقيقتها هي الأسفار الخمسة ومنها "التكوين" السماء والأرض، و"خروج" بني إسرائيل من مصر، ودور "الاحبار" في تشريع العبادة، واحصاء 'عدد الاسباط' و" " 'الاشتراخ' وهي تكرار للشريعة، سفر اللاويين، وسفر العدد. للمزيد من المعلومات انظر: الكتاب المقدس (العهد القديم) طر، دار المشرق، بيروت، 1991، ص 59. والظاهر ذراع، الديانات القديمة في شبه الجزيرة العربية، مطبعة بغيضة، قسنطينة، 2008، ص ص 85-86.

⁽¹⁾ ابو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 13.

⁽²⁾ سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 70.

⁽³⁾ كنعان: لقد اختلف المؤرخون في اصل كلمة 'كنعان' فهناك من رأى ان الكلمة سامية، وانهم تسموا بالكنعانيين نسبة إلى جدهم الاول 'كنعان' على عادة العرب في تسمية قبائلهم، وان بني كنعان إنما كانوا يقيمون في ارضهم السهلية على ساحل الخليج العربي، وقد نسبت إليهم وسميت بارض كنعان، وعند انتقالهم حملوا معهم اسمهم واسم بلادهم الذي اعطوه لوطنهم الجديد. لمزيد من المعلومات انظر: محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، تاريخ لبنان القديم، ص 126.

⁽⁴⁾ احمد امين سليم، المرجع السابق، ص 272.

البينة الفينيقية _____ :

جاء فيها: «لأوديسا في بلاد كنعان»، ووجد في البلاد الإفريقية اسما يتمسك به البونيقيون⁽¹⁾ الذين انحدروا من أصل فينيقي، أن القديس 'أوغسطين'⁽²⁾ (Saint. Augustain) في أحد رسائله الشهيرة قال: «إذا سألت أهل الريف عندنا، منهم؟ أجابوك باللسان البوني أنهم كنعانيون»⁽³⁾.

وهكذا اتفقت التسمية السامية القديمة والتسمية اليونانية في أن تربط بين هذه الشعوب وبين اللون الأحمر، وإن كانت تسميتهم القديمة بالكنعانيين والإغريقية ن وكلاهما علم على شعب سامي واحد وأمام تعدد معاني اسم الفينيقيين واختلافها، والآراء القائلة في تسميتها فإنه يصعب علينا الترجيح حتى يتم إثباتها بالبحث والكشف عن المعنى الدقيق لها.

: أصل الفينيقيين:

توجد مجموعة كبيرة من الروايات والدراسات التي تحاول التعرف على أصول الشعب الفينيقي، مبنية على افتراضات أغلبها لا يقوم على أدلة، ومنه نتساءل: من هم هؤلاء الذين تردد ذكرهم في مختلف المصادر والمراجع فأغلب الآراء التي طرحت جاءت مبنية على ما أورده المؤرخون القدامى عن

(1) البنيقيون : تميز النصوص اللاتينية بين الفينيقيين في الشرق فتسميهم (Phoenices) وبين الفينيقيين في الغرب فتسميهم (Poeni)، وقد ذهب في اعتقاد بعضهم أن الفرق بين الفينيقيين والبونيقيين لا يتجاوز المفهوم الجغرافي، فمضمون هذه النظرية أن المؤرخين الرومان أرادوا اجتناب الخلط واللبس بين الفينيقيين الذين يقطنون المدن الفينيقية في الشرق ومن أهمها صور وجبيل وصيدا، وبين الفينيقيين الذين يقطنون المراكز والمدن الفينيقية على سواحل غربي المتوسط، فلفظة (Phoenices) مل القارئ إلى الشرق ولفظة (Poeni) تتوجه به إلى الغرب. للمزيد من المعلومات انظر: م ح فنطر، الفرق بين الفينيقيين والبونيقيين، مجلة الفكر-العدد 9-جوان 1990، ص 47.

(2) القديس أوغستين (Saint-Augustain) (354 - 430م) من مواليد تاغست (Tagast) إسوق اهراس (مطران 'هيبيون' (Hippone)) صاحب رسائل وخطب لا تحصى، يعد من أكبر المعارضين للحركة الدوناتية، ومن بين أشهر مؤلفاته مدينة الإله (La cité de dieu) والاعترافات.

(Les confessions). انظر: Le Petit Larousse illustre Librairie Larousse, 1980, P1136

(3) محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، شركة دار الأمة للصناعة والنشر والتوزيع، الجزائر،

1998، ص 166.

البيئة الفينيقية _____ :

أصل الفينيقيين "هيرودوت"⁽¹⁾ الذي ذكر في كتابه السابع قوله: «وهم يرون أنهم كانوا يقطنون شواطئ البحر الاريتيري ومنها قدموا إلى سوريا». و « هذا الإقليم السوري مع كامل الربوع التي تمتد إلى حدود مصر سمي فلسطين»⁽²⁾.

واستحسن بعض المؤرخين هذه الرواية⁽³⁾ فتبنوها، بل ذهب في اعتقاد رينى ديسو (Rene Dussaud) أنه يوجد في نصوص أوغاريت⁽⁴⁾ 'رأس شمرا' يثبت رواية هيرودوت بصفة تكاد تكون أكيدة حيث أورد: « تثبت نصوص رأس الشمرا المعلومة التي أوردتها هيرودوت، وتفيد أن الفينيقيين كانوا مقيمين بالنقب حول خلجان السويس وإيلات (Elat) (ا) ثم تحولوا إلى سواحل المتوسط

(1) هيرودوت: هو مؤرخ يوناني عرف باب التاريخ ولد عام 484 ق.م حسب ما يرى معظم المؤرخين في مدينة 'هاليكاراس' (HALIACARRE) 'نورودوم' في تركيا، وفي رواية أخرى مدينة هاليكارنوس' هي مدينة دورية في إقليم 'كاريا' في الركن الجنوبي الغربي من اسيا الصغرى، ويعد أولب مؤرخ إغريقي اخذ على عاتقه كتابة تاريخ العالم حتى الوقت الذي عاش فيه، اشتهر بكتبه التسعة التي كتبها عن نشأة الإمبراطورية الفارسية وغزو الفرس لليونان في الفترة ما بين 490-480 ق.م. للمزيد من المعلومات انظر: الموسوعة العربية العالمية، ط2، الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999، ص 322، وحسن حلاق: مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات، دار النهضة العربية، بيروت، 1991، ص 295.

(2) Herodote, Histoire V, 89 Polymnie, Traduction Ph. Le grand société d'éditions les belles lettres- Paris 1951.

(3) إن وثائق رأس الشمرا -أوغاريت- التي تروي ان الفينيقيين جاءوا من شبه جزيرة سيناء او من النقب نحو الشمال يجعل رواية هيرودوت اقرب إلى التصديق وتسمح بالاستنتاج بانهم قد وردوا من الجنوب، وان وطنهم الأصلي كان شبه الجزيرة او الصحراء المتاخمة لها شرقا فهم إذن قسم من الهجرة السامية والفئة التي توغلت أكثر من غيرها إلى الشمال الغربي. للمزيد من المعلومات انظر: معن عرب، المرجع السابق، ص 08.

(4) أوغاريت أو رأس شمرا، اكتشفت فيها بعثة فرنسية سنة 1929 عدة مدن يعلو بعضها يرجع اقدمها إلى القرن الخامس ق.م وجدت بها نصوص على الواح فخارية بابجدية من النوع المسماري. للمزيد من المعلومات انظر: فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، دار الثقافة، بيروت 1958، ص ص 123 - 124.

البينة الفينيقية _____ :

واستقروا فيها»⁽¹⁾ وأنهم سكنوا الشريط الساحلي السوري وكل البلاد التي تمتد إلى حدود مصر والتي تسمى فلسطين⁽²⁾ أما عن تاريخ هذه الهجرة ومتى تمت؟ وكيف؟ فورد على لسان علماء صور، أنهم قدموا إلى فلسطين في القرن الثامن والعشرين ق.م⁽³⁾.

وأورد الجغرافي الإغريقي سترابون⁽⁴⁾ (Strabon) : «إن مقابر سكان الخليج الفارسي تتشابه ومقابر الفينيقيين، ويذكرون أن أسماء جزائرهم، إنما هي أسماء فينيقية، وأن في مدنها هياكل تشبه الهياكل الفينيقية»⁽⁵⁾ في حين يذكر المؤرخ اللاتيني يوستين⁽⁶⁾ (Justin)، أنهم تركوا أوطانهم الأصلية إثر حدوث زلزال فيها وقدموا إلى شواطئ المتوسط: « إن الأمة السورية أسسها الفينيقيون الذين تركوا بلادهم بعد هزات أرضية، فأقاموا أولا على ضفاف البحيرة الاشورية الساكنة⁽⁷⁾ ثم تركوها إلى شواطئ المتوسط حيث بنوا مدينة دعوها صيدون لوفرة السمك فيها، إذ أن الفينيقيين يدعون السمكة صيدون»⁽⁸⁾.

ويمكن اعتبار ما ورد عند هيرودوت وجوستين موضوعيا عندما يرويان أنهم قدموا إلى الشاطئ الذي حمل اسمهم لتوفر مجال حيوي لمعيشتهم، وانهم لم ينشأوا فيه منذ القدم، والإشكالية المطروحة تكمن في تحديد المكان الذي نشأوا

(1) Rene Dussaud, Revue historique des religions 1933, n° 11, p 23.

(2) Fantar, Carthage la prestigieuse cite d'Elissa, Maison tunisienne de l'édition, Tunis 1970, P 15.

(3) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 50.

(4) سترابون STRABON: جغرافي إغريقي ولد في أماسيا AMASYA حوالي 58 ق م وتوفي بين 21-25 م. وجغرافيته تمثل جغرافية العالم القديم إلى بداية الإمبراطورية الرومانية وهي مصدر هام للجغرافيا

التاريخية. للمزيد من المعلومات انظر: Le petit Larousse illustre P.1707.

(5) Strabon, Géographie, Traduction d'Amede Tardieu Hachette, 1894, XVI, IV, 27.

(6) يوستينوس JUSTIN مؤرخ لاتيني عاش في القرن الثاني م، له مؤلف مشهور عالميا يحمل عنوان التاريخ

العالمي: المكتبة العالمية، Histoire universelle انظر P.1434 Le petit Larousse illustre,

(7) من الأرجح بحيرة النجيف (NADJIF) والتي تقع في ضواحي بابل.

(8) Justin, Histoire universelle Tome II, L. XVIII, III, Traduction J.Pierrot et E.

Boitard, Edition Pankouk, Paris, 1833.

البينة الفينيقية _____ :

فيه ثم قدموا منه، وهذا ما أشار إليه الأستاذ حسان حلاق متحدثا عن الخليج الذي تطل عليه منطقة البحرين، فيشير إلى جزيرتين هما: أرادوس (Arados) وصور (Tyros) يوجد فيهما معابد تشبه معابد الفينيقيين وأن أهل الجزيرتين يؤكدون أن جزيرتي أرواد وصور في فينيقيا هي مستوطنات فينيقية تابعة لهم⁽¹⁾ ووا إلى هذه الربوع قبل سنة 1500 ق.م، جاؤوا من بلد غير معروف بالجنوب ولعلها المنطقة المحاذية للبحر الأحمر، وكان بفينيقيا سكان يتقدمونهم زمنا لم يبق أثرهم إلا في جيبيل وأوغاريت⁽²⁾.

تزودنا الدراسات العديدة التي أعقبت نشر النصوص الاوغاريتية بتأييد مجدد للنظريات التي تناولت أصولهم الجنوبية، فأكثر الفرضيات⁽³⁾ على آراء المؤلفين الكلاسيكيين⁽³⁾، فمنهم من يرى أن الفينيقيين أصليون في موطنهم فينيقيا، ومنهم من يحدد موطنهم الأصلي على الساحل الأريتيري⁽⁴⁾ بينما يذهب آخرون إلى أنه كان يوجد على خليج البصرة مقابر ومدائن شبيهة بالمعابد والمدائن الفينيقية⁽⁵⁾ إن الزلزال الذي ضرب منطقتهم دفعهم إلى مغادرة موطنهم، وحطوا رحالهم عند ساحل المتوسط⁽⁶⁾ وهناك افتراض آخر ينص على أن الشعب الفينيقي عموما نتج

(1) حسان حلاق، ملاح من تاريخ الحضارات السياسية والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والديني" الدار الجامعية، بيروت، 1991، ص 59.

(2) Picard (G.H) et Warmington (B), Histoire et civilisation de Carthage, Payot, Paris, 1961, P 18
(3) الجدير بالذكر انه من خلال قراءة النصوص القديمة إغريقية ولاتينية يتضح انها قليلة الإفادة بالنسبة لمعرفة اصول الفينيقيين وكذلك بالنسبة لمعرفة مسار الانتشار الفينيقي على شواطئ المتوسط، فيجب اتخاذ الحيطة والتزام جانب الحذر لدى استعمالنا هذه المصادر التي خلفها لنا المؤرخون والجغرافيون وحتى الشعراء الإغريق والرومان ذلك ان الإغريق والرومان كانوا قد دخلوا في منافسة تجارية كبرى ضد الفينيقيين في شرق المتوسط بالنسبة للإغريق وفي غربيه بالنسبة للرومان، وقد تحولت المنافسة بين قرطاج وروما كما هو معلوم إلى حرب دموية لم تنته إلا بتدمير قرطاج. للمزيد من المعلومات انظر: محمد الطاهر العدواني، إشكالية التواجد الفينيقي في المغرب القديم، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5، جامعة الجزائر، 1988، ص 23.

(4) Herodote, Histoires, XVI, IV, P 27.

(5) Strabon, Géographie, VII, 89.

(6) Sabatino Moscati, Les phéniciens, Edit Belbord, Paris, 1989, P 28.

البينة الفينيقية _____ :

عن تطور تاريخي في المنطقة الفينيقية السامية، وليس بناء على هجرة شعب جاء من خارج المنطقة هذه المجموعة من الروايات والدراسات التي ركزت على التعريف عن أصول الشعب الفينيقي مبنية على افتراضات وتخمينات وهو أن هذا الشعب، إنما كان شعباً متميزاً بهذه الخصائص حتى قبل ظهوره التاريخي على ساحل المتوسط.

وفي هذا السياق فقد أشارت المصادر الكتابية أن الفينيقيين ينحدرون من الكنعانيين، فمصطلح « أرض كنعان » إنما يشمل كل فلسطين غرب الأردن، وأن الكنعانيين قوم ساميون، وليسوا حاميين كما وردة في التوراة ⁽¹⁾ وأنهم قدموا من شبه الجزيرة ⁽²⁾ سواء من شرقها أو شمالها أو حتى جنوبها، وسكنوا فلسطين، وأقاموا بها حضارة راقية، فجزءاً من الكنعانيين انتقلوا إلى الساحل السوري للبحر المتوسط وعرفوا هناك بالفينيقيين ومن جهة أخرى تنسب التوراة ⁽³⁾ مدينة « صيدا » إلى صيدون الابن الأكبر لكنعان بن حام بن نوح ⁽⁴⁾، فهي تربط بين تأسيس صيدا وبين الكنعانيين الذين عرفوا أيضاً باسم الصيدونيين.

⁽¹⁾ التوراة، سفر التكوين، الإصحاح، 10 الآية 06.

⁽²⁾ يمكن القول أن شبه الجزيرة العربية بما كانت تزخر من تضخيم سكاني يمكن اعتبارها الموطن الأساسي لكل الشعوب السامية التي توطنت في الهلال الخصيب أو في البلاد السورية، فالبابليون والأكاديون والآشوريون والكلدانيون والأموريون والكنعانيون والفنيقيون والعبرانيون هي شعوب تربطها أواصر قرابة شديدة ولغتها ذات أصول وجذور واحدة. للمزيد من المعلومات انظر: حسن حلاق، المرجع السابق، ص 60.

⁽³⁾ نسبت التوراة الكنعانيين والفنيقيين إلى الحاميين وليس إلى الساميين مع أنهم يتكلمون لغة سامية، بل هم أنفسهم ساميون، ويبدو أن تعتمد العبرانيين في نوراتهم إقصاء الكنعانيين : الفينيقيين من الانتساب إلى سام بن نوح لأسباب سياسية ودينية متطرفة تبدو عنصرية عرقية ذاتية، مع أنهم كانوا يعلمون ما بينهم وبين الكنعانيين من صلات لغوية وعرقية، فاستعمال الكتاب المقدس كمصدر تاريخي لا يخلو من المآخذ والمغالطات لأن هذا الكتاب المقدس يظهر تحيزه الكامل لبني إسرائيل على حساب شعوب الأرض قاطبة ويظهر مشاعر العداء ضد مدينة صور بالذات. للمزيد من المعلومات انظر: محمد الطاهر العدواني، إشكالية التواجد الفينيقي في المغرب القديم، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 5، جامعة الجزائر، 1988، ص 24.

⁽⁴⁾ سفر التكوين 10 / 15.

الفصل الأول:

النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

المبحث الأول: الزراعة وطرق الإنتاج ومحاصيلها.

المبحث الثاني: الصناعة وأنواعها.

المبحث الثالث: الملاحة التجارية ووسائلها.

المبحث الأول: الزراعة وطرق الإنتاج:

يمتاز تاريخ فينيقيا في الميدان الزراعي بندرة المعلومات الزراعية في حين تتوفر معلومات مهمة على مختلف نشاطات الفينيقيين الأخرى فإذا كانت التجارة تحتل المركز الأهم عندهم، فإن الزراعة كانت بمثابة دعامة أساسية في اقتصادهم قديماً إذا كان البحر المتوسط يمثل المجال الحيوي الأوسع لنشاطهم الاقتصادي، فإن حياتهم الزراعية قد ضاقت بهم أراضي فينيقيا الأم، ودفعتهم للبحث عن مجال حيوي آخر كلفتهم الكثير من الجهود لتأمين احتياجاتهم من الغذاء للسكان المتزايد عددهم، وعلى هذا الأساس يمكننا القول أن البيئة الأصلية ذات الطابع الجبلي قد أثرت في حياة الفينيقيين، فقد كانوا يحيون حياة اقتصادية تملئها ظروف البلاد التي سكنوها ومواردها الطبيعية الموجودة بها.

ومن أهم الحرف التي كانوا يزاولونها حرفة الزراعة⁽¹⁾، فاستثمروا تلك المساحة المحدودة من الأرض الزراعية إلى أقصى حد ممكن⁽²⁾ فلم تكن الزراعة عندهم مهمة بل كانت منتشرة على منحدرات الجبال وعلى شكل المصاطب وهي ثمرة عمل شاق وطويل بذلوه في ذلك النشاط الزراعي⁽³⁾.

فكانت الزراعة تشكل عملاً دائماً للإنسان الفينيقي، ولذلك اعتمد على قوته البدنية في زراعة الأرض وحرثها⁽⁴⁾ فكانت فينيقيا من أخصب بلدان المشرق، وكانت زراعتها متطورة على الرغم من محدودية الأرض الصالحة للزراعة⁽⁵⁾ مقارنة مع البلدان المجاورة لهم وحتى المعاصرة لهم في العالم القديم.

(1) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص 385.

(2) سباتينو موسكاتي: الحضارة الفينيقية، ص 141.

(3) اندريه إمار وجانين أوبوايه: تاريخ الحضارات العام، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، بيروت 1981، ص 259.

(4) جوزيف صقر: قصة وتاريخ الحضارات العربية، لبنان من عصور ما قبل التاريخ حتى عهد المتصرفية، منشورات كريس الدولية (INT) CREPS، 2003، ص 114.

(5) سباتينو موسكاتي: المرجع السابق، ص 99.

استصلح الفينيقيون السفوح ليمنعوا انجراف التربة، وزرعوا فيها الحبوب والخضار والأشجار المثمرة مثل الكروم والزيتون⁽¹⁾ واستخدموا المحراث العادي وكان يجره الثور أو الحمار أو الإنسان حسب الظروف المناسبة⁽²⁾ وكانوا يحصدون الحبوب بمنجل أسنانه من الصوان تتصل بقبضة من العظم والخشب بواسطة الملاط، واستعملت هذه الآلة حوالي الألف الأولى ق.م، ثم حل المنجل الحديدي محلها فيما بعد إثر معرفتهم لصناعة الحديد⁽³⁾ وكان حصاد القمح يتم باستخلاص الحب من السنابل بواسطة الدرس بأرجل الثيران أو الخيل أو البغال أو تمرير السنابل على ألواح خشبية قد ثبتت فيها شظايا مصنوعة من حجر صلب⁽⁴⁾.

كانت الزراعة الفينيقية تنقسم إلى قسمين: زراعة الحبوب في السهول الغربية وزراعة الأشجار المثمرة من نخيل وكروم وزيتون في الأرض الصخرية والمرتفعات⁽⁵⁾ مما جعل الشريط الساحلي الضيق لفينيقيا عبارة عن بساتين غنية بالفواكه المتنوعة، بالإضافة إلى استغلال الغابات الكثيفة⁽⁶⁾، ذات الأشجار المتنوعة مثل الصنوبر البحري (*Pin-Maritime*) على الساحل و كانت تنتشر في الجبال أشجار الأرز والسرو والسنديان والهور (*Peuplier*)، وعمد الفلاح الفينيقي في تكثيف زراعته بمقتضى خطر عدم كفاية الأمطار إلى أساليب الزراعة الجافة، وتتضمن التناوب السنوي في زرع الأرض وتركها بدون زراعة⁽⁷⁾ وأدخلوا

(1) حسان حلاق: المرجع السابق، ص 68.

(2) عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، دار النهضة العربية، القاهرة 1966، ص 328.

(3) فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1957، ص 93.

(4) عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 328.

(5) Contenau (G), Op-cit, P 328.

(6) (J) Gabriel Le roux, Les premières civilisations de la méditerranée, P.U.F, Paris 1961, P83.

(7) فيليب حتى: المرجع السابق، ص 93.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

طرق جديدة في المجال الزراعي وتوجيه الإنتاج مثل التركيز على محصول واحد⁽¹⁾ وغير ذلك من الطرق والأساليب الزراعية التي تناولها فيما بعد 'ماغون' (Magone)⁽²⁾ القرطاجي في بحثه الذي نقله الرومان إلى لغتهم لمعرفة ما تضمنه من معلومات هامة والاستفادة منه، ويحتمل أن تكون طريقة غرس عيدان الكروم ومواصلة العناية بها من سقي وتقليم حتى تبلغ مرحلة الإنتاج، والتي وضعها 'ماغون' (Magon) في إفريقيا قد استوردت من فينيقيا، وتتمثل في عرض أشجار الكروم في الشمال بسبب الحرارة الشديدة التي تعرفها المنطقة، وتقليمها في فصل الربيع فصل النباتات والنمو⁽³⁾.

- المحاصيل الزراعية:

يعد القمح من المحاصيل التي كانت تنتج في فينيقيا بالإضافة إلى الشوفان والشعير، والفاصوليا، والعنب والزيتون والتين والرومان والجوز. وقد سميت الحبوب والكرمة والزيتون 'ثالث' بلاد البحر المتوسط في الإنتاج الزراعي⁽⁴⁾.

ويبدو أن الفينيقيين كانوا موفقين في اختيارهم لشجرة الزيتون لأنها تتحمل العطش وتقاوم شدة الرياح، ويعد الزيت أهم منتجات هذه الشجرة الذي يتم استخراجها عن طريق عصر حبوب الزيتون في معاصر الزيتون وكان الزيت غذاء رئيسا في الزمن القديم لدى شعوب العالم القديم، فضلا عن استعمالاته الأخرى كوقود في الإضاءة لإنارة البيوت⁽⁵⁾، وصناعة الصابون ومواد الزينة، إضافة إلى استخدامه في

(1) عبد الحفيظ فضيل الميار المرجع السابق، ص 165.

(2) ماغون: يحتمل أنه عاش في فترة الحروب البونيقية، يجسد تطور العلوم الزراعية القرطاجية، مؤلفه الذي يتكون من ثمانية وعشرون (28) جزء تعرفنا عليه بواسطة الإشارات القليلة النادرة للعلماء الزراعيين الرومان، وشهرته تعود إلى المبادرة التي قام بها مجلس الشيوخ الروماني (SENAT)، حيث بعد تهديم مدينة قرطاج من طرف روما 146 ق.م قرر أن تتم ترجمة أعمال ماغون إلى اللاتينية، وقد وجدت أعماله مترجمة كذلك باللغة الإغريقية

فيما بعد، للمزيد من المعلومات انظر: Gras (M), L'univers Phenicien, ed. Arthnaud, Paris, p63.

(3) Contenau (G), Op-cit, P 285.

(4) فيليب حتى: المرجع السابق، ص 93.

(5) سفر الخروج، 6 / 25.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

صناعة العلاجات الطبية والدهون العطرية⁽¹⁾ ونظرا لأهمية زيت الزيتون فقد كان الإقبال عليه شديدا حيث يعتبر سلعة رائجة في الأسواق في العالم القديم وكانت جرار الزيت تستخدم كتوابيت يدفن فيها الأموات⁽²⁾.

من المعروف أن شجر الزيتون هو شجر قديم أصيل في فينقيا، وأن أقدم ذكر له جاء في نقوش « أوغاريت » رأس الشمرا، ويرجع إلى القرن الخامس عشر ق. م، ومما يؤكد أهميته ذكره في القرآن الكريم قوله تعالى⁽³⁾: ((والتين والزيتون^① وطور سنين^② وهذا البلد الأمين^③)) استخرج الفينيقيون الزيت من أشجار الزيتون البرية، ثم زرعوا أشجار الزيتون فيما بعد على نطاق واسع، بالإضافة إلى معرفتهم التين والكرمة⁽⁴⁾ وهي الأنواع الثلاثة التي تقاوم الجفاف وتتماشى مع مناخ المنطقة نوعا ما.

أدخل الفينيقيون زراعة الكروم إلى بلاد اليونان ثم نقلوها إلى إيطاليا حيث اشتهرت الخمور الفينيقية بين منتوجات العالم القديم بخصائص ومميزات جعلت مقصودة وذات قيمة ثمينة في أسواق العالم القديم بالمقارنة مع منتوجات الخمور لدى الشعوب المعاصرة لهم، وهذا مكسب اقتصادي تجاري دعم علاقاتهم التجارية في العالم القديم.

يبدو أن قلة الأراضي الزراعية لدى سكان الساحل الفينيقي قد جعلهم يعتمدون سياسة زراعية جديدة، قد تتفقه من ذلك الضعف في الإنتاج، اعتمدوا على زراعة جيرانهم التي كانت لهم علاقة صداقة ومسالمة مثل: المصريين، وسكان ما بين

(1) سفر صموئيل، أول 10 / 1.

(2) ليب حتى، تاريخ لبنان، بيروت 1985، ص 41.

(3) القرآن الكريم، سورة التين: الآيات 1 2 3، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1990، ص 599.

(4) كانت بعض هذه المحاصيل غير معروفة في مصر، وعندما قام الفرعون المصري تحوتمس الثالث في القرن الرابع عشر ق.م بحملة على سورية، قام بنقش مآثر الحملة على جدران معبد الكرنك، ومن بين النقوش نجد فاكهة العنب والرمان التي تأثر بها المصريون كثيرا. للمزيد من المعلومات أنظر: كونتنو، الحضارة الفينيقية، ص 34.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

النهرين، كما التجأوا إلى التجارة البرية والبحرية لتوفير ما ينقصهم في المجال الاقتصادي عامة والزراعي على وجه الخصوص.

المبحث الثاني: الصناعة وأنواعها:

عرف الفينيقيون عدة صناعات نتناولها في هذا المبحث فقد برعوا في صناعاتهم المختلفة، وتفوقوا على شعوب العالم القديم فيما ابتكرته عقولهم، وصنعتهم أيديهم، وأثبتوا أن الشهرة لا تؤخذ بالسيف فقط، لكن بالتفوق في الصناعة والتجارة أيضا، وتشير المصادر التي تناولت فترة فجر التاريخ، أن الفينيقيين قد وجدوا أنفسهم على أرض ضيقة عاجزة على استيعاب العدد الكبير من السكان، ولا تستطيع أن تؤمن لهم جميع المواد، التي يحتاجون إليها، فاضطروا أن يقيموا علاقات مع الخارج سواء في التجارة، أم عن طريق النزوح والانتشار بواسطة الهجرة كان نشاط الفينيقيين في مجال الصناعة موازيا لنشاطهم في مجال الملاحة البحرية والتجارية، مما فتح لهم الآفاق الواسعة في مختلف أسواق العالم القديم خاصة على ضفاف البحر المتوسط وجزره⁽¹⁾ كان الفينيقيون أول شعب جعل الصناعة ضمن الأولويات لتأمين الأدوات والوسائل الضرورية لحياتهم فوفروا ما تطلبه السوق والحاجة لهم وباعوا الفائض من منتجاتهم الزراعية والصناعية في الأسواق الخارجية للبحر المتوسط⁽²⁾، ولم يكتفوا بالابتكار بل كانوا يكيّفون صنعه أيدي جيرانهم فيقتبسونه ويطورونه⁽³⁾ وجعلوا منه سلعا ذات مكانة اقتصادية، فنالت إعجاب الشعوب التي تعاملت معهم حتى أن المدن اليونانية في عصرها الذهبي قدمت المصنوعات الفينيقية جوائزاً لأبطالها في المنافسات الرياضية الأولمبية⁽⁴⁾.

(1) محمد عزة دروزة: المرجع السابق، ص 81.

(2) وهيب أبي فاضل: موسوعة عالم التاريخ والحضارة، العالم من عصور ما قبل التاريخ حتى العصور الوسطى، الجزء الأول، الطبعة الأولى، نوبليس: بيروت، 2003، ص 98.

(3) جوزيف صقر، المرجع السابق، ص 115.

(4) J.Gabriel Leroux. Op- cit. P83.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

وهذا دليل على مكانتها الدولية وجودة صناعة الفينيقيين، والملاحظ أن الصناعة التقليدية الفينيقية تميزت بالمهارة في تحويل المواد الأولية المستوردة من أسواق ما وراء البحار والتي عملوا على توفيرها عن طريق الرحلات والهجرات عبر شواطئ البحر المتوسط شرقا وغربا⁽¹⁾.

كان الفينيقيون يتاجرون بمصنوعات الآشوريين، والكلدانيين والمصريين، وكانت لهم تجارة واسعة من صنع أيديهم، فتعددت لديهم الأنشطة الصناعية من صناعة معدنية وخشبية وزجاجية وخزفية، غير أن الصباغ الأرجواني هو أحد الصناعات الكبرى في تاريخ الصناعة الفينيقية، حتى ذكر أن اليونانيين سموا بحب المنطقة (فينيقيين)⁽²⁾.

- صناعة الأرجوان:

يلاحظ الدارس لهذا الموضوع أنهم عرفوا صناعة الأرجوان الذي احتكرت مدينتي صور وصيدا صناعة⁽³⁾، وتذكر المصادر أنهم تفوقوا في صناعة ومن الأدلة على ذلك وجود بقايا أنقاض صناعة⁽⁴⁾، خاصة في جنوب مدينة صيدا، حيث يوجد تل محاذي للشاطئ تكون بمرور الزمن من أنقاض أصداف المريق⁽³⁾ (Murex) وتشكل هذه الأصداف اليوم طبقات سمكها عدة أمتار مما أدى إلى ارتفاع مستوى التل ببقاياها المنتشرة⁽⁴⁾.

كانت الرائحة الكريهة التي تعم شوارع صور نتيجة صناعة الأرجوان المستخرج من صدف المريق لا تزجج الفينيقيين لأنها عادت عليهم هذه

(1) Sabatien Moscati , Les phéniciens, P 81.

(2) حسن حلاق: المرجع السابق، ص 68.

(3) المريق (MUREX) حيوان بحري من الرخويات كان متوفر بكثرة غير بعيد عن الشاطئ الفينيقي، المريق الميت يفرز سائلا إذا وضع فوق مادة بيضاء اصطبغت باللون البنفسجي، وتبعا لكثافة السائل ولمدة تعرضه للشمس يتحول اللون من القرنفلي إلى البنفسجي الداكن. للمزيد من المعلومات أنظر سبايتنو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص ص 143 - 144.

(4) Contenau (G), Op-cit, P 303.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

الصناعة بالأموال الوفيرة والشهرة العالمية، وتحكموا في أسواق العالم القديم في هذه المادة والملاحظ أن الأوعية التي كان يوضع فيها المريق حتى يتعفن ويفسد ليفرز سائله كانت توجد على مسافة بعيدة نوعاً ما عن المدينة بسبب رائحتها الكريهة⁽¹⁾ و أن سواحل البحر المتوسط الغربية والشرقية تحتوي على كميات متنوعة مختلفة من صدف المريق⁽²⁾، فإن شعوب أخرى كالميقنيين⁽³⁾ "Micyneens" كانت تستخدم هذه الأصداف التي استخرج منها الفينيقيون الأصباغ الأرجوانية والتي زادت من شهرتهم بين شعوب معاصريهم⁽⁴⁾ إن أرجوان "صور" كان أشهر الأصبغة وأغلاها في العصور القديمة، مثلما أشار إليه بلين⁽⁵⁾ (Pline): « إن أجود أرجوان في آسيا كان يوجد في صور»⁽⁶⁾.

ذكر سترابون Strabon عند زيارته مدينة صور: «إن أرجوان صور هو الأجود مقارنة بالأصداف التي تم جمعها في الساحل، حيث أنه نتيجة للعدد الكبير من المصانع أو الورشات التي يستخرج منها محلول الأرجوان جعلت أجواء المدينة

(1) سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 144.

(2) فليب حتي: المرجع السابق، ص 102.

(3) الميقنيين "Micyneens": سكان ميقينية، وهي مدينة تقع في شمال شرق " إرقوس" وحسب الأساطير الاغريقية فقد تم تأسيسها من طرف " برسي" (Perse) ابن الإله زيوس (Zeus) ودناي (Danae)، وعرفت هذه المدينة حضارة مشهورة في العالم القديم أقامها الأخيون (Acheens) الذين هم من أصل هندو- أروبي، واجتاح الميقنيون اليونان من الشمال حوالي 1900 ق م وأقاموا على الساحل حيث بنوا سلسلة من القلاع والميقنيتيون كانوا من الأبطال الذين خلدتهم هوميروس في ملحمتيه الإلياذة والأوديسه، وامتدت الحضارة الميقينية على جزء كبير من العالم الايجي في الفترة ما بين 1600 - 1000 ق م وتعرضت للتخريب بعد الغزو الدوري. للمزيد من المعلومات أنظر:

Michel Mourre- Dictionnaire encyclopédique d 'histoires, Bordas.1978, p3078.

وليونارد سيللي، موسوعة عالم المعرفة، الجزء الأول، دار نوبلس للنشر، بيروت، لبنان، 2002، ص 34.

(4) محمد غلاب: الساحل الفينيقي وظهره في التاريخ والجغرافيا، دار العلم للملايين، بيروت 1969، ص 359.

(5) بلين (Pline): مؤرخ لاتيني ولد في مدينة كوم (Come) 23م، كان قائد في البحرية برتبة أميرال، توفي 79م، عندما انفجر بركان فيزوف (Vesuve)، ألف مجموعة من الكتب التاريخية من 37 جزء بعنوان التاريخ

الطبيعي Histoire Naturelle . للمزيد من المعلومات انظر: Le Petit Larousse, 1982. p1608

(6) Pline, Hist Nat, IX, P 60.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

منفرة للاستقرار نتيجة للرائحة الكريهة وأن هذه الصناعة عادت على الصوريين بالثراء والشهرة»⁽¹⁾ أصداف المريق⁽²⁾ التي تصطاد في سواحل صور كانت مطلوبة كثيرا وأرجوانها مـ ف بالأرجوان الملكي (*Pourpre Royale*) وكـ ان يختلف عن أرجوان مريق شواطئ اليونان الذي يميل إلى اللون البنفسجي، في حين مريق سواحل المحيط الأطلسي كانت المادة التي يفرزها سوداء اللون⁽³⁾.

إن عملية إعداد الصباغ لم تكن معروفة حيث سكنت المصادر الفينيقية عن ذكرها، إلا أن بلين (*Pline*) وصفها قائلاً: «إن السمك الصدفي يؤخذ حياً لأنه عندما يموت يفرز هذا العصير، وينتزع السائل من إحدى عروقه، ويملح ويترك ثلاثة أيام، ثم يغلى في حرارة معتدلة، وفي اليوم العاشر عندما تصبح محتويات القدر مائعة تغطس المادة النسيجية فيه لامتصاص السائل، ويصبح الصباغ جيداً عندما يتخذ لون الدم المتجمد»⁽⁴⁾.

طور الفينيقيون صناعة الأرجوان حتى قضوا على المنافسة الإيجية، بعد أن كانت صناعتها متفوقة عليهم في أواخر الألف الثاني ق.م ويرى البعض أن العدد الهائل من الأصداف المطلوبة لإنتاج الصباغ الأرجواني، وسعرها المرتفع كان السبب في جعلها رمزا للثراء والمركز.

وكان لأصداف المريق استعمالات أخرى، فقد استخدم في إعداد مسحوق الكلس أو في إنتاج الملاط (*Lime*) الذي يستخدم كمثبت للبناء وكمقوي للفخار⁽⁵⁾.

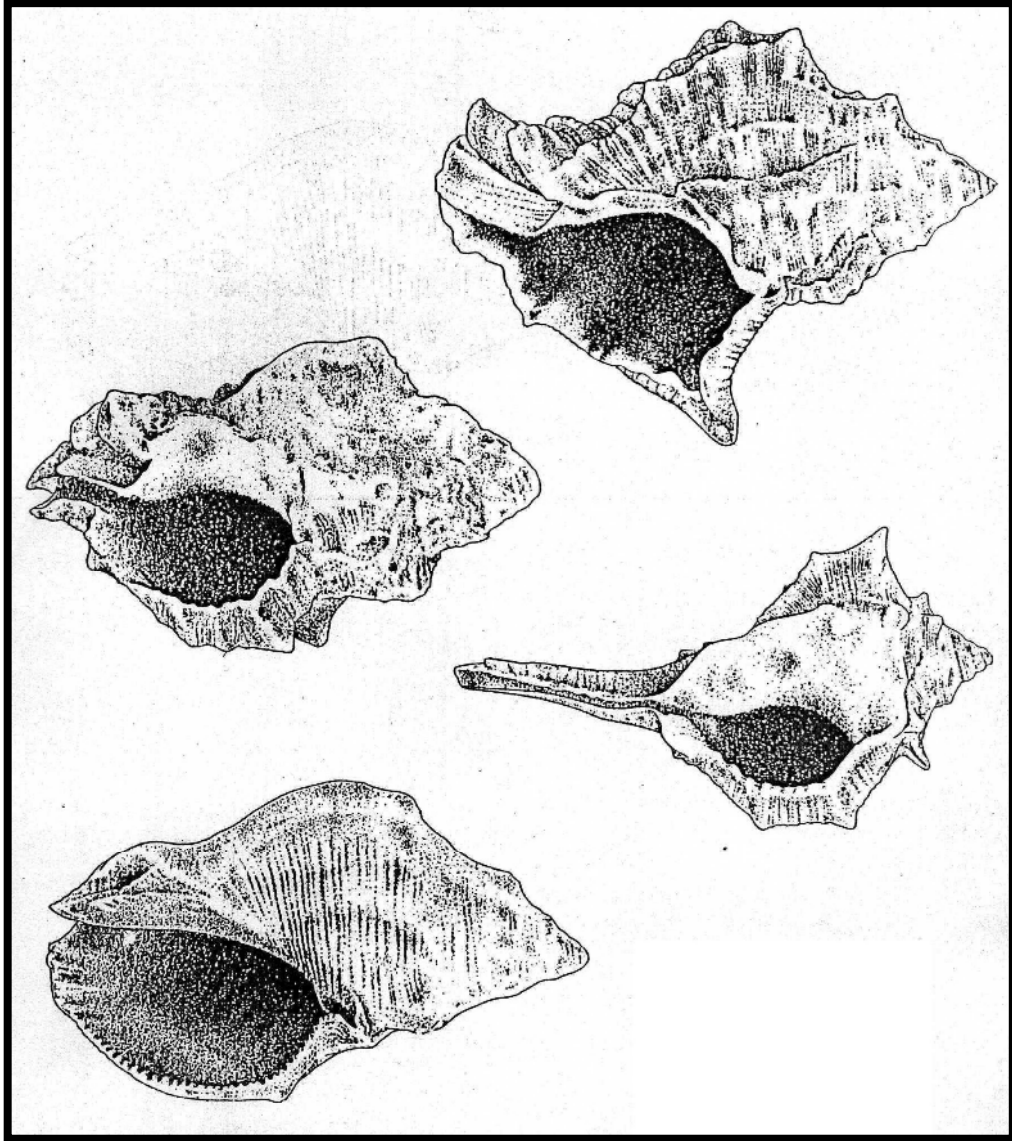
(1) Strabon, Geographie, XVI, P2.

(2) أنظر: شكل رقم 04 ، ص 30.

(3) Seignobos (CH), Histoire ancienne des peuples de l'orient, Librairie Armand Colin, Paris⁽³⁾ 1912, P 330.

(4) Pline, Histoire, NAT, IX, 60.

(5) عبد الحفيظ الميار: المرجع السابق، ص 178.



شكل رقم 4 : تمثيل خطي لمختلف أنواع المريق (MUREX)

SABATINO MOSCATI ,LES PHENICIENS, p 555

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

وأحاط الصوريون طريقة استخراج الصباغ بسرية تامة محافظين بذلك على احتكارهم المطلق لهذه الصناعة ومبعدين عنها كل منافسة لهم⁽¹⁾، والسبب في ذلك يعود إلى أن أهمية هذه المادة تتمثل في أنها الصبغة الوحيدة المعروفة في العالم القديم التي لا تزول بعد غسلها⁽²⁾، وهذا دليل على تطور وإتقان الصناعة الفينيقية ومن ثم اشتهرت نساء الفينيقيين باستخدام الألوان الزاهية الجميلة التي كن يصبغن ما يرغبن في تزيينه من الأقمشة⁽³⁾ والحق فإننا نرى أن الصانع الفينيقي جمع بين صناعة المنسوجات وبين صناعة استخراج مادة الأرجوان، ولهذا ازدهرت هذه الصناعة التي أضحت تمثل تجارة فينيقية هامة بدليل أن ملوك وأباطرة اليونان والرومان كانوا قد ارتدوا اللباس الملكي الأرجواني الذي صبغه الفينيقيون إعجابا به واعترافا بمكانته المتميزة. الصناعة الأرجوانية الفينيقية كانت متفوقة على صناعة معاصريها، ولهذا عرفت إقبالا هاما من قبل حكام البلدان المعاصرة والمجاورة لهم.

- صناعة المعادن:

اشتهر الفينيقيون بالصناعة المعدنية، خاصة في عصر البرونز المتوسط و الأخير في الفترة الممتدة ما بين ألفان ومائ - ألف ومئتين ق.م « 2100 - 1200 ق.م » صنعوا البرونز بكثرة، بعد مزجوا الحديد بمعادن أخرى كالفلوذا، وكانت تلك الصناعة مجهولة في ذلك الوقت لدى شعوب العالم القديم⁽⁴⁾، حيث : واستوردون الحديد من آسيا وبلاد عيلام، وآسيا الصغرى، ولما برعوا في الملاحة البحرية استوردوه من « إتروريا » -في إيطاليا اليوم-، فصنعوا من هذه المعادن السلاح والتماثيل، والكؤوس والنقود التي كانت تحمل سكتها رسم مركب في .

⁽¹⁾ معن عرب: المرجع السابق، ص 111.

⁽²⁾ Krings (V), Op- cit, p 358.

⁽³⁾ وويل ديورانت: قصة الحضارة، نشأة الحضارة: الشرق الأدنى، الجزء الأول، المجلد الأول، دار انجيل، بيروت، 1971، ص 310.

⁽⁴⁾ فيليب حتي: المرجع السابق، ص 95.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

أما الذهب فقد خصوا به الحلي وما شابهها من الكماليات واستخرج الفينيقيون المعادن من مستوطناتهم التي أسسوها في حوض البحر المتوسط الشرقي والغربي مثل النحاس من قبرص، والفضة من أحواض 'سولكيس' « سردينيا » و« ريوتينتو » (**Riotinto**) في شبه جزيرة ابيريا والذهب من جزيرة "تاسوس" (**Thasos**) وكادموس في 'تراقيا' (**Trace**)، كما استخرجوا النحاس من مناجم في ضواحي قرطاج⁽¹⁾ وورد عن هيرودوت بشأن ذهب تاسوس قائلاً: "لقد رأيت بعيني مناجم الذهب فيها وكان أفضلها ما اكتشفه الفينيقيون"⁽²⁾ اشتهروا أيضا بصناعة النحاس الأصفر مثلما جاء ذكره في المصادر الدينية الكتاب المقدس العهد القديم حيث أشار إلى المصنوعات الفنيقية التي وجدت في هيكل وبلاط الملك سليمان⁽³⁾.

جاء في الكتابة الهيروغليفية⁽⁴⁾ في عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة في مصر ذكر لآنية النحاس الفينيقية⁽⁵⁾ كانت تقدم عبارة عن 'جزية' أو 'ضريبة' للحكام من بين مواد ضريبة الولاء⁽⁶⁾ وهذا دليل على مكانتها في الصناعات المصرية الذين كانوا يصنفونها ضمن الصناعات الرفيعة.

(1) Krings (V), Op- cit, P 356.

(2) Herodote, VI, 47

(3) سفر الملوك 7/ 46-13.

(4) الهيروغليفية شكل من أشكال الكتابة التي تستخدم فيها الرموز التصويرية لتمثل أفكارا وأصواتا معينة، وتدل الهيروغليفية على العموم الكتابة المستخدمة في مصر القديمة. وظهرت لأول مرة في مخطوط رسمي ما بين عامي 3300 ق م و 3200 ق م وكان يسمى هيروغليفي، وكلمة هيروغليفية تعني بالإغريقية 'نقش مقدس'، وأخذت الهيروغليفية صورها من الصور الشائعة في البيئة المصرية، وكانت تضم الأعداد والأسماء وبعض السلع، وفي عصر الفراعنة استعملت الهيروغليفية لنقش أو زخرفة النصوص الدينية على جدران القصور والمعابد والمقابر وسطح التماثيل والألواح الحجرية المنقوشة والألواح الخشبية الملونة، وضلت الهيروغليفية ككتابة متداولة حتى القرن الرابع الميلادي. للمزيد من المعلومات انظر: الموسوعة العربية العالمية، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999، ص 323.

(5) انظر شكل رقم 05، ص 33.

(6) يوسف الدبس، المرجع السابق، ص 318.



شكل رقم 5: صورة تمثل تجار فينيقيين يقدمون الهدايا، منقوشة على قبر

سبخوتب (Sebekhoteb) في طيبة (THEBES)

Claude Shaeffner, Histoire Universelle Ulistre, Les Premiers Empires,
Naissance De La Grece, Edition Rencontre, Lausanne, 1968, P 124

- صناعة العاج:

تميزت الصناعة التقليدية الفينيقية بالمهارة في تحويل المواد الأولية المستوردة إلى تحف بديعة⁽¹⁾، ومنها العاج التي تعتبر مادة غريبة عن⁽²⁾ اعتمدت بشكل أساسي على العاج المستورد من الهند وإفريقيا، ولم يصل التجار الفينيقيون إلى تلك المناطق وإنما جرى في بعض الأحيان أن قاموا بشرائه من خلال محطات تجارية مثل مصر وبلاد ما بين النهرين⁽³⁾.

وتعود أقدم قطع العاج الفينيقية إلى القرن الثاني عشر ق م وهي عبارة عن تحف مصنوعة من العاج وجدت بمدينة مجدو، وتتطابق الأمشاط⁽⁴⁾ التي اكتشفت في قبور بإسبانيا مع صناعة مجدو، لكنها ترجع للقرن الثامن ق. م، ومن ثم فإنها تعاصرها ولا تتشابه بخصائصها الفنية، وقد تكون أكثر تطوراً منها لأنها حديثة عنها⁽⁵⁾.

وورد عن النبي " حزقيال "، أنه ذكر مهارة الصوريين في صنع العاج حيث كانوا يزخرفون به المساكن والمتاع بأشكال بديعة وأظهرت الحفريات وجود قيتارات وأبواق وآلات موسيقية متنوعة مما يدل على رقي هذه الصناعة وازدهارها عند الفينيقيين⁽⁶⁾.

ونلاحظ من خلال تتبع المصادر والمراجع التي تناولت الجوانب الجمالية الفنية لهذه الصناعة، أنها رائعة في صنعها وجمالها حتى أنها اعتبرت من أثنى آثار الفن في الشرق القديم⁽⁷⁾.

(1) Le Roux (J.G), Op.Cit, P83.

(2) فليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص 96.

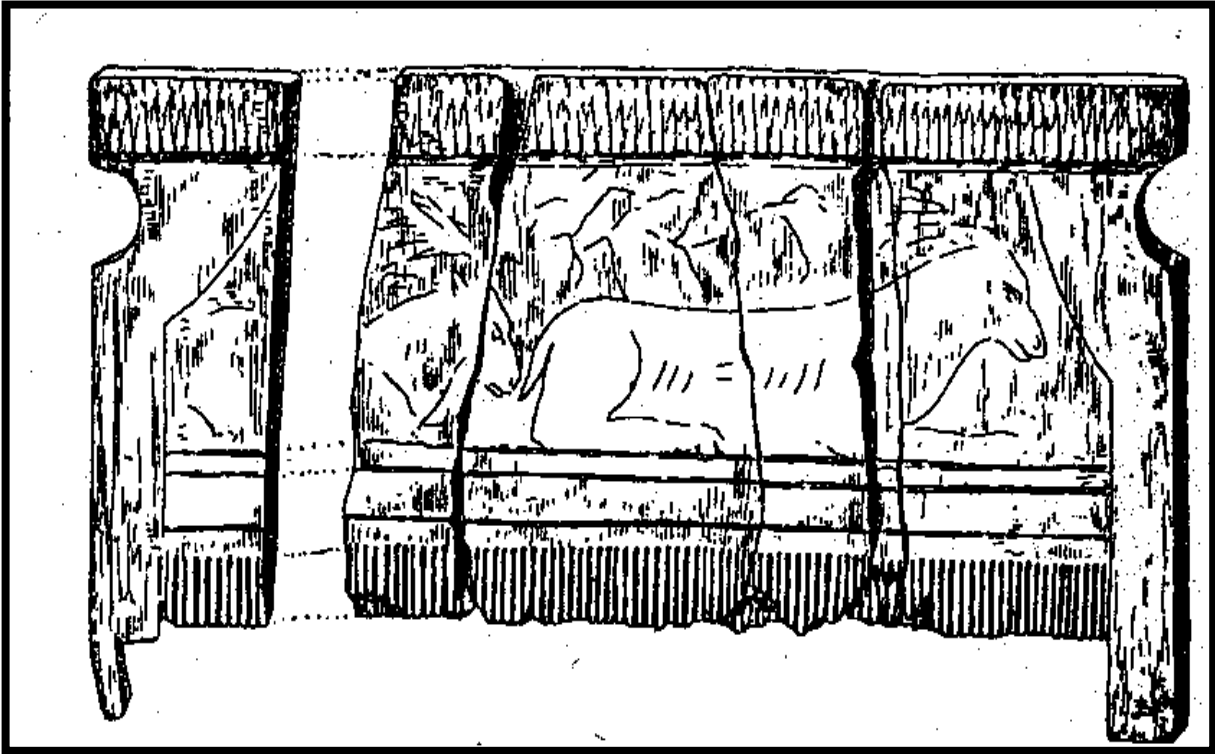
(3) Le Roux (J.G), Op.Cit, P83.

(4) أنظر شكل رقم 96، ص 35 .

(5) فليب حتي، المرجع السابق، ص 96.

(6) يوسف الدبس، المرجع السابق، ص 319.

(7) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 401.



شكل رقم 6: مشط فينيقي من العاج وجد في إسبانيا

VIGOUROX (CF), OP-CT, P 234.

- صناعة الزجاج:

لقد اكتشفنا في بحثنا هذا مدى تقدمهم ومعرفتهم ؛ صناعة الزجاج⁽¹⁾ وتسويقه منذ بداية نشاطهم التجاري حتى قيل أنهم مخترعوه حيث برعوا في صناعته، وبلغوا مستوى رفيعا بالمقارنة مع معاصريهم في هذه الفترة المدروسة ويبدو أنهم أخذوا تلك الصناعة من المصريين حسب ما جاء في المصادر الكتابية والمادية القديمة والحديثة.

وورد عن بلين (PLINE): 'أن بعض التجار كانوا يعدّون طعامهم على الشاطئ قرب مدينة " " وقد استخدموا بعض قطع نترات البوتاس (الصودا الكاوية) التي كانت تحملها سفنهم لنصب أواني الطبخ على النار، فاكتشفوا على إثر ذلك سائلا شفافا عندما تعرضت قطع النترات للنار واختلطت بالرمل"⁽²⁾ واستطاع الفينيقيون تطوير هذه الصناعة حيث صنعوا منها الزجاج الشفاف، بينما كان الزجاج المصري يفقد للشفافية⁽³⁾.

لعب الفينيقيون الدور البارز في نشر وتطوير تقنية صناعة العجين الزجاجي والصناعة الزجاجية في غرب المتوسط، حيث تحتوي العجينة الزجاجية على السليكات (SILICAT) وأوكسيد الصوديوم (Oxyde Sodium) وأوكسيد الكالسيوم (Oxydes Calcium) الموجودين خصوصا في شواطئ فينقيا البلد الأم⁽⁴⁾، وقد أبدعوا في الصناعات الزجاجية حتى وصل الاعتداد لديهم إلى توقيع أسماءهم على منتجاتهم الصناعية⁽⁵⁾ وتعد مصانعهم في مدينة صيدون من أشهر المعامل في العالم القديم ولدى الشعوب والدول المعاصرة لهم ويوجد الآن في متاحف أوروبا الكثير من مصنوعاتهم الزجاجية الملونة الجميلة الرفيعة الجمال والعالية التقنية⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ أنظر شكل رقم 07، ص 37.

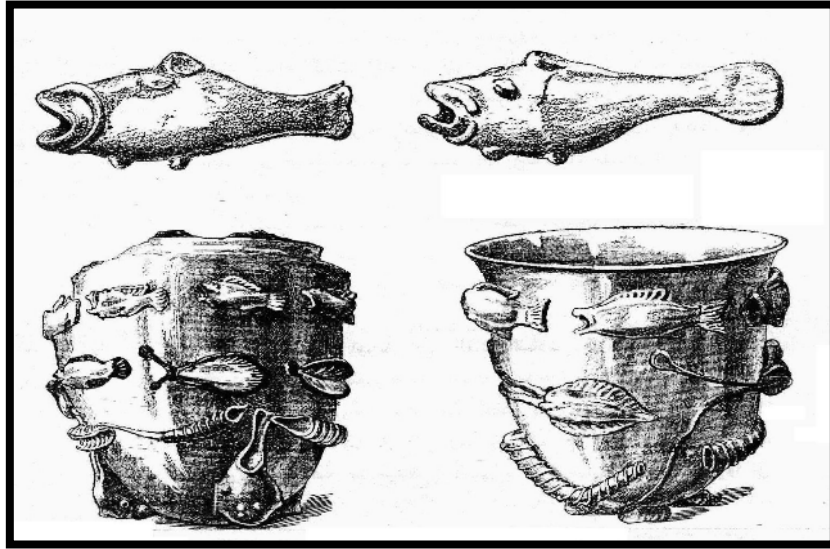
⁽²⁾ Pline, Histoire, NAT, IX, 65.

⁽³⁾ سباتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص 144.

⁽⁴⁾ Krings (V), Op- cit, p 358

⁽⁵⁾ فيليب حتى: خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، المجلد الأول، ط1، الدار المتحدة للنشر، بيروت 1975، ص 121.

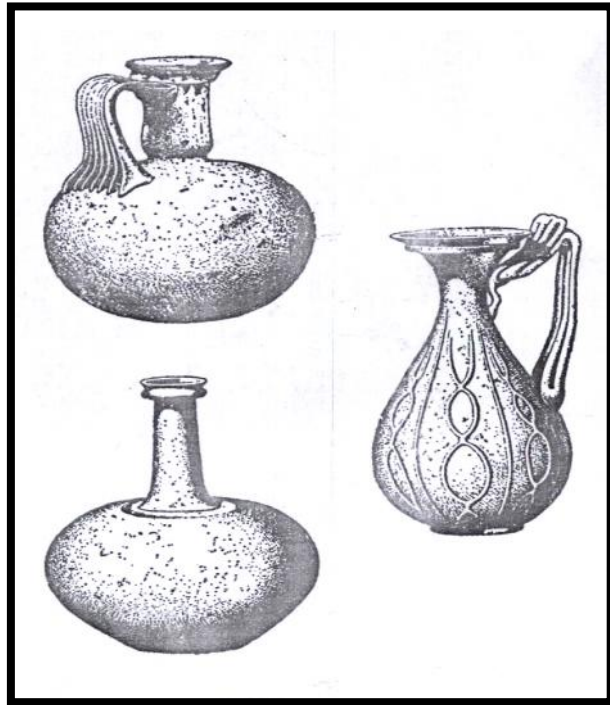
⁽⁶⁾ منير الخوري: صيدا عبر حقب التاريخ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1966، ص 32.



أ



ج



ب

شكل رقم 7: نماذج من مصنوعات زج

أ- معن عرب، صور حاضرة فينيقيا، دار المشرق، بيروت، 1970، ص 102.

ب- HERM GERARD, Les Pheniciens "L'antique Royaume de la pourpre" FAYARD, 1976, P101

ج- وهيب أبي فاضل، المرجع السابق، ص 98.

- صناعة الفخار:

تشير الدراسات التاريخية أن صناعة الفخار تعد من أهم الصناعات الفينيقية وأكثرها ازدهاراً، وقد تأثروا في هذه الصناعة بالحضارات الكبرى، في وادي النيل ووادي الرافدين، وغيرها من حضارات الأمم المجاورة⁽¹⁾.

تعتبر صناعة الفخار من أقدم الصناعات التي مارسها الإنسان عبر مراحل تاريخه، حيث كانت لها أهمية كبرى في حضارات العالم القديم في الميدانين الاقتصادي والمنزلي، فاستعمل دولاب الخزف في أوائل الألف الثاني ق.م أعطى المصنوعات الخزفية صفات جديدة متناسقة⁽²⁾ برع الفينيقيون في صناعة الخزف⁽³⁾، فصنعوا منه كميات ضخمة من الأنية⁽⁴⁾ والتماثيل الصغيرة، ولما كان اهتمامهم بالناحية التجارية عموماً ركزوا على صنع تحف فنية، رخيصة، وتماثيل مرغوبة في الأسواق ولحفظ المنتجات الزراعية كالحبوب والسوائل « الزيت، النبيذ، العسل » ونقلها لتصديرها، ظهرت صناعة الأواني الفخارية⁽⁵⁾ والتي من أهمها الجرار «Amphores» وكسب اليونانيون هذه الصناعة عن الفينيقيين، لأن هناك تشابه كبير بين مصنوعاتهم⁽⁶⁾، وورد عن سترابون (Strabon): « إن فن صناعة الفخار في فينيقيا كان بعيداً من حيث النوعية مقارنة بصناعة الزجاج، غير أن الفينيقيين كانوا ينتجون مصنوعات تجارية متوسطة النوعية الهدف منها هو بيعها لشعوب البحر المتوسط بأثمان معقولة، وبكميات كبيرة للحصول على أرباح أكثر⁽⁷⁾ ».

ونستنتج أن صناعة الفخار مرتبطة بالتجارة الخارجية، وإمكانات الشعوب التي يتعامل معها الفينيقيون.

(1) محمد بيوم مهران، المدن الفينيقية، ص 401.

(2) فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص 95.

(3) كانت صناعة الخزف الفينيقية نادراً ما تحمل ألوان وكانت تستعمل لتخزين المواد الغذائية ونقل وحفظ الخمور والزيوت ومنها ما كان يستعمل في التراتيب الجنائزية لحمل الجثث أو يوضع فيها رماد الجثث المحروقة. للمزيد من المعلومات انظر:

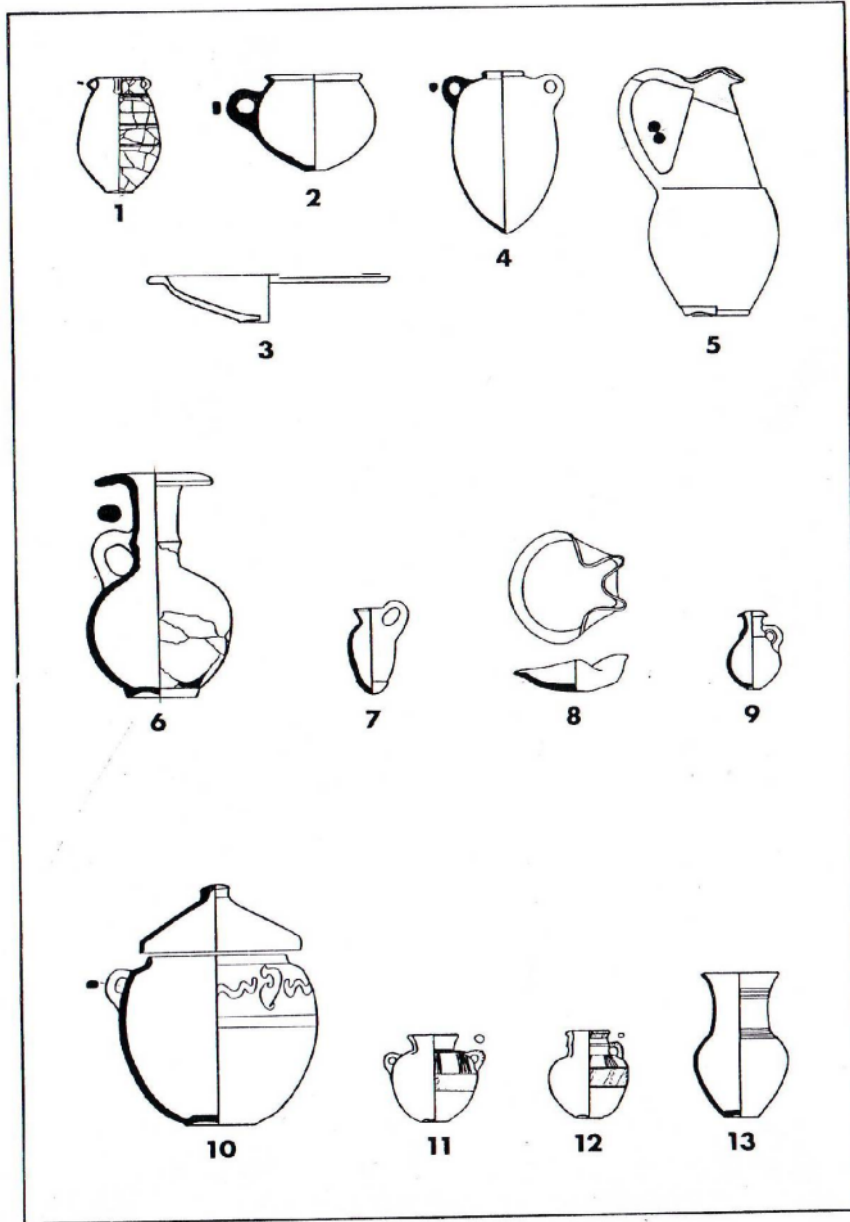
G.RAS, Op.cit, p p92-93

(4) 39 08

(5) 40 09

(6) د الحفيظ الميار: 171

(7) Strabon, Geographie, III, V, P11.



شكل رقم 8: أواني فخارية فنيقية من مختلف المستوطنات الفينيقية

Gras (M), Op.cit, p 93

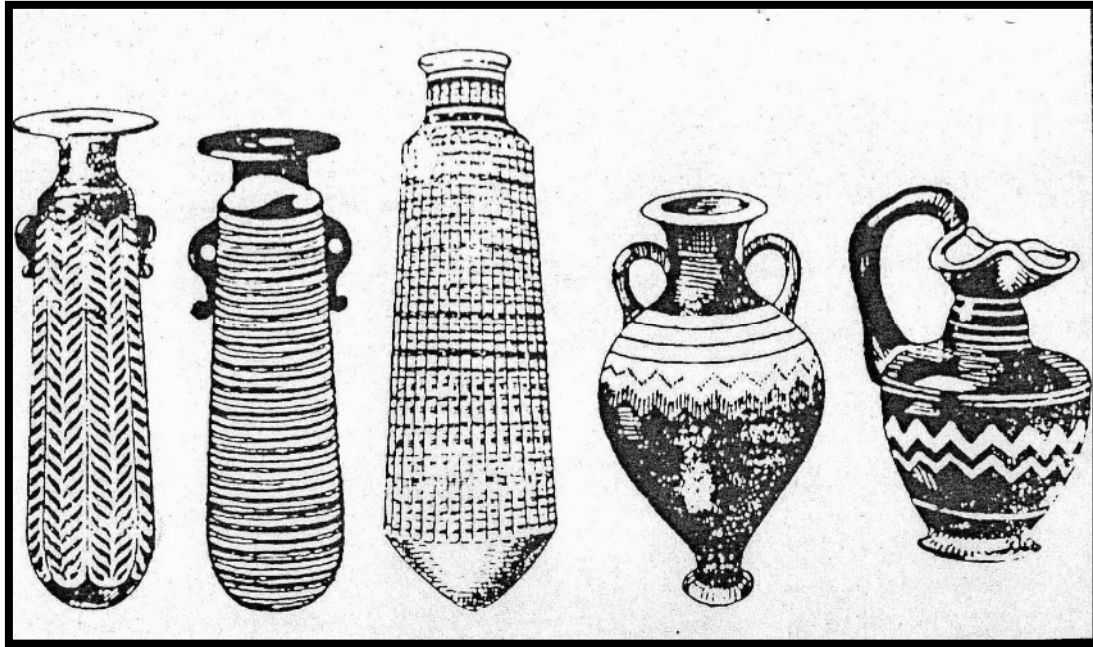
1+2 : أواني فخارية قرطاجية تستعمل لتخزين المواد الغذائية.

3: إناء فخاري فنيقي من ميزيكتيا "Meziqitilla" بإسبانيا يستعمل في نقل وتخزين الخمر.

4+5+6+7: جرار من قرطاج تستعمل في عدة ميادين خاصة تخزين الزيت.

8: إناء فخاري من مالطة يستعمل في الإنارة.

9+10+11+12+13: أواني فخارية فنيقية من مالطة وبيتيا وقرطاج تستعمل في المراسيم الجنائزية



أ



ب

شكل رقم 9: منتجات فخارية فينيقية

وهيب أبي فاضل، موسوعة عالم التاريخ والحضارة، ص 90.

- صناعة القوارب والسفن:

إن العمل الجريء الذي ينسب للفينيقيين هو بناءهم لسفن عظيمة مآخرة البحار والمحيطات، فقد قلب هذا الاختراع فن الملاحة رأساً على عقب⁽¹⁾ فبرزوا صناعة السفن التي كانت ذات أهمية كبيرة بالنسبة لأعمال البحر خاصة التجارة البحرية وصيد السمك والنقل البحري، والعامل الضروري لازدهار صناعة السفن، هو توفر المادة الأولية ألا وهي الخشب، فهذه الصناعة كانت المدى الأرحب لإبراز براعة الفينيقيين الصناعية، إذ تضافرت لإتقانها جميع العوامل الطبيعية والبشرية من خشب وخبرة ملاحية ومعلومات جغرافية وملاءمة الساحل للصيد والسفر.

لقد وصف المؤرخون القدامى الذين قدموا للدارسين أنواعاً وأشكالاً ومميزات السفن الفينيقية⁽²⁾، التي كانت في البداية صغيرة الحجم قليلة الارتفاع، مكشوفة وتسير بمحاذاة الشاطئ لعدم قدرتها على الابتعاد عنه لكي تلجأ إليه إذا ما هبت العواصف الخطيرة الهوجاء⁽³⁾.

وبمرور الوقت استطاعوا إدخال تحسينات على صناعة السفن وأصبحت أكثر حجماً وسرعة ومزودة بشراع تساعد على الإبحار في المحيطات، ويصف الكتاب المقدس العهد القديم مدينة صور على شكل سفينة حيث يذكر مجموعة الأخشاب المستعملة في صناعتها⁽⁴⁾، فمدينة صور كانت توجد بها أكبر ورشات بناء السفن التي كانت مصنوعة من عدة أنواع من الأخشاب منها السرو (Cypres)، والأرز (Cedre) والسنديان والبلوط (Chene)، لأن هذه المواد الأولية الخاصة بهذه الصناعة تمتاز بالمقاومة والصلابة⁽⁵⁾، فالسفن التجارية الفينيقية كانت معروفة بالتسمية اليونانية 'غولوس' (Gaulos) وتعتبر هذه التسمية

(1) محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، ص 270.

(2) Contenau (G), Op-cit, P 233

(3) عبد الحفيظ الميار: 100.

(4) سفر حزقيال 27: 3-15.

(5) Somrest Frey. Op. cit. P 68.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

تشويها لاسم الفينيقي الحقيقي لهذه السفن بحيث ينحدر من أصل (G.W.L) وهذه الكلمة تستعمل للدلالة على شيء دائري ومكور⁽¹⁾.

كانت السفن الفينيقية بسيطة في أول الأمر لا تقوى على أن تتوغل في ماء البحر فلم تكن أكثر من زوراق مكشوفة، قليلة الارتفاع، لا تستطيع أن تحمل قدر كبيراً من السلع⁽²⁾.

وعرف الفينيقيون بمهاراتهم في بناء السفن وإصلاحها⁽³⁾، وتشير الأدلة إلى أن هناك نوعان رئيسيان من السفن التي كان يستعملها الفينيقيون في البحر المتوسط وهما: "المدورة" وهي المستعملة لأغراض النقل، والطويلة وهي المستعملة للحروب⁽⁴⁾، بالإضافة إلى نوع آخر من السفن الصغيرة عرف بالأحصنة (Hippos) لأن مقدمتها تشبه رأس الحصان⁽⁵⁾ وتستعمل في صيد السمك.

وكان هذا النوع من السفن يعتمد على رفع الشراع ويحتوي على صار واحد (MÂT)، يحمل شراعا مصنوعة من مادة الكتان التي لها قدرة على مض سرعة السفينة، ويشترط في السفينة الفينيقية التجارية سعتها الكبيرة لحمل الكثير من السلع بغض النظر عن عامل السرعة التي تسير بها⁽⁶⁾، والأهم هو الكمية الكبيرة التي تستطيع حملها، حتى ولو كان ذلك على حساب الوقت الذي قد تستغرقه في رحلتها.

كانت السفينة التجارية مرفوعة المقدمة⁽⁷⁾ والمؤخرة، وكان طول بعضها يصل إلى عشرين متراً، وهي تتحرك بواسطة شراع كبير أو أكثر، ويدير السفينة ملاح موقعه في المقدمة، ويقوم صفان من المجذفين بدفع السفينة إلى الأمام، وكان وسط

(1) Krings (V), Op- cit, P 285.

(2) محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، ص 270.

(3) Moscati, Les Phiniciens, Op.cit, P179.

(4) عبد الحفيظ الميار، المرجع السابق، ص 182.

(5) نفسه، ص 183.

(6) محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، ص 56.

(7) انظر الشكل رقم 10، ص 43.



رقم 10 : سفينة شراعية تجارية فينيقية

SABATINO MOSCATI , Les Phiniciens, p 73

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

السفينة عريض لكي يتسع لكمية أكبر من البضائع⁽¹⁾، ووجدت عدة نماذج لسفن تجارية فينيقية منقوشة على جدران قصر خرسباد (*Khorsabad*)⁽²⁾ الذي بني في عهد سرجون الثاني ملك آشور في القرن الثامن ق م⁽³⁾ وبلغت مهارة الفينيقيين في بناء السفن ذات ثلاثة طوابق مجهزة بمجاذف بلغ عددها أربعين مجدف أو يفوق⁽⁴⁾ وكانوا خبراء في بناء السفن، فهم أول من بنى السفن باستخدام طريقة الألواح المتعارضة في الأجناب⁽⁵⁾.

نجح الفينيقيون في صنع سفن أقوى وأخف بكثير من سابقتها بفضل اختراع الصالب⁽⁶⁾ الذي يعد العمود الفقري الحقيقي للسفينة وهو الاختراع المتطور جدا بالنسبة لعصر الحديد، فمكن الصالب والأضلع والمسمار الحديدي من صناعة سفن قادرة على أن تشق الأمواج العاتية بسهولة⁽⁷⁾.

كان الملاح الفينيقي يحسن ضبط الاتجاه ويعرف المسالك السهلة السليمة التي تقيه من خطر العقبات: كالقرصنة والصخور البارزة في وسط البحار والتيارات البحرية السريعة والصعبة التجاوز⁽⁸⁾.

وهكذا ذاع صيت الأساطيل الفينيقية، حتى غدت فينقيا قوة بحرية تتربص وتخشاها جميع الإمبراطوريات المجاورة والمعاصرة لها في مصر وما بين النهرين وفارس لتحكمها في ركوب البحر واحتكارها للطرق البحرية شرقا وغربا، مما جعل البحرية الفينيقية من أشهر وأقدم بحرية في العصور الغابرة.

⁽¹⁾ جوزف صقر: المرجع السابق، ص 118.

⁽²⁾ أنظر شكل رقم 11، ص 45.

⁽³⁾ Contenau (G), Op-cit, P 234.

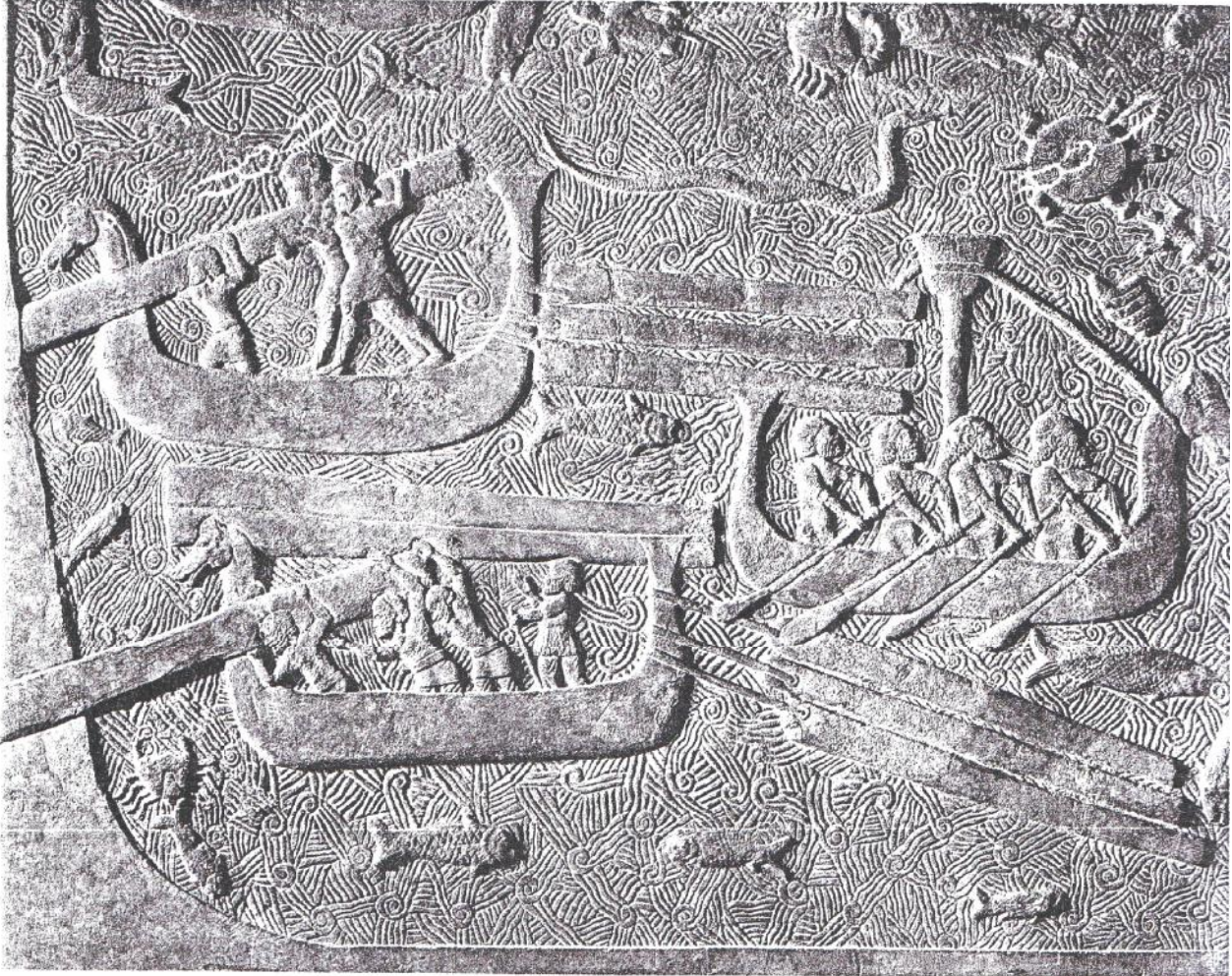
⁽⁴⁾ محمد عزة دروزة: المرجع السابق، ص 83.

⁽⁵⁾ محمد فؤاد إبراهيم: موسوعة المعرفة، مج 3، الشركة الشرقية للمطبوعات، بيروت، 1981 ص 451.

⁽⁶⁾ الصالب: عارضة رئيسية تمتد على طول قعر المركب.

⁽⁷⁾ محمد الهادي حارث: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص 42.

⁽⁸⁾ م.ح. فنطر: الفينيقيون بناء المتوسط، منشورات أليف، تونس، 1998، ص 75.



شكل رقم 11: سفن فينيقية تحمل خشب في القرن الثامن ق.م، منقوشة على جدران قصر خرسباد في العراق

Moscatti (M), Les Pheniciens, p 40

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

وإذا استثنينا صناعة السفن نجد أن جل المصنوعات الفينيقية كانت على صلة وثيقة بالكماليات مثل صناعة الزجاج، والصباغ الأرجواني والخزف والعاج، وقد احتكروا بعضها كالأرجوان الذي كان ثمينا، وتفوقوا على منافسيهم في الميدان الصناعي وذلك أنهم عمدوا إلى إنتاج نماذج تجارية بسيطة التقنية، ولكنها مطلوبة في الأسواق كالمصنوعات الخزفية مثلا فهي مربحة للصناع والتجار معا.

وكانت النماذج المعتمدة لديهم صغيرة الحجم خفيفة سهلة الحمل، لا خوف عليها من عطبها في المراكب، وهذا ما يفسر انتشار المنتجات الفينيقية في كل أنحاء حوض البحر المتوسط، أو في البلدان الداخلية التي كانت تتعامل معها تجاريا، فأضفوا على إنتاجهم مسحة من الإتقان البارع، مما يدل عليه صفاء زجاجهم وتلوينه واستعماله مكان الحجارة الكريمة، وهذا ما جعل بعض المؤرخين ينسبون اكتشاف الزجاج إليهم بالإضافة إلى صناعة السفن التي كانت المدى الأرحب لإبراز براعة الفينيقيين الصناعية، إذا تضافرت لإتقانها جميع العوامل البشرية والطبيعية من خشب وخبرة ملاحية ومعلومات جغرافية وفلكية.

وكان الفينيقيون حلقة ربط واتصال بين الشرق والغرب في مجال العلاقات التجارية بعد أن أصبحوا منتجين لهذه المصنوعات الكمالية، ورغم قساوة الطبيعة إلا أن الفينيقيين تمكنوا من تقديم الكثير من المنجزات للإنسانية عبر حضارة البحر المتوسط في الفترة المدروسة، كما استطاعوا إخراجها في ثوب جديد ينسب لهم وأصبحت الحضارة الفينيقية تصنف ضمن الحضارات القديمة.

ونستنتج أن الصناعة الفينيقية متنوعة تصنف ما بين صناعة فخمة متطورة يمثلها بناء السفن التي عرفت تطورا ملحوظا بمرور الزمن، وصناعة أخرى بسيطة وسهلة كمالية، كثيرة الفائدة وسهلة التسويق في الأسواق الداخلية والخارجية وبذلك تفوقت صناعات الشعوب المجاورة لها، ويبدو أن الاقتصاد القوي هو الذي لا يكلف كثيرا في الإنتاج لكنه قد يوفر ربحا ضخما.

المبحث الثالث: الملاحة التجارية ووسائلها:

أطلق المؤرخون على الفينيقيين لقب "شعب البحر" وأكد هوميروس⁽¹⁾ أن أفضل بحارة العالم هم الفينيقيين، حيث أثبت الواقع عظمتهم وشهرتهم التي قامت على البحر، حيث أتقنوا كل ما يتعلق بالبحر من صيد وملاحة وصناعة سفن تجارية وعسكرية وبناء مرافئ، فقد كان بناء سفينة صالحة لعبور البحار عملا حضاريا جبارا قد يفوق في مداه ومستواه العقلي أكبر المكاسب الضارية التي أنجزها الفكر البشري في تلك الحقبة⁽²⁾، ولإنجاح ملاحتهم وتجارتهم كان على الفينيقيين استغلال ثلاثة عوامل أساسية وهي الاستفادة من مواقع الجزر، والاستعمال الجيد للتيارات البحرية، والأهم هو امتلاك سفن. فالحوض الشرقي من المتوسط تطل عليه قارات أوروبا وآسيا وإفريقيا تتوسطهم مختلف الجزر المنتشرة به وهي طبيعيا وسيلة لربط هذه القارات استعمالها الفينيقيون أحسن استعمال في ملاحتهم وتوسيع تجارتهم⁽³⁾ وأن الملاحة في القسم الشمالي من الحوض الشرقي باتجاه الغرب كانت تمر بجزيرة قبرص وسواحل آسيا الصغرى ومنه إلى كريت وجزر بحر إيجه.

إن البحر الأبيض المتوسط يحتوي جملة من العوامل قد تشجع على الملاحة كانهدام الحواجز وقلة التيارات القوية وتناوب الهواء البري والبحري مما يسمح بقرب السفن التي تبحر فيه من الساحل دون اللجوء للابتعاد عنه، إضافة إلى كثرة الموانئ والجزر التي هي بمثابة نقاط استدلال⁽⁴⁾ التي تظهر على مسافة كل خمسين ميلا⁽⁵⁾ تقريبا وهذه العوامل مكنت البحارة من تجنب أي خطر قد يعترضهم.

و تذكر المصادر و المراجع أن الفينيقيين هم أول أمة بحرية في التاريخ ركبت البحر ومخاطره قبل غيرها من الأمم القديمة، وقد اجتذب البحر المتوسط هؤلاء الساميين

(1) معن عرب، المرجع السابق، ص 135.

(2) Gras, Op.cit, P82.

(3) M.Cary, E. Warmington, Les explorateurs de l'antiquité, Trad DE A. ET. H. Collin de Lauaud, Payot. Paris 1932. PP 20- 21.

(4) الميل: هو وحدة قياس رومانية يبلغ طوله 1478,50م.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

المقيمين على سواحله الشرقية فاستجابوا إليه وحولوا حياة تنقلاتهم ورحلاتهم في أرجاء البادية إلى حياة تنقل في البحر⁽¹⁾. الملاحة كانت من المميزات الهامة للحضارة الفينيقية⁽²⁾ نشطت لعدة اعتبارات منها: صعوبة التنقل البري، ووفرة الخشب الذي كانت تزخر به غابات فينيقيا على مختلف أنواعه والذي استغل في بناء السفن على اختلاف أنواعها وأحجامها، إضافة إلى ملائمة الموقع الجغرافي الذي يسكنه الشعب الفينيقي بالنسبة للعالم القديم، وعرف البحر المتوسط أحداثا وتغيرات هامة في الفترة الممتدة ما بين ألف ومائتين وألف قبل الميلاد (1200 - 1000 ق.م) "ففي هذه المرحلة فقد الميقينيون (Myceneens) هيمنتهم البحرية بسبب الأخطار التي كانت تحدق بمدنهم وتمنعهم من الابتعاد عنها، خاصة بعد بروز الخطر الدوري⁽³⁾ من الشمال وهيمنته على شبه الجزيرة الإغريقية"⁽⁴⁾ واستغل الفينيقيون هذه الظروف الجديدة ووسعوا من نشاطهم البحري واستفادوا من تراجع الميقينيين (Myceneens) في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وبرزوا في تقنية الملاحة التي تفوقت على كل تقنية أخرى ما بين القرن الثاني عشر وأواخر القرن الثامن ق.م (1200 - 800 ق.م)⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص 104.

⁽²⁾ حسن حلاق، المرجع السابق: ص 70.

⁽³⁾ في مطلع القرن الثاني عشر كانت تتنازع شرق المتوسط قوتان، مصر من الجنوب والحيثيون من الشمال، لكن أمورا سياسية بدلت المواقف فقد وصلت إلى بلاد اليونان هجرات شعوب هندوأوروبية جديدة هم "الدوريون" (DORIENS)، فضغطوا على أهل بلاد اليونان وجزر إيجيه وأجبروهم على النزوح، فانتقلت جماعة منهم إلى آسيا الصغرى، ووقعت حروب طروادة (TROIE)، وانتقلوا إلى الساحل السوري فغزوا مدينة 'أوغاريت' (UGARIT) عام 1180 ق.م، وهزموا قوتها، ويمثل الدوريون آخر موجة من الشعوب الهندوأوروبية التي عزت اليونان في الفترة ما بين 1200 و 1100 ق.م وتوغلوا في اليونان واحتلوا كورنتيا (Corinthe)، ولقد كان لوصول الدوريين إلى اليونان دور سلبي وتراجع حضاري في العالم اليوناني ومن الأسباب التي أدت إلى انهيار الممالك الأخية (Acheennes)، للمزيد من المعلومات انظر: وهيب أبي فاضل: موسوعة عالم التاريخ والحضارة،

ج1، ط1، نوبليس، 2003، ص ص 89-90. و Michel Mourre: Op.cit , p1410.

⁽⁴⁾ Lionel Casson, Les marins de l'antiquité; hachette, 1961, P 88

⁽⁵⁾ أندريه إيمار وجاتين أوبواييه، تاريخ الحضارات العام، ط2، ترجمة فريد داغر وفؤاد ربحان، منشورات عويدات، بيروت 1981، ص 258.

- وسائل الملاحة الفينيقية:

كان الملاح الفينيقي في نظر القدماء يتصف بالمهارة والطموح والجرأة، فهو يتحمل الغياب عن أهله وذويه ويقبل على المخاطر، ولوع بالسفر، لا يتراجع أمام المجهول، وهو يحب المغامرة، ولما كان الفينيقيون مجهزين بمثل تلك الأدوات استطاعوا القيام بأسفار طويلة عبر كامل المتوسط⁽¹⁾ الملاحة لم تكن تعني للفينيقيين تحركا على محاذاة الشاطئ فقط، بل كانت تذهب إلى أبعد من ذلك، إذ كانت تحررا من الأرض ومن أمنها وحمايتها⁽²⁾ الملاحة نجمت عن شروط جغرافية وتاريخية وسياسية أجبرتهم على أن يتوسعوا عبر سواحل البحر المتوسط⁽³⁾ واستطاعوا أن يشقوا لأنفسهم مسالك وطرق بحرية اكتشفوها، زادت من قدرتهم على السيطرة على البحر⁽⁴⁾ كانوا في تلك الفترة يهتدون بالدب الأصغر الذي كان يطلق عليه الإغريق اسم 'الفينيقي' لعدم توفر البوصلة.

كان الفينيقيون أول من عرف أهمية النجم القطبي للملاحة، وأنهم تعلموا أن يهتدوا به ليلا، بينما كان بحارة الشعوب البحرية القديمة يجهلون هذا النجم الغير المرئي تقريبا، حيث كانوا يستهدون « بالدب الأصغر والأكبر » الأكثر ظهورا للعين في جوف السماء متخلفين كثيرا في دقة ملاحظتهم وسلامة رحلاتهم عن مستوى الملاحة الفينيقية⁽⁵⁾ وا فن الملاحة ليلا ، النجوم⁽⁶⁾ وكانوا يسيرون في البحر بهدى، بل كانوا يبشرون ببناء على خطط مرسومة، واستطاعوا بعد تجارب طويلة أن يشقوا لأنفسهم مسالك وطرق كشفوها واستخدموها ثم احتكروها لأنفسهم دون غيرهم⁽⁷⁾.

(1) محمد حسن فنطر، الفينيقيون بناء المتوسط، ص 75.

(2) 135.

(3) سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 23.

(4) حلمي محروس إسماعيل، المرجع 157.

(5) 104.

(6) فيليب حثي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص 105.

(7) محمد بيومي مهران: المدن الفينيقية، ص 271.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

ولم يكن يثنىهم بعد المقصد عن ركوب البحر وكانوا يتخذون من الجزر مراسي لهم في عرض البحر⁽¹⁾ وأصبحت الأساطيل الفينيقية تصل بين مختلف ضفاف البحر المتوسط معتمدة . لى جزره ومرافئه الطبيعية، ولقد أثبتت المخلفات الأثرية التي تم العثور عليها ما أشارت إليه النصوص القديمة ومنها الكتاب المقدس "العهد القديم" من خلال الآيات التي وردت في سفر حزقيال⁽²⁾ رثاء لمدينة صور⁽³⁾ ووردت في الحوليات الأشورية معلومات تتعلق بالملاحة الفينيقية وبالثروات التي اكتسبها الفينيقيون من جراء ذلك النشاط الملاحي الاقتصادي وتذكر المصادر أن أهل مدينة أرواد (Arwad) كانت لهم فرق كثيرة العدد في الأسطول الفينيقي، وقد رسم على ظهر عملتهم الأولى « » التي هي « شعار المدينة»⁽⁴⁾.

كان البحر المتوسط بفضل الخصائص التي يتميز بها أول مدرسة للملاحة البحرية في القديم⁽⁵⁾، وتشير الدراسات التاريخية إلى أن الفينيقيين استطاعوا التحكم في جملة من العوامل شجعتهم على الملاحة البحرية بـ وسائل متعددة كانت تتغير حسب المسافة والمنطقة التي يتجه إليها الأسطول الفينيقي فبالنسبة للمسافة القصيرة استعمل الفينيقيون السفن الصغيرة، التي كانت عبارة عن فلك، وكانت تنتقل من منطقة إلى أخرى وهي قريبة من الساحل⁽⁶⁾ بعيدة عن التعمق في وسط البحر أو المحيط وقد يكون ذلك خوفاً من البحر أو لأسباب أخرى ويطلق على هذه الرحلة اسم "المساحلة" أو الملاحة قرب

(1) سباتينو موسكاتي: الحضارة الفينيقية، ص 149.

(2) لعل خير وصف للتجارة الفينيقية هو ما جاء على لسان النبي حزقيال حول مدينة صور ولهذه النبوءة أهمية عظيمة من حيث أنها تصف لنا الفعالية التجارية لإحدى المدن الفينيقية وقد يكون في هذا الوصف ما يبعث على الشك في تحديد المواقع والأمكنة المذكورة وفي حقيقة البضائع، إلا أن الصورة العامة تبعث على الإعجاب الشديد، وتبدي عن وفرة وكثافة التجارة الصورية، للمزيد من المعلومات انظر: سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 144.

(3) محمد حسن فنطر: حول حضور الفينيقيين في غربي المتوسط وتأسيس قرطاج، الدروس العمومية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس 1995، ص 112.

(4) عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، القاهرة 1966، ص 247.

(5) خديجة منصوري، الرحلات عبر البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة، مجلة دراسات إنسانية، العدد 2 جامعة الجزائر، 2002، ص 159.

(6) Veronique Krings, Op-cit, P 283.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

السواحل (LE CABOTAGE)، والذ تم في النهار، حيث تعتمد هذه الملاحة على الرؤية بالعين المجردة، وتربط بين ميناعين تتراوح المسافة بينهما من خمسة وعشرين إلى ثلاثين ميل بحري⁽¹⁾ (55,560 كلم)، أما النوع الآخر من الملاحة فيتمثل في الملاحة بأعالي البحار، التي تعتمد على سفن تجارية ذات حجم كبير وحمولة ضخمة وتهتدي أثناء السير ليلاً بالنجوم وكانت سرعة هذه السفن التجارية تتراوح ما بين اثنين إلى ثلاثة عقد (Noeuds 03 – 02)⁽²⁾ تستطيع أن تقطع مسافة خمسين ميلاً (50 بحرياً في اليوم أي (92,6 كلم) مما يسمح لها بالوصول إلى السواحل قبل حلول ظلام الليل⁽³⁾ . ومانت هذه السفن عبارة عن زوارق كبيرة ذات طرفين مرتفعين، وهي تسير بواسطة الأشرعة والمجادف، وداخلها يتميز بالسعة الكبيرة التي تسمح لها بنقل الحمولة الكبيرة⁽⁴⁾ ذات الوزن الوافر ومن ثمة تمثل وسيلة نقل ذات قيمة اقتصادية معتبرة⁽⁵⁾

كانت تغامر وتقوم برحلات تدفعها بعيداً عن ديارها قد تكون التي يسميها الكتاب المقدس «سفن ترشيش»⁽⁶⁾، وكان يسميها «هوميروس» «سفن عرض البحر»⁽⁷⁾.

(1) الميل البحري: وحدة قياس الطول تستعمل للدلالة على طول المسافات البحرية، وهي تمثل متوسط المسافة بين نقطتي على سطح الأرض ولهم نفس خطوط الطول بينما موثر العرض تختلف بزاوية دقيقة ويبلغ طول الميل البحري 1852م. وللمزيد من المعلومات

أنظر: Le petit Larousse, Illustre 1982, Librairie Larousse, P639.

(2) عقدة (Nœud): وحدة قياس سرعة السفن تساوي: 1.8 كلم/ .

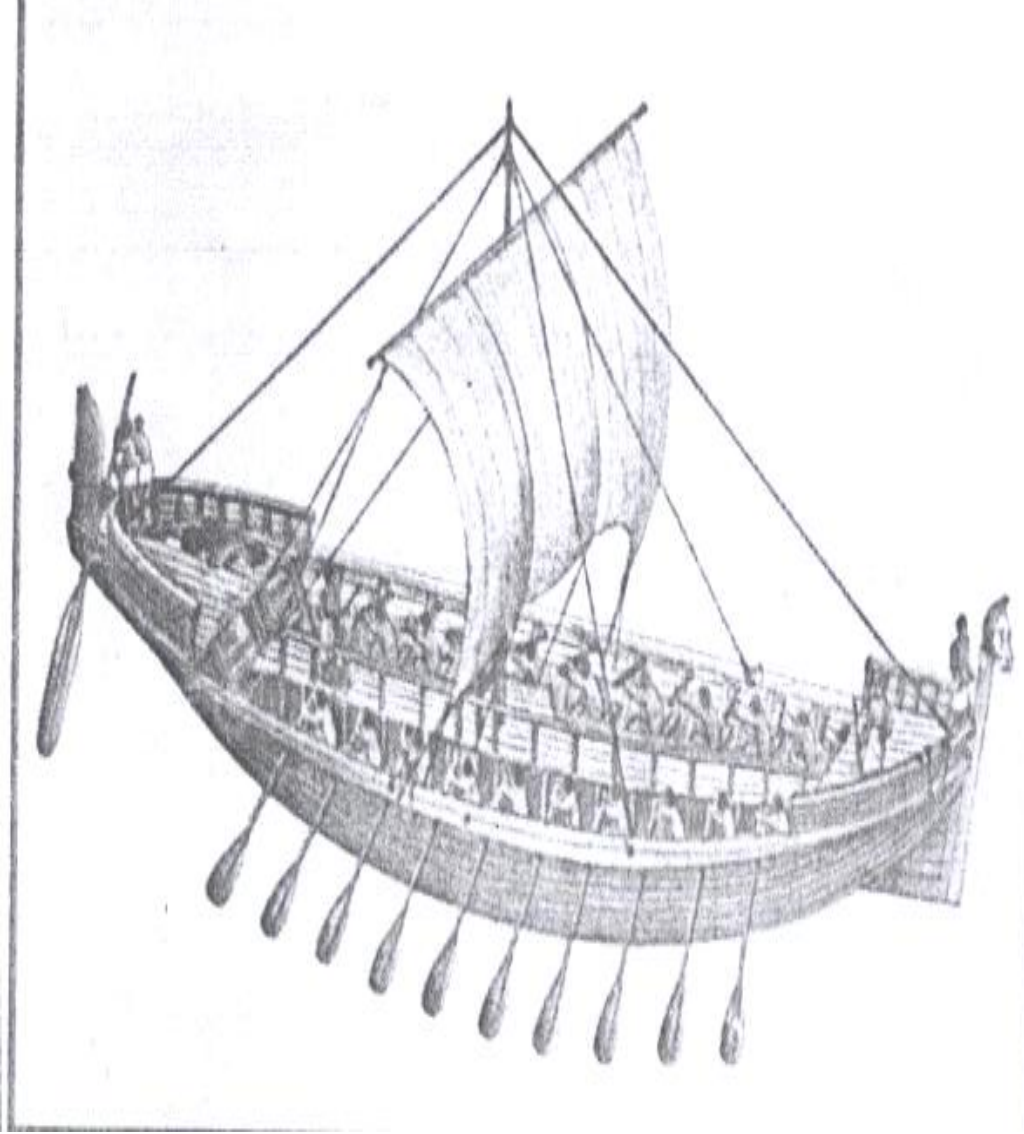
(3) Sabatino Moscati, Les phéniciens, ed Belbord, Paris 1989, P 72.

(4) أنظر شكل رقم 12، ص 52.

(5) مادلين هورس ميادين: تاريخ قرطاج، الطبعة الأولى، ترجمة إبراهيم باش، منشورات عويدات، بيروت 1981، ص 82.

(6) وفي رأينا أن هذه المعلومات تؤكد رحلات الفينيقيين البحرية إلى مناطق بعيدة عن سواحلهم الأصلية لأنه كما سبق ذكره في البحث. قد تكون ترشيش في شبه جزيرة ايبيريا والتي وصل إليها التجار الفينيقيين وأقاموا بها محطات تجارية تحولت فيما بعد إلى مستوطنات، أو كما ورد في مصادر أخرى أن ترشيش تقع في المحيط الهندي على سواحل الهند والتي كانت تبحر إليها سفن سليمان عليه السلام والسفن الفينيقية لجلب المعادن ومختلف السلع التي كان يعتمد عليها الاقتصاد الفينيقي، وهذا دليل على المسافات الطويلة التي كانت تقطعها البحرية التجارية الفينيقية لترويج السلع وجلب المعادن ومنتجات مختلف الشعوب التي كانوا يتعاملون معها تجارياً.

(7) محمد حسن فنطر: الفينيقيون، بناء المتوسط، ص 86.



رقم 12: نموذج من السفن التجارية الفينيقية

Encyclopedie Alpha Béta edit centre de culture moderne, Paris, 2000, p 943

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

ومن الوسائل التي استعملها الفينيقيون في الملاحة أثناء النهار والليل هي الشمس والنجوم وعند فقدانهم في البحار استعملوا وسائل أخرى كمؤشرات مثل: الرطوبة، درجة حرارة الرياح، واتجاه التيارات البحرية، ولمعرفة الاتجاه الصحيح للوصول إلى اليابسة، والمسافة بين سفنهم في أعالي البحار والسواحل كانوا يقومون بتحرير طيور من نوع الجوائم (Passereau)⁽¹⁾ والتي تتميز بتخليقها على مسافات قصيرة وإذا لم تعثر الطيور على اليابسة على مسافة قريبة من الساحل تعود إلى السفن⁽²⁾، ولم يكن يثنيهم بعد المقصد عن ركوب البحر، فكانوا يتخذون من الجزر مراسي لهم في عرض البحر⁽³⁾، وبرز الفينيقيون الملاحة التي تفوقت على كل تقنية أخرى ما بين القرنين الثاني عشر والثامن قبل الميلاد⁽⁴⁾.

- أوقات الملاحة المفضلة:

كانت السفن التجارية الفينيقية تختار أوقات الملاحة حيث كانت تبحر في نه شهر مارس وتعود إلى الموانئ في بداية شهر أكتوبر، فالفترة الزمنية للملاحة كانت تدوم حوالي ستة أشهر تماشيا وظروف المناخ وكان اختيار فترة الملاحة يتزامن مع فصلي الربيع والصيف، حيث تخضع للعوامل الطبيعية والتأثيرات المناخية الثابتة المستقرة عموما في هذه الفترة الزمنية من أيام السنة حيث تكون أكثر اعتدالا أو تنقلص الاضطرابات المناخية والبحرية⁽⁵⁾ وهذا أمر يساعد على ركوب البحر وتجنب السفن من الوقوع في المخاطر والغرق، وقد نلمس من خلال اختيار الفينيقيين لهذه الفترة الزمنية مدى معرفتهم لتقنيات الملاحة وتحكمهم فيها. بينما في فصلي الخريف والشتاء تتغير الأحوال الجوية مما يجعل البحر أكثر اضطرابا ويعيق الملاحة، ففي فصلي الربيع والصيف تكون الرياح في الحوض الغربي من البحر المتوسط عبارة عن

(1) طير من الجوائم Passereau: هو طير عموما صغير الحجم، يبني عشه على الأشجار.

(2) Veronique Krings, Op-cit, p 283.

(3) سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص49.

(4) أندري إيمار و جانين أبوايه: 258.

(5) Sabatino Moscati, Les Pheniciens, p 74

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

نسيم بالإضافة إلى رياح المسترال Mistral⁽¹⁾ والسيروكو Sirocco⁽²⁾ حيث تتناوب على طول الاتجاه الشمالي الغربي والجنوب الشرقي (N. O- S. E) وتسمح بالتواصل بين شواطئ البحر المتوسط الشمالي والجنوبي⁽³⁾.

- الطرق البحرية:

كان الفينيقيون يبحرون اعتماداً على خطط مرسومة دقيقة ولم يكونوا قراصنة كما تصورهم الأساطير الإغريقية⁽⁴⁾ ولا أولئك الجوالين الذين تصورهم لنا بعض المرويات⁽⁵⁾، اكتشفوا هذه الطرق واستخدموها واحتكروها فيما بعد، وكانت أقدم طرقهم الملاحية تصل بيبيلوس « وسائر الموانئ بمصر، بالإضافة إلى طرق رئيسية أخرى تنطلق من صور⁽⁶⁾ وصيدا وتتجه إلى مصر، والتي كان لزاماً على البحارة المصريين والفينيقيين اختيار الوقت المناسب للملاحة والذي يبدأ من شهر ماي وجوان حيث تساعد الرياح الجنوبية والجنوبية الغربية فتصل السفن إلى الموانئ المصرية والفينيقية قاطعة المسافة في أربعة أيام⁽⁷⁾ إضافة إلى طرق تجارية تتجه نحو الحوض الشرقي، ووصلوا

(1) المسترال: رياح قوية جافة وباردة مصدرها هضبة الرون Rhone وأسبابها الضغط الجوي على البحر الأبيض

المتوسط. للمزيد من المعلومات انظر: Le petit Larousse illustre, Op.cit, P 643.

(2) السيروكو: **SIROCCO**: رياح شديدة الجفاف وحارة تهب من الصحراء نحو السواحل عندما يكون الضغط

الجوي منخفضاً على البحر المتوسط. للمزيد من المعلومات انظر: Le petit larousse illustre; P 934.

(3) Moscati , Les Pheniciens , P 74.

(4) محمد بيومي مهران المدن الفينيقية، ص 271.

(5) فيليب حتي تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص 104.

(6) صور: تقع صور جنوب مدينة صيدا، تعتبر أعظم المدن الفينيقية جميعاً، وقد بنيت في الأصل على جزيرة تبعد بعدة أميال من البر وقد أطلق الصوريين على مدينتهم 'صور' اسم 'صر' (SR) والذي يمكن إرجاعه إلى الأصل 'طر' والذي يعني في أكثر اللهجات السامية: الصوان، أو الحجر الحاد، دالا بذلك على طبيعة الجزيرة الصخرية التي بنيت عليها المدينة ومن ثم فإن 'صور' إنما تعني في الفينيقية 'الصخرة'. للمزيد من المعلومات انظر: محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، ص 161.

(7) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 200.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

إلى كيليكييا وحدود الأناضول⁽¹⁾ كما يفترض وصول طرقهم التجارية إلى سواحل " بالبولينيز وجزيرة 'كريت' (*Crete*) وجزيرة 'كيتير' (*Cythere*) بالبحر الإيجي.

وأورد بلين: « أن الفينيقيين وصلوا إلى مالطا حين وسعوا نشاطهم التجاري نحو الغرب، باعتبارها ملجأ جيدا وسط البحر تتوفر فيه موانئ جيدة ومناسبة »⁽²⁾.

يتضح أن الفينيقيين وصلوا إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط في وقت مبكر من الزمن بحيث يرجع الجغرافيون والكتاب الإغريق والرومان رحلاتهم البحرية بهذا الحوض إلى مطلع القرن الثاني عشر ق. م، حيث اكتشف خلالها الفينيقيون مضيق جبل طارق وأسسوا 'قادس' (*Gades*) بإسبانيا سنة ألف ومائة وعشرة ق. م (1110 ق. م) وربما في نفس السنة أو قبلها بقليل أسسوا ليكسوس (*Lixus*) بالمغرب الأقصى، وقبلها أوتيكا (*Utique*) بتونس سنة ألف ومائة وواحد ق. م (1101 ق. م)⁽³⁾.

وعلاوة على ذلك فإنهم وصلوا إلى سردينيا جنوب إيطاليا، حيث أسسوا : الجنوبية محطات بكل من 'نورة' (*Nora*) و'كارليس' (*Caralis*) وسولوكيس (*Sulcis*) و" (*Bethia*) أما في إسبانيا فقد أسسوا محطات تجارية : من (*Malaga*) و'أبديرا' (*Abdera*) و'باريا' (*Baria*).

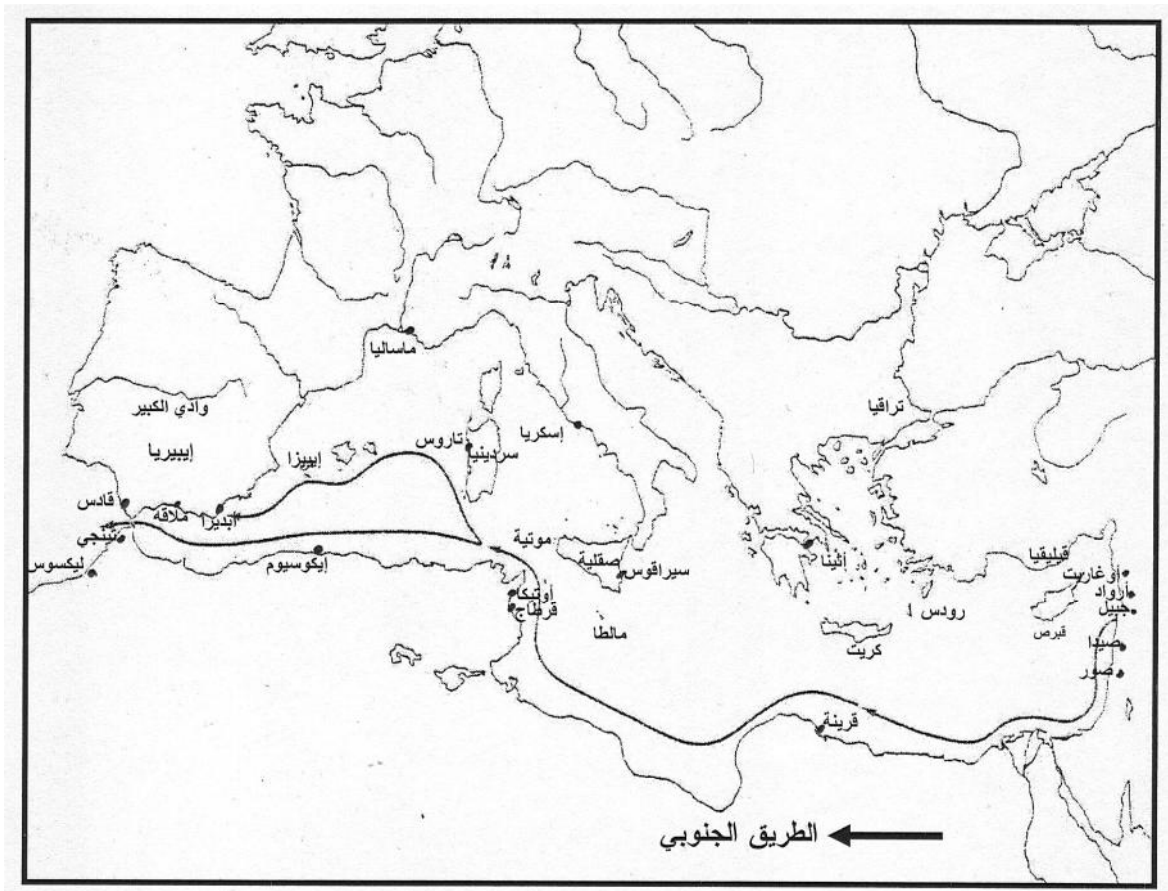
إن البحارة والتجار الفينيقيين كانوا يمتنون المساحلة على طول سواحل بلاد المغرب القديم، لأن هذا الطريق الجنوبي⁽⁴⁾ كان أكثر أمنا وسلاما لهم من الطريق

⁽¹⁾ Decret (F), Carthage ou l'empire de la mer 3^{eme} Edit le seul, Paris 1977, P 235.

⁽²⁾ Plin, H.N, XVI, 79

⁽³⁾ خديجة منصوري المرجع السابق، ص 163.

⁽⁴⁾ أنظر شكل رقم 13، ص 56.



رقم 13 : خريطة الطريق الجنوبي الذي كان يسلكه التجار الفينيقيون

SABATINO MOSCATI , LES PHENICIENS, p45

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

الشمالي⁽¹⁾، الذي كان يعرضهم إلى مناوشات مع الإغريق، الذين كانوا يهيمنون على سواحل الأناضول (*Anatolie*) وأوربا⁽²⁾ لإضافة إلى ذلك فقد وجدت طرقاً عرضية تعبر البحر المتوسط من الشمال إلى الجنوب وبالعكس⁽³⁾ منها طريق بحري ينقل عبره قمح مصر إلى روما، يبدأ من الإسكندرية إما أنه كان يمر بسواحل بلاد المغرب القديم أو يمر عبر جنوب جزيرة كريت (*Crete*) الإغريقية⁽⁴⁾ ومن أهم الطرق التجارية التي تربط صور بقادس الطريق الشمالي: قبرص، أنتوليا، أنجي، البحر الأيوني، مالطا، صقلية، سردينيا، البليار (*Baleares*) إسبانيا، والطريق الجنوبي ينطلق من مصر عبر سواحل شمال إفريقيا إلى المحيط الأطلسي، وحسب اتجاه الرياح يفضل الطريق الشمالي في الذهاب إلى إسبانيا والطريق الجنوبي عند الرجوع منها، وتشكل صقلية نقطة اللقاء بين الطريقين وعلى طول هذا الطريق كان الفينيقيون يصدرون الأقمشة الملونة والخشب والعاج والأشياء الصغيرة المصنعة التي تشكل أهم صناعاتهم الحرفية، وفي مقابل ذلك يوردون المعادن التي تحول بعد ذلك إلى مصنوعات معدنية وتحف.

ونستنتج أن الفينيقيين بعد أن بدأوا في مزاوله الملاحة قرب السواحل لبيعوا أسماكهم وزجاجهم وأنياتهم الخزفية وغيرها من المنتجات المحلية، أخذوا فيما بعد يجوبون البحار ويؤسسون الطرق البحرية⁽⁵⁾ بين الشرق والغرب وظلوا يحتكرونها مدة طويلة، وتحول الباعة المتجولون إلى أمراء البحر، وأصبح المتوسط بحيرة فينيقية قبل أن يكون بحيرة يونانية أو رومانية بوقت طويل، وهكذا كان لهم السبق في معرفة الطرق البحرية من غيرهم من الشعوب التي تقطن سواحل المتوسط في حوضيه الشرقي والغربي.

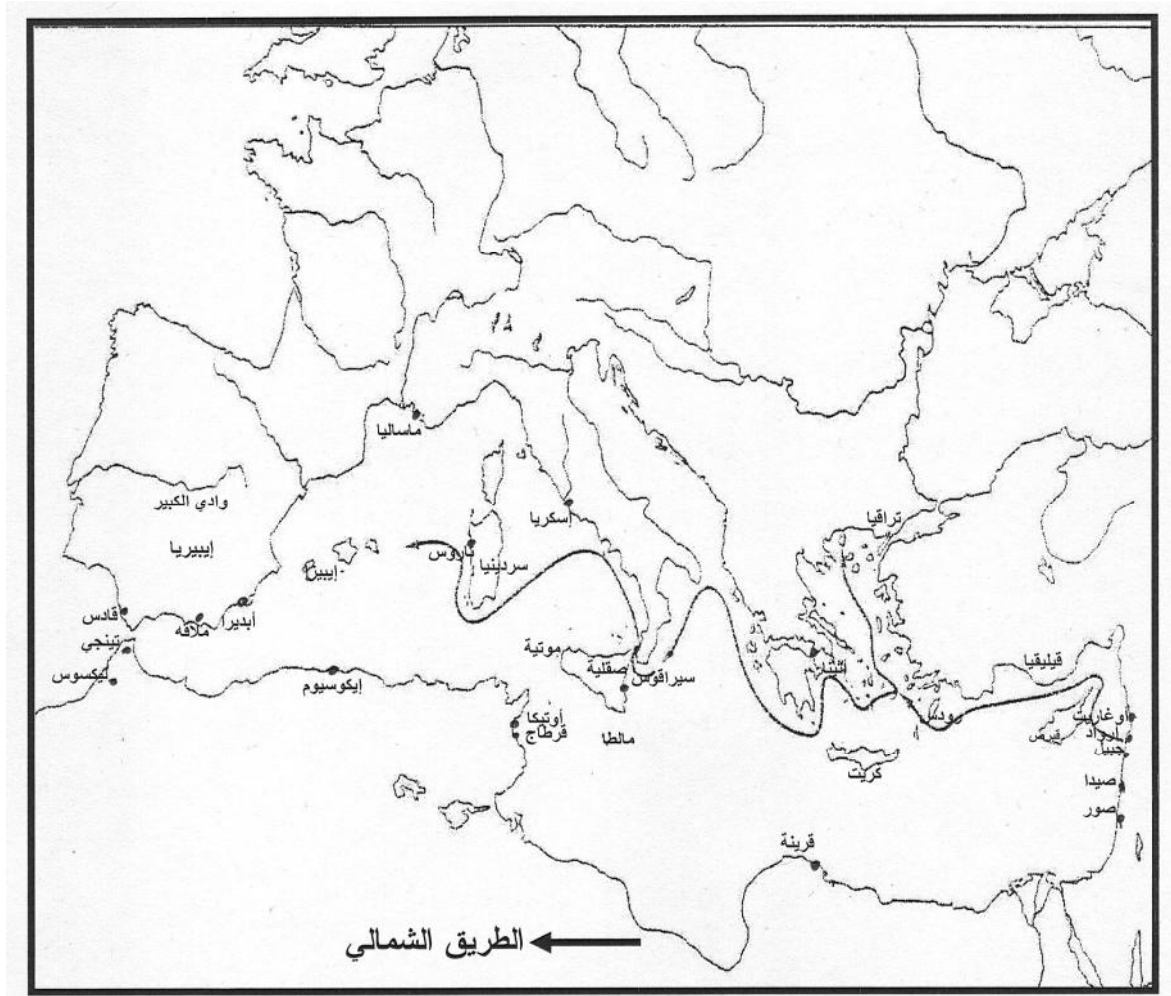
(1) أنظر شكل رقم 14، ص 58.

(2) Luigi Pareti, l'histoire de l'humanité, volume II, l'antiquité l'UNESCO. Paris 1965. P 31.

(3) فيليب حتي تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص 105.

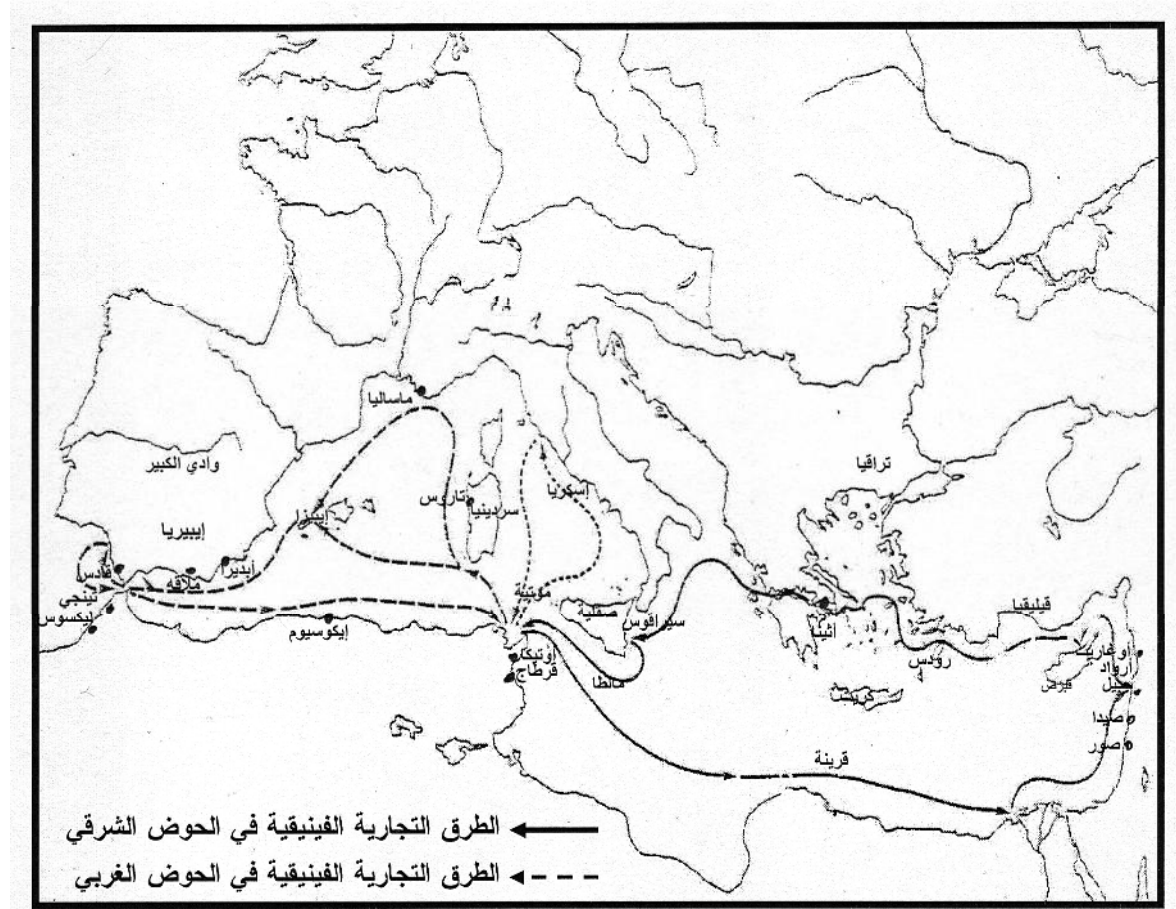
(4) M. Sartre, A Tronay, La méditerranée antique VII^{eme} siècle A.J.C, III^{eme} siecle AP. J.C, Imp, Armend Collin, Paris 1990, P 24.

(5) أنظر شكل رقم 15، ص 59.



رقم 14 : خريطة الطريق الشمالي الذي كان يسلكه التجار الفينيقيون

SABATINO MOSCATI , LES PHENICIENS, p45



رقم 15: خريطة الطرق التجارية الفينيقية في حوض البحر المتوسط

SABATINO MOSCATI , LES PHENICIENS, p45

- الرحلات البحرية :

إذا كان البحر المتوسط يعد أحيانا مجرد محطة عبور لبعض الرحلات والاستكشافات البحرية فهو من جهة أخرى كان مسرحا للعديد من الرحلات البحرية⁽¹⁾.

قدمت الرحلات البحرية التي قام بها الفينيقيون على نطاق واسع خدمة للعالم القديم في مجال التجارة البحرية، فبعد أن طافوا بحار المتوسط والأدرياتيك والأسود انتقلوا إلى المحيط الأطلسي⁽²⁾ وإذا كان البحر المتوسط مجرد محطة عبور لبعض الرحلات والاستكشافات البحرية أحيانا، فإنه كان من جهة أخرى مسرحا رئيسا للعديد من الرحلات، وقد نوهت الكثير من النصوص القديمة بالرحلات الفينيقية ذات الطابع الاقتصادي الحضاري والجغرافي، ومن أبرزها وثيقة وجدت في لوحة جدارية مصرية يعود تاريخها إلى حوالي ألف وأربع مائة وخمسة وسبعون قبل الميلاد (1475 ق.م)، وتظهر عليها سفينة يقودها بحارة ساميون، وكذلك ورقة البردي التي يعود تاريخها إلى حوالي ألف ومائتين قبل الميلاد (1200 ق.م)، ومما جاء فيها: « أن الفينيقيين سيطروا على النشاط التجاري البحري ببلاد المشرق»⁽³⁾ وأسسوا محطة تجارية عرفت لدى المصريين القدامى بـ«معسكر الصوريين»⁽⁴⁾ سبة إلى مدينة صور بساحل فينيقيا، وكانت أهم رحلة بحرية فينيقية بالحوض الشرقي للبحر المتوسط في تلك المرحلة المبكرة هي التي قاموا بها في مطلع الألفية الأولى ق.م على متن سفن الملك سليمان ملك العبرانيين، وعهد الملك 'حيرام' ملك صور من فينيقيا إلى 'أوفير' (*Ophir*)، وورد في التوراة بخصوص هذه الرحلة "وبنى الملك سليمان أسطولا في عصيون جابر التي بجانب أيلة، عند شاطئ بحر القصر في أرض أدوم. فأرسل حيرام رجاله في السفن مع رجال سليمان وهم قوم ملاحون عارفين بالبحر فأتوا أوفير وأخذوا من هناك أربع مئة وعشرين قنطارا من الذهب، وآتوا بها إلى الملك سليمان"⁽⁵⁾.

(1) خديجة منصوري: 159.

(2) وهيب أبي فاضل، عالم التاريخ والحضارة، العالم من عصور ما قبل التاريخ حتى القرون الوسطى ط1، نوبليس، 2003، 94.

(3) خديجة منصوري: 161-162.

(4) Herodote, Histoire, II, 112.

(5) العهد القديم، سفر الملوك الأول، 9/ 26 - 28.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

وقد حاول المؤرخون منذ القدم أن يتعرفوا على البلاد التي كان الفينيقيون يحضرون منها هذه الكميات الوفيرة من الذهب، خاصة أن الكتاب المقدس قد سكت عن مصدر تلك البضائع التي كانت سفن حيرام تأتي بها، وقد أوردت التوراة في هذا الصدد: « فكانت سفن ترشيش تأتي مرة كل ثلاث سنين حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقردة وطواويس »⁽¹⁾ فكان إبحار الفينيقيين من ميناء إيلات قرب العقبة يدل على أن السفن الفينيقية كانت تسير باتجاه المحيط الهندي وتتجه عبر مصر وهذا ما يدعوا للاعتقاد أن الفينيقيين كانوا يستخرجون الذهب من المناجم في بلاد 'أوفير' التي في الهند وأنها هي مدينة 'سوفار' (Sovar) قرب مدينة 'بومباي' (Bombay)⁽²⁾.

ومن المؤرخين من يقر أن موقعي 'أوفير' و 'ترشيش' يمثلان لغزاً لم يتم فكّه إلى يومنا هذا⁽³⁾ وإننا غير متأكدين من تحديد موقع بلاد 'أوفير' (Ophir) التي كان حيرام ملك صور يجلب منها خشب الصندل والأحجار الكريمة وكذلك الذهب بحيث أن سفن أوفير كانت تتطلق من جنوب البحر الأحمر وكان لها مجال واسع للاختيار سواء على سواحل إفريقيا أو الاتجاه شرقاً نحو الهند⁽⁴⁾.

ونرى أن الرحلة إلى الهند والرجوع منها لم تكن ممكنة زمنياً في القرن العاشر ق م خلال مدة ثلاث سنوات فقط، إضافة إلى الوقت اللازم للتقريب عن الذهب واستخراجه أو حتى لاستبداله بالبضائع، أي أن العملية تتطلب وقتاً أطول مما ذكر.

وإذا تعمقنا في دراسة نص التوراة نجد أنه لا يمكننا موافقة الباحثين الذين يعتقدون أن ترشيش الواردة في التوراة يقصد بها 'تارتسوس' (Tartesos) المتمثلة في المنطقة الواقعة بوادي الكبير (Guadalquivir)⁽⁵⁾ خاصة وأن النص يحدد

(1) العهد القديم، سفر الملوك الأول، 10/ 21 - 22.

(2) معن عرب، المرجع السابق، ص 136.

(3) Herm Gerard, Les phéniciens 'L antique Royaume de la pourpre', Fayard, 1976, p116

(4) Prado (J.J), L invasion de la méditerranée par les peuples de l'océan, XIII^{ème} siècle, A.J.C Edition l'Harmattan, Paris 1992, P133.

(5) F. Decret, Op-cit, p 41.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

بدقة اتجاه السفن ألا وهو بلاد أوفير، ومن جهة أخرى أن ترشيش كلمة سامية معناها المعادن، وبالتالي يصبح مفهوم العبارة الواردة في النص: السفن المخصصة لنقل المعادن، ولا يقصد بها البلاد التي كانت تتجه إليه .

كما أن "تارتسوس" (*Tartesos*) قد اشتهرت في القديم بمناجم الفضة والنحاس والقصدير وليس بالذهب وخشب الصندل الذي جلبه الفينيقيون في هذه الرحلة.

وهنا نتساءل كيف لسفن سليمان التي كانت تتجه إلى أوفير أن تصل إلى ترشيش⁽¹⁾ رغم عدم وجود قناة السويس في ذلك الوقت، وأغلب الظن أنه كان لسليمان أسطول بحري في السواحل الشرقية للبحر المتوسط، ومنه كانت تنطلق إلى إسبانيا وهذا أمر يحتاج إلى دراسة أعمق حتى نتمكن من تحديد الموقع والمصطلح الذي جاء في النص.

وتوالت النداءات منذ القرن السادس عشر الميلادي للبحث عن 'أوفير' (*Ophir*) في إفريقيا خاصة في المنطقة الجنوبية من شرق إفريقيا، فقد روى الرحالة البرتغالي "باروس" (*Barros*) على تواجد كتابات غريبة على جدران 'سيمبابوي' (*Simbaboi*) لم يستطع قراءتها وفك رموزها.

وهناك رأي آخر يشير إلى أن أوفير يجب البحث عنها في بلاد "الماشونا النياسلاند" (*Nyasaland*)⁽¹⁾، كما تم اكتشاف حجارة بشكل قوالب لصهر الذهب وصبه في بلدة "سيمبابوي" على شاطئ "سوفالا" ويرجح أنها فينيقية⁽²⁾ أما تاريخ القيام بهذه الرحلة أنها كانت حوالي تسع مئة وخمسة وأربعون ق.م (945 ق.م)⁽³⁾.

(1) Etienne Quatremere, Mémoires sur le pays d'ophir, Paris 1908, P 349.

(2) معن عرب، المرجع السابق، ص 139.

(3) نفسه، ص 139.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

ويواصل الفينيقيون رحلاتهم البحرية⁽¹⁾ نا عن المعادن والأسواق لتصريف البضائع المحملة بها سفنهم وشراء سلع أخرى حيث يرجح 'هوميروس' (*Homere*) ظهورهم بالموانئ الإغريقية حوالي سنة ألف ومائة وتسعون ق.م (1190 ق.م) مباشرة بعد حرب طروادة⁽²⁾، وكانت أطول رحلة بحرية قام بها البحارة الفينيقيون هي الدوران حول القارة الإفريقية، قاموا بها بناء على طلب من الفرعون 'نخاو' (*Necho*) في حوالي ست مئة ق.م (500 ق.م)، ويعتقد أن هذه الرحلة استغرقت 3 سنوات⁽³⁾ حيث أبحر الملاحون فيها باتجاه الغرب انطلاقا من البحر الأحمر، وما يثبت صحة هذه الرواية أن الشمس كانت على يمين الملاحين عندما قطعوا ليبيا، ثم تلا هذه الرحلة رحلتان أخريان، انطلقتا من قرطاجة قام بالأولى 'حميلكون' في حوالي 450 ق.م والذي أبحر حول إسبانيا حتى وصل إلى الجزر البريطانية، وقام بالثانية 'حنون' (*Hanon*) حوالي 425 ق.م، ويعتقد أنه في هذه الرحلة قد اجتاز أعمدة هرقل ووصل إلى خليج غينيا⁽⁴⁾.

ويبدو أن وصول الفينيقيين إلى العالم الجديد كان قد تم مادامت المسافة من قواعدهم في حزر "ماديرا" (*Madere*) و"الكناري" (*Canaries*) حتى طرف البرازيل⁽⁵⁾ أقل بكثير من المسافة بين 'صور' و'قادس' (*Gades*).

(1) أنظر شكل رقم 16 ص 64.

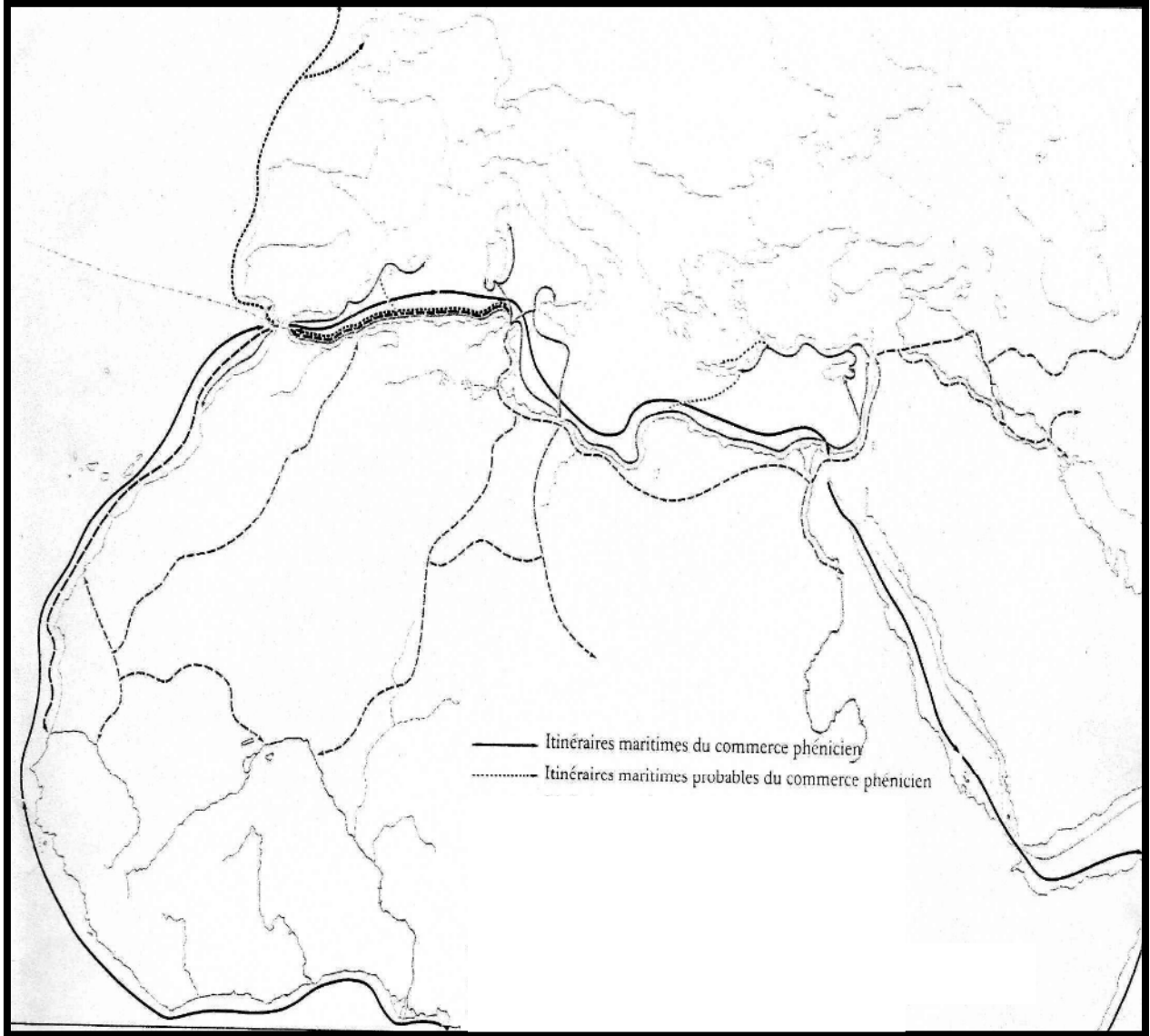
(2) طروادة (TROIE) مدينة قديمة في جنوب غرب آسيا تقع حاليا في مدينة هيسارليك "Hissarlik" تعرضت للتخريب عدة مرات نتيجة للحروب وكانت آخرها حرب 1100 ق.م التي هدمتها نهائيا بعدما حاصرها الإغريق ووضعوا على أبوابها الحصان الضخم الموع من الخشب إيهاما يرفع الحصار والتخلي عنه، وبعد إدخاله من طرف السكان تسلل من داخله الجنود الإغريق وفتحوا الأبواب للجيش الإغريقية التي اكتسحت المدينة وخربتها بعد

. للمزيد من المعلومات أنظر. Le petit Larousse illustre , 1982, P 1740.

(3) سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 149.

(4) سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 149.

(5) وجد عالم الآثار 'وليام سترونغ' 1940 أكثر من أربعمئة حجر عليها كتابات فينيقية تثبت أن وجودهم في أمريكا يعود إلى حوالي 371 ق.م. للمزيد من المعلومات أنظر: معن عرب، المرجع السابق، ص 145.



رقم 16: خريطة أهم الطرق التجارية الفينيقية في العالم القديم

SABATINO MOSCATI , LES PHENICIENS, p82

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

وبواسطة هذه الرحلات الشاقة والخطيرة في آن واحد، تمكن الرحالة والتجار الفينيقيون من جمع ثروات وفيرة عن طريق بيع منتوجاتهم الصناعية المختلفة⁽¹⁾ فجنوا ثروات طائلة وفتحوا مجالات حيوية لشعبهم ووفروا مواد أولية وكنوز ثمينة كما عرفوا العالم من بعدهم بمعارف جغرافية وإستراتيجية والتي لا زالت مفيدة للبشرية حتى يومنا هذا.

وما الأبحاث العلمية التاريخية التي أنجزت حولهم إلا إحدى المظاهر الحضارية التي يدين بها العالم لهم، من خلال اكتشافاتهم وتضحياتهم في المغامرة بحرا في المحيطات وفي غربتهم عن وطنهم الأم وعن مستوطناتهم، فهذه العناصر جميعها تعد أسس حضارية وتطور نظامهم السياسي والاقتصادي من خلال تكوين إمبراطوريتهم التجارية المترامية الأطراف.

وما نلاحظه هو تصرفات الملاحين والبحارة الفينيقيين الذين حافظوا على سرية اكتشافهم لتلك الطرق البحرية، بل وسهروا على أن تبقى علاقاتهم التجارية مع الشعوب المختلفة والمستوطنات التي أسسوها سرا أطول وقت ممكن ولم يبيعوا بها لغيرهم زيادة على القصص الخيالية التي اخترعوها حول المخاطر التي واجهتهم في رحلاتهم البحرية⁽²⁾ عبر المسطحات المائية في العالم، والتي تعد تراثا أدبيا وثقافيا لشعوب العالم القديم وصف " لكون" (Hamilcon) في سفرته إلى جزر " القصدير" (Casterides) (بريطانيا) المصاعب التي صادفها والمهاوي التي كادت تسقط فيها والطحالب والأعشاب البحرية التي سدت أمامه كل طريق والسكون المفاجئ الذي خيم على المنطقة وشل كل حركة مدة طويلة والضباب الذي اضطر للسير فيه أياما بكاملها، كل هذا جعل عبارة «البحار الصورية» تطلق على كل منطقة بحرية تكون الملاحة فيها صعبة أو محفوفة بالمهالك والأخطار⁽³⁾.

(1) Barthelemy le cureux, Les phéniciens en Afrique (étude sur Carthage). Imp, Jules Jeanin 1895, p 15.

(2) Strabon, Geographie, III, 5, 11 , ED Amedee Tardieu hachette, Paris 1880.

(3) معن عرب، المرجع السابق، ص 137.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

وحاول الفينيقيون الوصول إلى أقصى نقطة معلومة أو مجهولة من بلاد العالم القديم حيث يؤكد سترابون: "سيطرة الصوريين على بحار العالم دون منازع"⁽¹⁾.

وهكذا بعد دراستنا للرحلات البحرية لدى الفينيقيين والتي حققت جملة من النتائج معظمها كانت ذات طابع مادي وتتماشى والأهداف المسطرة، نستطيع تحديدها مركزة فيما يأتي:

1- أضافت رحلات الفينيقيين معلومات جغرافية جديدة حول المناطق التي تم اكتشافها من العالم آنذاك.

2- ساعدت تلك الرحلات على وضع دليل بحري يتضمن وصفا شاملا لسواحل البحر المتوسط وموانئه والمسافات الفاصلة بينها، والمخاطر التي يواجهها البحارة كالتيارات والرياح البحرية، اعتمد عليها الجغرافيون القدامى في مؤلفاتهم التي وصلتنا، وحتى علماء البحار اليوم مازالوا يرجعون إليها عند الضرورة خاصة وأنها ممارسة وتجارب وخبرة، فهي تعتبر دراسة تطبيقية ميدانية تفيد الباحثين المختصين في علم البحار وتفيد المسافرين المتنقلين بين القارات عبر البحار والمحيطات.

3- مساهمة الفينيقيين في نشر الكتابة الفينيقية عبر العالم القديم وتوحيد الحروف الهجائية بين الثقافات المختلفة واللهجات السائدة آنذاك.

4- ساهمت الرحلات في اكتشاف الطرق التجارية البحرية أهمها: طريق شرقي يربط فينيقيا بقبرص، وطريق غربي يبدأ من مصر في اتجاه بلاد المغرب القديم يؤدي من جهة إلى صقلية، ومن جهة أخرى إلى "ليكسوس" (*Lixus*) بالمغرب الأقصى و"قادس" (*Gades*)⁽²⁾.

(1) Strabon, Op-cit, III,5,11

(2) Borrin, C. Bonnet, Les phéniciens marins des trois continents, Imp Armand Collin Paris 1992, PP 168- 169.

الفصل الأول: النشاط الاقتصادي لدى الفينيقيين

ويلاحظ المتتبع للتطورات المصاحبة لهذه الرحلات تلك التغيرات التي طرأت على الأهداف التي حددت لها، ففي البداية كان الهدف الرئيسي هو البحث عن المناطق التي تزخر بالثروات المعدنية والزراعية والأسواق التجارية، وهذا ما يفسر ظهور المحطات التجارية بالأمكن القريبة من مناجم الفضة والنحاس والأراضي الزراعية، مما دفع العناصر الفينيقية إلى الهجرة من موطنها الأصلي تحت ضغط الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة إلى هذه المحطات والاستقرار بها، ثم تحولت هذه المحطات إلى مستوطنات بعد فترة طويلة مرتبطة بالوطن الأم دون أن تفقد استقلالها الذاتي، وهكذا أسس الفينيقيون نظام استيطان غير مستغل للشعوب سبقوا العالم المعاصر إليه وهو: توفير الأرض لفائض السكان من الفينيقيين، والثروة للفقراء من أبناء الفينيقيين، والغذاء لأبناء شعبهم في تلك المستوطنات الجديدة أو في الوطن الأم، وإقامة نظام سياسي متطور وتأثرت الشعوب التي احتكوا بها حيث أخذت منهم وطورت أنظمتها ومؤسساتها السياسية والاقتصادية.

وأشار أنطوان مورتكات أنه من الصعب جدا التحديد ما هو الأهم" أهو تأثير الناحية المادية أم الفكرية في نقل عالم وأفكار الشرق الأدنى القديم إلى العالم الغربي الذي كان في طور النمو⁽¹⁾.

(1) أنطوان مورتكات: 'ريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب توفيق سليمان، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1967، ص 628.

الفصل الثاني:

التجارة الفينيقية

**المبحث الأول: دوافع خروج الفينيقيين إلى
حوض البحر المتوسط.**

المبحث الثاني: المبادلات التجارية الفينيقية.

المبحث الأول: دوافع خروج الفينيقيين إلى حوض البحر المتوسط:

تعددت دوافع خروج الفينيقيين من مدنهم الأصلية واتجاههم إلى حوض البحر الأبيض المتوسط وتأسيسهم مدن فينيقية جديدة على طول السواحل الإفريقية والأوروبية، وثيقة بتاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم في نهاية الألف الثانية وبداية الألف الأولى ق م (1200 ق م) ويمكن تحديدها بدوافع طبيعية وسياسية واقتصادية واجتماعية .

- دوافع اقتصادية:

لعب موقع فينيقيا الجغرافي الدور الأساسي في تحديد تاريخها السياسي والاقتصادي والثقافي. حيث كانت ذات موقع إستراتيجي هام، وذلك لتواجدها في ملتقى الطرق التجارية العالمية التي سعت كل القوى المشرقية للاستيلاء عليها⁽¹⁾. الموقع الإستراتيجي للمدن الفينيقية المشيدة على 'رعان' (*promontoires*) مقابلة للبحر مثل جبيل، وصيدا، وبيروت) أو مدن أخرى مبنية على جزر مثل: "أرواد" (*Arwad*) و"صور" (*TYR*) قد مكنت الفينيقيين من الاحتكاك بالبحر أكثر من اختراق السلاسل الجبلية الشرقية⁽²⁾ حيث كانت جبال فينيقيا الداخلية حاجزا طبيعيا عرقل الاتصال بالمناطق الداخلية⁽³⁾ التي تقع خلف الوطن الفينيقي وتعرقل صلة السهول الساحلية بالأقاليم الداخلية وتجبر السكان على أن يلتمسوا لأنفسهم مخرجا آخر بأن يتجهوا إلى البحر، هذا فضلا عن البيئة المحلية التي لم تعد قادرة على إعالة السكان المتزايد عددهم باستمرار. فكان عليهم أن يلتمسوا سبلا أخرى للمعيشة أو ينطلقوا إلى ميدان التجارة ويتصلوا بالأمم الأخرى وراء البحر⁽⁴⁾ إضافة إلى صعوبة المواصلات بين المدن الفينيقية التي جعلتها تعيش في عزلة عن بعضها البعض، وعليه اتجه الفينيقيون إلى البحر الذي مثل لهم أسهل الطرق للتوسع نحو الخارج⁽⁵⁾.

(1) UNESCO : Histoire de l'humanité, Volume 02, Paris, 1965, P 30.

(2) Briquel Chatonnet (F) ,Les phéniciens aux origines du Liban ,Imp Gallimar 1998,P78.

(3) : 156.

(4) محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، ص 269.

(5) عبد الحفيظ الميار: المرجع السابق، ص 100.

الفصل الثاني: التجارة الفينيقية

كان لموقع فينيقيا الجغرافي الدور العظيم في تحديد تاريخها السياسي وذلك لموقعها في ملتقى الطرق التجارية الهامة التي كانت تلتقي فيها كل القوى المشرقية، ويمكن اعتبار العوامل السياسية من أهم العوامل التي أدت بالفينيقين إلى الخروج لحوض البحر المتوسط، إذ أن العلاقات الدولية التي سادت منطقة الشرق الأدنى في تلك الفترة دفعت بهم إلى ركوب البحر في الفترة المحددة بين نهاية الألف الثانية وبداية الألف الأولى⁽¹⁾ وذلك بسبب الصراع السياسي والعسكري، الذي كانت تخوضه الدول المجاورة للساحل الفينيقي بقصد الاستيلاء عليها⁽²⁾، ومنافسة الفينيقين في المنطقة انطلاقاً من هذه الظروف كانت دول المدن الفينيقية في تلك الفترة مثل "صيدون" و"صور" و" "مرغمة على الخضوع والتبعية لدولة من الدول القوية⁽³⁾، المتواجدة بجوارهم أو الغازية لهم ومنها الدولة المصرية في وادي النيل، والإمبراطورية الحثيية⁽⁴⁾ في آسيا الصغرى، والدولة الآشورية⁽⁵⁾ في منطقة وادي الرافدين⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ رشيد الناضوري: تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت 1981، ص 158.

⁽²⁾ محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي المتوسط ...، ص 42.

⁽³⁾ UNESCO, Op-cit, P31.

⁽⁴⁾ الحثيين HITTITES: شعب كان يسيطر على آسيا الصغرى أثناء الألف الثاني ق.م، إن مركز الحضارة الحثيية هي منطقة هاليس في وسط الأناضول وهي نتاج لاتحاد الشعوب الهندوأوروبية والسكان الأصليين، فغزوات الشعوب الهندوأوروبية إلى هذه المنطقة كانت على دفعات ابتداء من النصف الثاني من الألف الثالث ق.م انطلاقاً من منطقة البلقان عبر البوسفور وانطلاقاً من آسيا عبر القوقاز، وكانوا يستخدمون في تدوين لغتهم الكتابة المسمارية، ومن معاني الاسم " " في الأكديّة، الرعب والهلع والضرب والقمع. للمزيد من المعلومات انظر: Michel Mourre Op- cit P 2215، فاروق إسماعيل الحثييون وحملاتهم على سورية، مجلة دراسات تاريخية، السنة الرابعة والعشرون، جامعة دمشق، العدد 81 / 32 مارس/ جويلية 2003، ص 04.

⁽⁵⁾ الآشوريون: قبائل بدوية كانت تتركز في شمال العراق استقروا في هذه المنطقة منذ الألف الثالث، وبنوا قرى ومدناً كان أعظمها مدينة آشور التي جعلوها عاصمة لهم، وتبنى الآشوريون حضارات الشعوب التي سيطروا عليها، فجاءت حضارتهم امتداداً لحضارات من سبقهم، لكن واقعهم أعطى طابعاً مميزاً، فقد عرفوا بالقساوة واعتمدوا على القوة، استعانوا بالفينيقين لبناء أسطول قلدوا فيه السفن الفينيقية، للمزيد من المعلومات انظر: وهيب أبي فاضل موسوعة، عالم التاريخ والحضارة، ص ص 77-78.

⁽⁶⁾ محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط ... ص 42.

الفصل الثاني: التجارة الفينيقية

كانت دول المدن الفينيقية تتحرك في هذا الوسط المتناقض المتصارع مع محاولة الحفاظ على وجودها، ولو بتبعية هذا الطرف أو ذاك تماشياً مع الظروف الدوا السائدة آنذاك بالمنطقة⁽¹⁾ كان لغزوات شعوب البحر⁽²⁾ وما أحدثته من انقلاب في موازين القوى السياسية بمنطقة جنوب غرب آسيا وما جاورها⁽³⁾ أثره الكبير، حيث ت في انتقال أعداد كثيرة من الفينيقيين إلى مناطق الحوض الغربي من البحر المتوسط خاصة بعد الهيمنة الآشورية⁽⁴⁾ على المنطقة فراراً من الخطر الخارجي المدق بهم، وبحثاً عن مجال حيوي يخول لهم الحياة الكريمة والأمن.

كان الفينيقيون لا يميلون بطبعهم للمسائل السياسية، بل يركزون نشاطهم في المجالات الاقتصادية، فهم يفضلون الأمان والاستقرار السياسي، حتى أنهم يقبلون دفع الجزية أمام ضغط العناصر التي تريد غزوهم حتى يتحقق لهم السلام ويتابعون نشاطهم التجاري بعيداً عن الصراعات والحسابات السياسية الهامشية حسبهم، ويرى عدد من المؤرخين أن من أسباب ركوب الفينيقيين البحر يعود إلى العوامل الاقتصادية التجارية وذلك راجع لضيق الأراضي الساحلية المنحصرة بين السلاسل الجبلية والبحر والتي لا تلبى حاجة سكانها وخاصة من الجانب الزراعي⁽⁵⁾، واعتمد الفينيقيون على التجارة البحرية لأن البحر الواسع كان يفتح أمامهم الأبواب للوصول إلى بلاد عديدة وبعيدة وتبادل السلع المختلفة مع شعوبها، ولأن مجال التجارة البرية كان ضيقاً بالمقارنة مع التجارة البحرية، إن الدافع الرئيسي للتوسع الفينيقي في المتوسط والحوض الغربي بشكل خاص، كان دافعاً اقتصادياً تجارياً⁽⁶⁾.

(1) UNESCO, Op-cit, P30.

(2) كانت غزوة شعوب البحر قد وصلت إلى الساحل الفينيقي في حوالي بداية القرن الثاني عشر ق.م، وكانت معاصرة للملك المصري رمسيس الثالث (RAMSES) الذي تصدى لهؤلاء الغزاة على حدود مصر فردهم على أعقابهم. للمزيد من المعلومات انظر: محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، ص 45.

(3) UNESCO, Op-cit, P31.

(4) Gras (M) , l'univers phénicien, Ed Arthnaud, Paris 1989, P 73.

(5) Fantar (M.H): Carthage la prestigieuse cite d'elissa, Maison de l'édition Tunisienne 1970. P 16.

(6) مد رفعت، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، القاهرة 1959، ص 19.

الفصل الثاني: التجارة الفينيقية

إن ضيق مساحة الأراضي الزراعية الخصبة في الساحل الفينيقي أدت إلى تحويل اتجاه السكان من الاعتماد على الزراعة إلى الاعتماد على التجارة البحرية والبرية⁽¹⁾.

إضافة إلى ذلك فإن افتقارهم للمواد الأولية إما عدا الأخشاب، والمواد الغذائية والمريق (*Murex*) جعل التجار الفينيقيين يجوبون سواحل البحر المتوسط بحثاً عن مناجم الفضة والقصدير والنحاس، لجلب هذه المواد الأساسية بالنسبة الفينيقيين الاقتصادي كان يحدده البحر بالدرجة الأولى⁽²⁾ بعدما قام الآشوريون بإغلاق أسواق المشرق في وجه التجارة الفينيقية، مما استوجب على الفينيقيين الاتجاه نحو الغرب، خاصة شبه جزيرة إيبيريا للحصول على المعادن منها الفضة والذهب والقصدير (*Etain*)⁽³⁾ وهذا راجع إلى أن الصناعة الفينيقية كانت تعتمد على المواد الخام والتي لم يكن معظمها متوفراً في فينيقيا⁽⁴⁾ إن عليهم أن يلتمسوا لهم سبلاً أخرى للمعيشة أو ينطلقوا إلى ميدان التجارة⁽⁵⁾.

- الدوافع الاجتماعية والديمغرافية:

دفع الجانب الاجتماعي الفينيقيين إلى ركوب البحر ذلك أنهم اتجهوا نحو الغرب للبحث عن مواطن جديدة لإسكان الفائض من السكان المتزايد بعد النمو الديمغرافي الذي عرفته فينيقيا وتوفير ظروف حياة كريمة تستجيب لذلك النمو ومطالب المجتمع المعاشية. وفي هذا السياق أورد سالوست (*Salluste*)⁽⁶⁾ ما معناه: « قام الفينيقيون بالهجرة لعدة أسباب فمنهم هاجر لكي يخفف من الضغط السكاني في بلاده وبعضهم مدفوعاً

(1) محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، ص 47..

(2) Jawad Bolos, Op-Cit, P69

(3) Krings (V), OP- CIT, p 09.

(4) Cintas (P) Manuel d'archéologie punique Ed, Picard, 1970, P 249.

(5) محمد بيومي مهران: 269.

(6) : مؤرخ روماني ينتمي إلى الطبقة العامة عاش خلال القرن الأول ق.م وهو أول حاكم روماني لإفريقيا الجديدة (AFRICA- NOVA) التي كانت عاصمتها "سيرتا" (قسنطينة حالياً) عين من قبل يوليوس قيصر بعد قضاء هذا الأخير على الملك يوبا الأول ملك نوميديا، ومن أشهر مؤلفات سالوست، حروب يوغرطة، ومؤامرة كتالينا، للمزيد : محمد الصغير غانم، ملاحظات عامة حول إعادة كتابة تاريخ الجزائر القديم، مجلة سيرتا، السنة 9/8 ربيع الأول 1404 ديسمبر 1983، مطبعة البعث، قسنطينة، ص 162.

الفصل الثاني: التجارة الفينيقية

بروح الغزو، نظموا أنفسهم وجمعوا الناس المتشوقين إلى ركوب البحر، ونزلوا إلى سواحل إفريقيا...»⁽¹⁾.

وإذا ما حاولنا مناقشة هذا الرأي، فإنه يتبين لنا أن قسما منه على الأقل مردود ونرفض الأخذ به لأنه لا ينطبق على أسباب ودوافع الهجرة الفينيقية الأولى، التي تضعها الروايات التقليدية في أواخر القرن الثاني عشر ق.م. حيث تذكر المصادر أن فينيقيا لم تكن تشكو ضغطا سكانيا في تلك الفترة المشار إليها، وما يؤيد ذلك أن الهجرة الفينيقية الأولى حسب النصوص التاريخية كانت هجرة فردية، ولم تكن تعتمد على الغزو كما ورد في الرواية التي ذكرها سالوست الروماني وهو من أعداء القرطاجيين أبناء الفينيقيين بل كانت مجرد جماعات صغيرة دافعها الأول هو التجارة على أن الجزء الأخير من الرواية يمكن أخذه بعين الاعتبار، لأن عامل المغامرة كان من العوامل المساعدة على اقتحام الأماكن المجهولة، أما فكرة التخفيف من الضغط السكاني، فربما أنها وجدت في الفترة المتأخرة، أي عندما ازدهرت بعض المدن الفينيقية كـ"صور" و"صيدا"، نتيجة ازدهار التجارة فيها، حيث هاجر أبناء، عن المواد الأولية والأسواق الخارجية من أجل توفير المجال الحيوي والتخفيف من الضغط الذي عرفتته تلك المدن في المرحلة المتأخرة.

كان للصراع الداخلي الذي كان سائدا بين الأموريين والآراميين والعبريين في منطقة سوريا الداخلية، تأثيره الخاص على ارتفاع نسبة السكان في الساحل الفينيقي تفوق إمكانات الاستيعاب؛ المدن الفينيقية الساحلية⁽²⁾، إضافة إلى الخطر الآشوري الذي ازداد تأثيرا على الفينيقيين ودفعهم إلى الهجرة، خاصة في عهد آشور ناصر " (883-896 ق.م) الذي قال في بعض خطبه: « إن ضريبة الذهب والفضة المفروضة على ملوك أهل بلاد صور⁽³⁾ وصيدا وجبيل، سألصل عليها، ويقبلون

(1) Salluste, Catalina et guerre de Yugurtha, Traduction Alfred Ernout, 5^{eme} édition
belle lettres, Paris 1962, P 154.

(2) محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط ...، ص 50.

(3) انظر شكل رقم 17، ص 74.



شكل رقم 17: منحوتة تمثل رجال البحر الفينيقيين يحملون الجزية إلى الملك
الآشوري (شالمنصر الثالث) (824-858) ق م
اللوحة محفوظة بالمتحف البريطاني في لندن.

سيف الدين الكاتب، أطلس التاريخ القديم دار المشرق العربي، بيروت،
2005 ص 70.

الفصل الثاني: التجارة الفينيقية

قدهامى»⁽¹⁾، وه ذا دلي ء و ء الملك الآشوري أم ام الملوك المعاصرين له في فرضه عليهم ضريبة الولاء السنوية وهى المتمثلة في تبعية الضعيف للقوى أى أن الفينيقيين أصبحوا محاصرين من جميع الاتجاهات، فأصبح المخرج الوحيد لهم هو البحر في عهد التوسع الآشوري المهدد لهم.

المبحث الثاني: المبادلات التجارية الفينيقية:

كان النشاط الاقتصادي الممارس على نطاق واسع هو التجارة، فالتصقت بالفينيقيين هذه الصورة في العالم القديم وكانت ميزة خاصة بهم⁽²⁾، حيث مارسوا التجارة وجعلوا منها مورد رزقهم الأول لأن موارد الزراعة والصناعة لم تكن كافية لتأمين حاجات الشعب وتثبيت الركائز الاقتصادية لكل مدينة⁽³⁾.

ومن المعروف أن التجارة كانت أو كانت أن تصبح الحرفة الرئيسية للفينيقيين خاصة أهل صور وصيدا، الذين كانوا بمثابة وسطاء عالميين للتجارة الدولية في العالم القديم، فانتشروا شرقا وغربا حتى أصبحت كلمة " كثيرا ما تستعمل كمترادف للفظ " تاجر"⁽⁴⁾، فحققوا أرباحا وقدموا خدمات كبيرة لإخوانهم في فينيقيا عن طريق ترويج صناعاتهم وإعطاء دفع قوى للاقتصاد الفينيقي⁽⁵⁾ فأصبحت موانئ صور و" صيدا"⁽⁶⁾ و " و أوغاريت" مراكز تجارية مزدهرة تمر عبرها السلع الفينيقية إلى مختلف أنحاء العالم القديم آنذاك⁽⁷⁾ وورد عن هيرودوت في هذا الشأن: «يقال أنه بعد وصولهم من البحر الإريتري إلى هذه السواحل، واستقرارهم بالأرض المحيطة بها، قاموا برحلات طويلة حاملين سلعا مصرية وآسيوية إلى مختلف الأصقاع»⁽⁸⁾.

(1) Andre Parrot : Ninive, et l'ancien testament, Edit Payot, Paris 1953, P 21.

(2) Krings (V), Op- cit, P 273

(3) جوزيف صقر، المرجع السابق، ص 120.

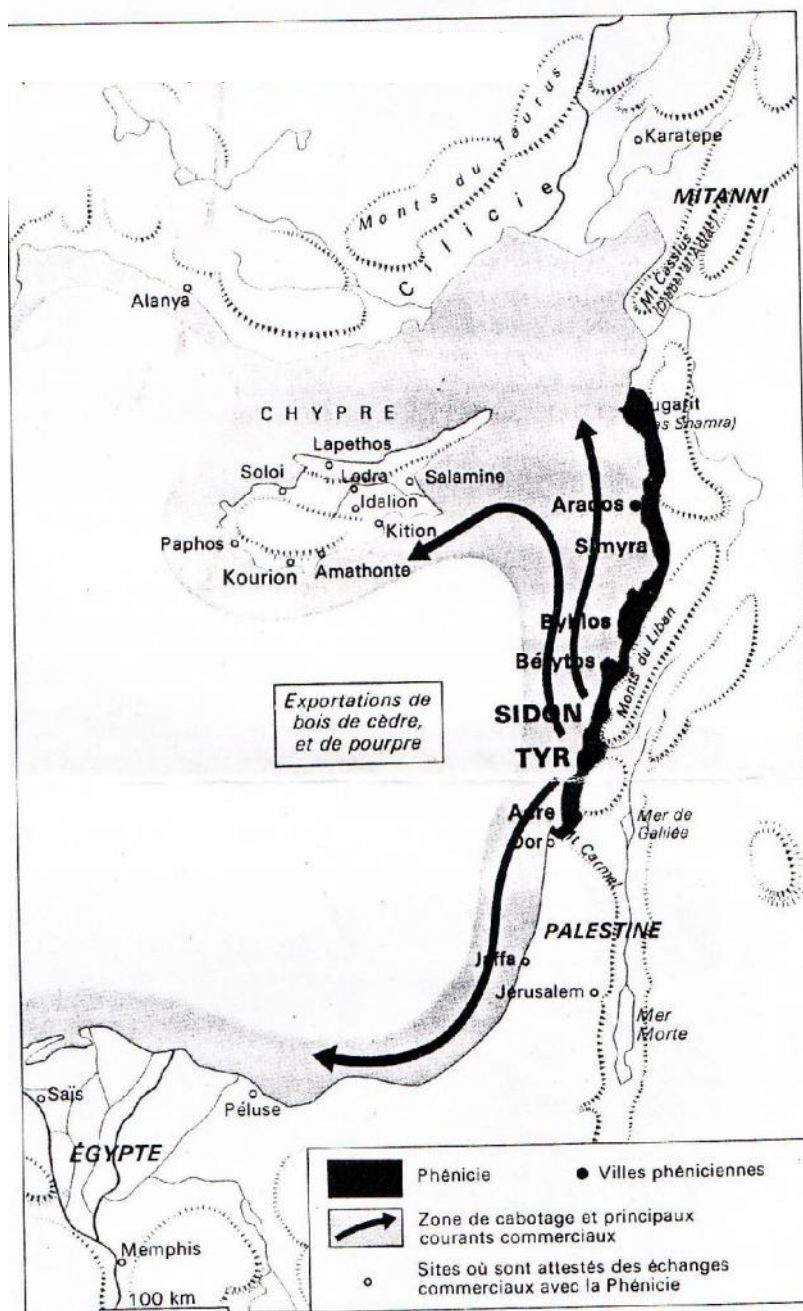
(4) محمد بيومي مهران المرجع السابق، ص 406.

(5) Claude Shaeffner, Histoire universelle ulistre les premiers empires- Naissance de la Grèce, Edit Rencontre, Lausanne, 1968, P 123.

(6) انظر شكل رقم 18 ، ص 76.

(7) Encyclopédie Alpha Beta- Edit centre de culture moderne, Paris, 2000 P 941.

(8) Herodote, HIST, I, 1.



شكل رقم 18: خريطة تمثل نطاق التجارة الفينيقية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط من 1200 ق.م وبعدها.

PIERRE VIDAL NAQUET, Histoire de L'Humanite de la Préhistoire à la Fin du XX^{eme}, Siecle, Hachette, Paris, 1987, P25.

الفصل الثاني: التجارة الفينيقية

وأيده سترابون بقوله: « إن خبرة الفينيقيين البحرية معترف بها قديما، حيث غامروا إلى ما بعد أعمدة هرقل وأسسوا مدنا تتوسط طريق السواحل الليبية»⁽¹⁾.

احتكر الفينيقيين الملاحة في البحر المتوسط ووفروا لشعوبه المواد التجارية الثمينة المستوردة من مختلف أصقاع العالم القديم سواء بواسطة القوافل التي كانت تجوب الطرق البرية أو بواسطة السفن في البحار⁽²⁾ والملاحظ أن التجارة الفينيقية لم تكن تجارة بحرية فحسب، بل قامت أيضا على الطرق البرية، إذ قام التجار الفينيقيون بنقل تجارتهم واستيراد البضائع عن طريق الساحل الفينيقي جنوبا إلى فلسطين حتى سيناء، ومنه إلى الجزيرة العربية أو إلى داخل مصر والسودان والحبشة، أو شمالا إلى أرمينيا وآسيا الصغرى⁽³⁾. التجارة ترتبط بعاملين يمثلان عنصر الأساس في قيام الحركة التجارية هما: الموقع الجغرافي المميز، ووجود طرق تجارية برية وبحرية⁽⁴⁾ ففيما يتعلق بالفينيقيين نجد أنهم تأثروا إلى أبعد الحدود بالبيئة التي عاشوا فيها واستجابوا لها استجابة كاملة، فالنشاط التجاري البحري والدور الذي قاموا به في منطقة البحر المتوسط خير دليل على ما ذهبنا إليه في هذا السياق.

إن الانطلاق إلى ميدان التجارة البحرية كان البداية التي ساهمت في اتصالهم بدول العالم الأخرى والحضارات والأمم الناشئة والجدير بالذكر هو أن نشاطاتهم التجارية في القرنين الأخيرين من الألفية الثانية ق. م كانت تتم مع شعوب الحوض الشرقي للبحر المتوسط مثل مصر والساحل الجنوبي للأناضول وقبرص⁽⁵⁾. التجارة الفينيقية مع مصر، كانت كلها تتم عن طريق البحر، بينما كانت التجارة مع بلاد

(1) Strabon, Géographie, I. 3.

(2) Vigouroux, Dictionnaire, de la bible , Op-cit, P 235.

(3) حسان حلاق، المرجع السابق، ص 71.

(4) محمد عبد القادر خريسات: تاريخ الحضارة الإنسانية، الطبعة الأولى، دار الكندي للنشر والتوزيع، أريد، الأردن

1999، ص 97.

(5) Sabatino. Moscati, Les phéniciens, P 78.

الفصل الثاني: التجارة الفينيقية

الرافدين تتخذ نهر الفرات واسطة للنقل⁽¹⁾، حيث كانت جذوع الأشجار تنقل على طول النهر بواسطة السفن الفينيقية، وهذا مجسد في نافرة سرجون⁽²⁾ منحوت عليها جذوع أشجار فخمة تنقلها سفن ، وفي نهاية القرن الثاني عشر ق. م ظهرت على الساحة كل من مدينتي: 'صيدون' (*Sidon*) و 'صور' (*TYR*) بعد أقول نجم مدينة " (*Byblos*)، فكانت صيدا تتعامل تجاريا مع سكان - دلتا النيل- بينما مدينة صور ازدادت شهرة ومالا في عهد الملك 'حيرام' الذي كان يتعامل مع الملك سليمان⁽³⁾.

وكان الفينيقيون يقومون بالمساحلة على طول ساحل شمال إفريقيا إلى جزيرة سردينيا، أي أنهم كانوا يتخذون من الطريق الجنوبي سبيلا لهم لا يشكل خطرا عليهم. عكس الخط الشمالي الذي كان يؤدي بهم إلى الاصطدام بالإغريق الذين كانوا يهيمنون على سواحل الأناضول وأوروبا.

ونلاحظ أن التجارة الفينيقية لم تكن تجارة بحرية فحسب بل قامت أيضا على الطرق البرية⁽⁴⁾ وهو ما أشارت إليه التوراة بشأن التجارة الفينيقية البرية والبحرية : سفر حزقيال⁽⁵⁾، والتي مرت بمرحلتين :

1- وافل بين خليج العقبة وإقليم أشدود، وهي أسدود حاليا تقع بالقرب من غزة.

2- بواسطة الطرق البحرية بعد إنشاء مراكز تجارية على السواحل⁽⁶⁾.

(1) نينو موسكان : الحضارة الفينيقية، ص 142.

(2) سرجون الثاني، يعرف بالآشورية شريكين 722 - 705، أول ملوك الأسرة الرجوين، إستولى على العرش بالقوة وتوسعت الإمبراطورية في عهده حتى وصلت إلى كيليكية، وبلغت توسعته إلى الحدود المصرية، خفض من شأن معظم الدول التابعة له وجعلها مقاطعات من مملكته للمزيد من المعلومات انظر: ف. فون زودن: مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق 2003، ص ص 67-68.

(3) Deshayes (J), Les civilisations de l'orient ancien, Arthaud, Paris 1969, P123

(4) حسان حلاق المرجع السابق، ص 71.

(5) سفر حزقيال، 1/27-36.

(6) محمد بيومي مهران المدن الفينيقية، ص 406.

الفصل الثاني: التجارة الفينيقية

ووصلت قوافلهم إلى اليمن مروراً بالمدينة ومكة عن طريق شرق الأردن ومنه إلى حضرموت فالعراق الجنوبي وساحل الخليج العربي إلى المحيط الهندي⁽¹⁾.

إضافة إلى هذا كانت قوافل الجمال ترحل عبر الصحراء من مصر وبابل وشبه الجزيرة العربية حاملة مختلف السلع، تنتظر السفن في الموانئ، حيث أصبح الفينيقيون هم الموزعون للسلع التي ينتجها العالم القديم⁽²⁾، وهذا راجع إلى خبرة وحكمة التجار الفينيقيين كانت مضرب الأمثال حيث كانت تستعمل تسمية كنعاني للإشارة إلى التجارة⁽³⁾ فيبدو أن مهارتهم كتجار وملاحين كانت أسطورية⁽⁴⁾.

إن استخدام العملة في الميدان التجاري بدأ عند اليونانيين أثناء القرن السابع ق.م وأصبح استعمالها عادياً في بداية القرن السادس ق.م⁽⁵⁾ ون الذين كانوا سابقين في الميدان التجاري قبل هذا التاريخ كانوا حريصين على أن يتم التبادل التجاري بينهم وبين شعوب العالم القديم بواسطة المقايضة.

وقد أشارت الدراسات أن السلع التجارية التي كان ينقلها الفينيقيون إلى موانئ⁽⁶⁾ البحر المتوسط منشؤها الصناعة الفينيقية، مثل الأرجوان والزجاج المصنوع في صيدا وصور⁽⁷⁾، بالإضافة إلى سلع أخرى من مختلف مناطق حوض البحر المتوسط وشبه الجزيرة وآسيا، كانوا يروجونها في أسواق العالم القديم

توابل بلاد العرب الت : ن طريق التجارة الفين

(1) محمد غزّة دروزة : المرجع السابق، ص 82.

(2) موسوعة المعرفة، المجلد الثالث، مؤسسة خلقية للطباعة، بيروت، 1984، ص 466.

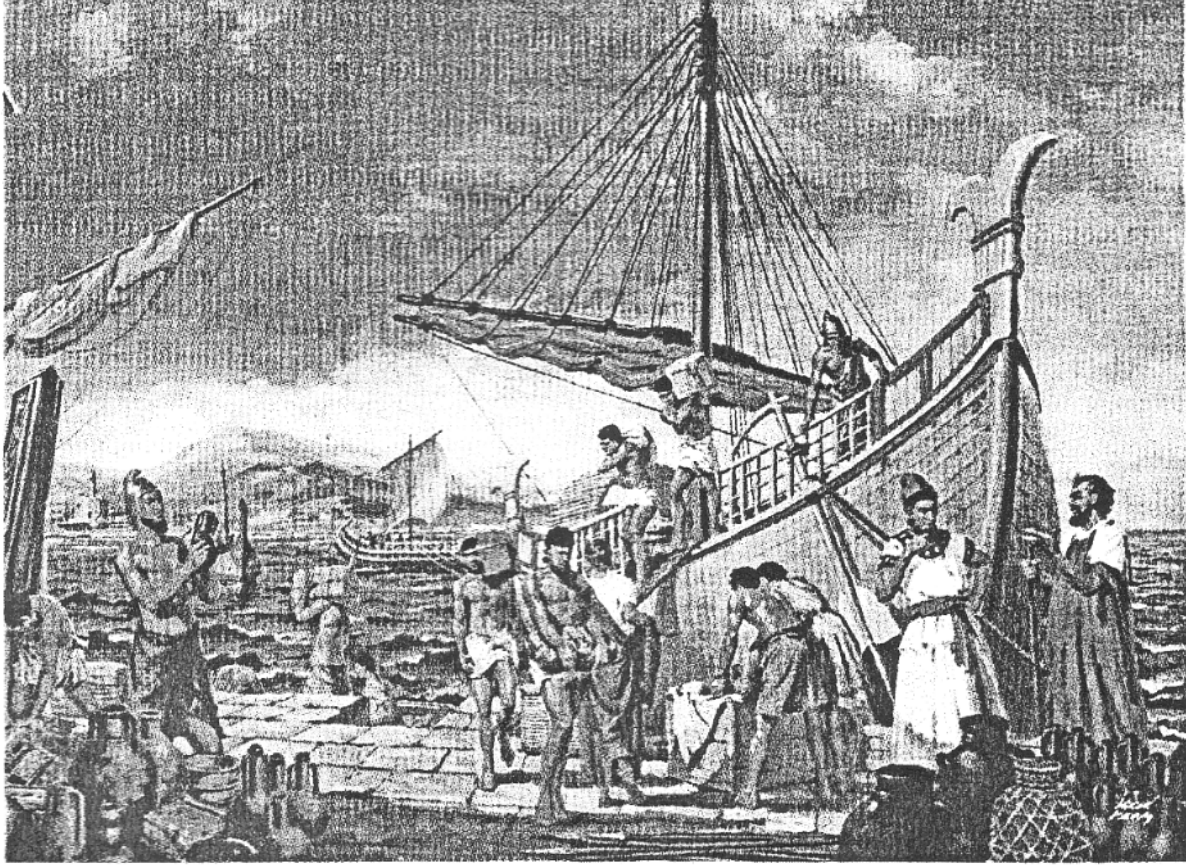
(3) Contenau (G), Op-cit, P 299.

(4) Leon Homo, Histoire D'orient, Fayard, 1945, P 154.

(5) لقد قامت المدن الفينيقية الغربية بضرب عملتها متأخرة عن المدن الشرقية، فيوجد في المتحف البريطاني قطعة نقدية عليها رأس الإلهة "تانيت" (Tanit) وعليها غطاء رأس بوني، وعلى الوجه الآخر أسد وشجرة نخيل ونقش مكتوب بالبنونية (الفينيقية) للمزيد من المعلومات انظر: محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، تاريخ لبنان القديم، ص 419.

(6) انظر شكل رقم 19 ص 80.

(7) Barthelemy (Lecureux) Les phéniciens en Afrique, Imp, Jules Janin Paris 1895, P 09.



شكل رقم 19: تجار من فينيقيا

سلسلة تاريخنا، ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع، الكتاب الأول، دار التراث، جنيف،
سويسرا، 1977، ص 232.

الفصل الثاني: التجارة الفينيقية

إلى مختلف أنحاء العالم القديم⁽¹⁾، حتى أن تجارة العطور والبهارات والأفاويه كانت من احتكارات السوريين منذ أقدم العصور⁽²⁾، بالإضافة إلى تصديرهم لأربعة أصناف من السلع إلى شعوب البحر المتوسط وهي الخشب والقمح والزيت والتمر⁽³⁾، والزجاج والأقمشة التي كانت من أهم المواد التجارية بالنسبة للفينيقيين⁽⁴⁾، وامتد نشاطهم التجاري إلى السودان الغربي⁽⁵⁾.

وكان العاج من السلع التي دخلت تجارة الصحراء بين 'الجرامنتيين'⁽⁶⁾ (Les Garamante) والفينيقيين⁽⁷⁾. وكانوا يحملون الزيت الذي تنتجه المعاصر اليهودية إلى ترشيش، وسيتبدلونه بالفضة⁽⁸⁾.

أما الأواني النحاسية التي كانت ترد إلى أسواق صور من قبرص كانوا يسوقونها إلى جزر الكاستريد وكورنوال (بريطانيا) ويستبدلونها بالمادة الأولية القصدير، لاعتماده في التصنيع كمادة خام⁽⁹⁾، ويبدو أن الفينيقيين كانوا يقومون بعدة رحلات تجارية منظمة إلى أسواق القصدير في شبه جزيرة كورنوال، والدليل هو العثور على سبيكة قصدير في ميناء فالموث في شبه جزيرة كورنوال تشابه شكلها سبائك قصدير

(1) عبد القادر خريسات، المرجع السابق، ص 97.

(2) معن عرب: المرجع السابق، ص 106.

(3) محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، ص 106.

(4) Strabon, Géographie, Op-cit, III, V, P 11.

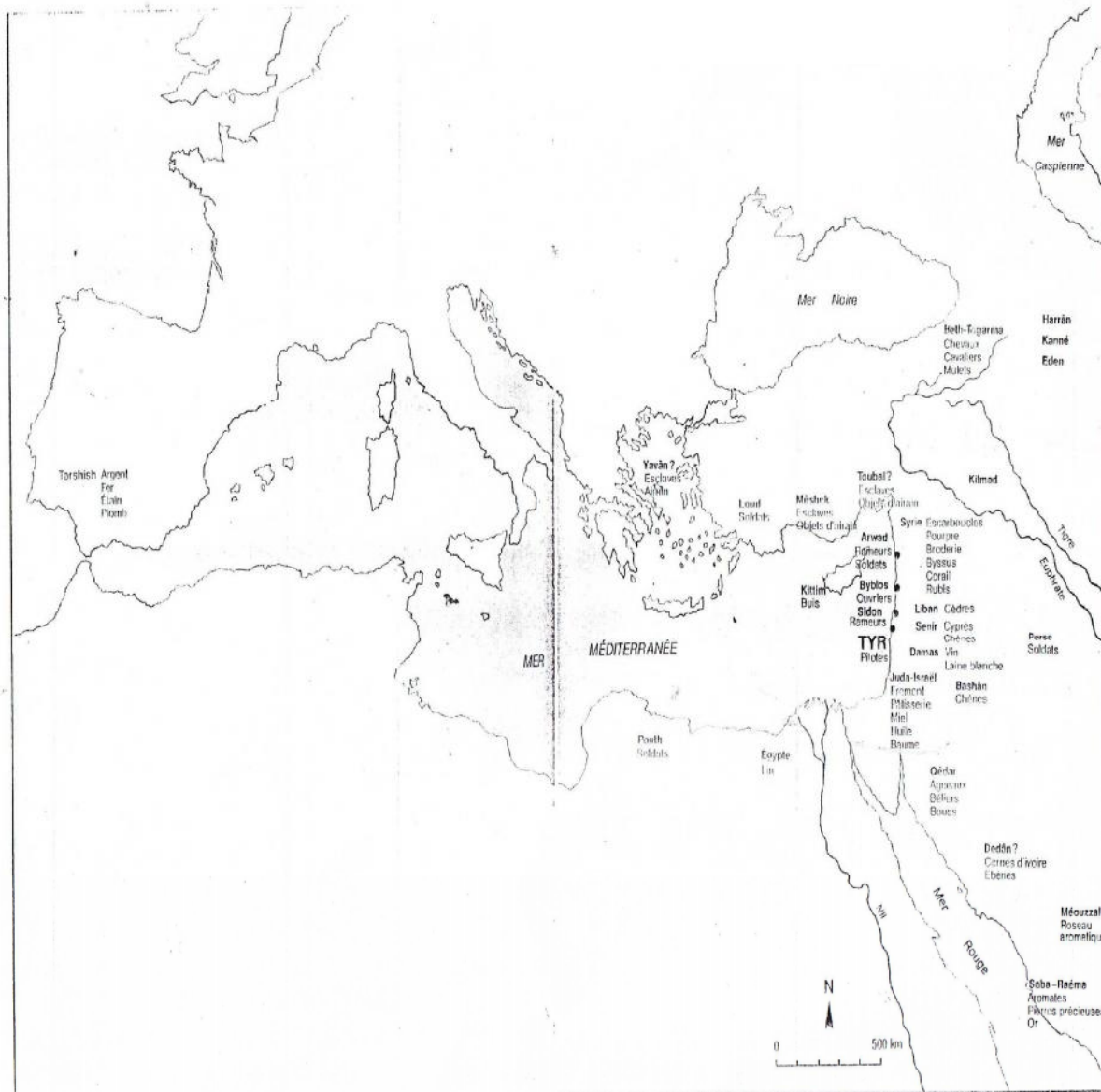
(5) Herodote, Histoire IV, P 196.

(6) الجرامنتيين: هي إحدى المجموعات السكانية التي ذكرها هيرودوت في عداد القبائل اللوبية، وتدل الدراسات التي أجريت على عدد معين من الهياكل اللبية أن الجرامينت ينحدرون من جنس البحر المتوسط المختلط بالجنس الزنجي، وهذه القبيلة هي الوحيدة التي حظيت بدراسة مستفيضة، ولم يقتصر هذا على المصادر الأدبية وإنما أضيف إلى ذلك دراسات في مجال الآثار وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) وتشير المصادر أن أرض الجرمينت كانت تشتمل منطقة أوسع من فزان. للمزيد من المعلومات انظر: عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص ص 55 - 56.

(7) أحمد إلياس حسين: سلع التجارة الصحراوية، منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، بنغازي 1979، ص 206.

(8) معن عرب، المرجع السابق، ص 106.

(9) انظر شكل رقم 20، ص 82.



شكل رقم 20: خريطة المناطق التجارية التي كان يتعامل مع الفينيقيون
حسب وصف النبي حزقيال

SABATINO MOSCATI , LES PHENICIENS, , p 99.

الفصل الثاني: التجارة الفينيقية

فينيقية من قبرص، التي ترجع إلى العصر البرونزي، لدليل واضح على وصول الفينيقيين في هذا العهد المتقدم إلى هذه الأنحاء⁽¹⁾.

وعرفت المدن الفينيقية رواجاً كبيراً في المراكز التجارية التي أقاموها في كل من قبرص ورودرس وصقلية، سردينيا، إسبانيا وشمال إفريقيا⁽²⁾، والمعلومات الخاصة بالمتاجر الفينيقية والحركة التجارية تتمثل في المخطوطات الموجودة في توسكانوس *Toscanos* وموتيه *Motye* حيث عثر على متجر بتوسكانوس يتكون من ثلاثة غرف واسعة يبلغ طول الواحدة منها 15م وعرضها 11م، أما المساحة فهي مضاعفة بسبب وجود طابقين لهذا المتجر، ونفس الشيء بالنسبة للمتجر الذي وجد في موتيا⁽³⁾ ولعل خير وصف للتجارة الفينيقية هو ما جاء على ألسنة أنبياء العبرانيين خاصة بالنسبة لصيدا وصور من خلال سفر حزقيل وصفا دقيقاً للتجارة والمناطق التي كان يتعامل معها الفينيقيون تجارياً كانت تتوزع على عدة فضاءات جغرافية :

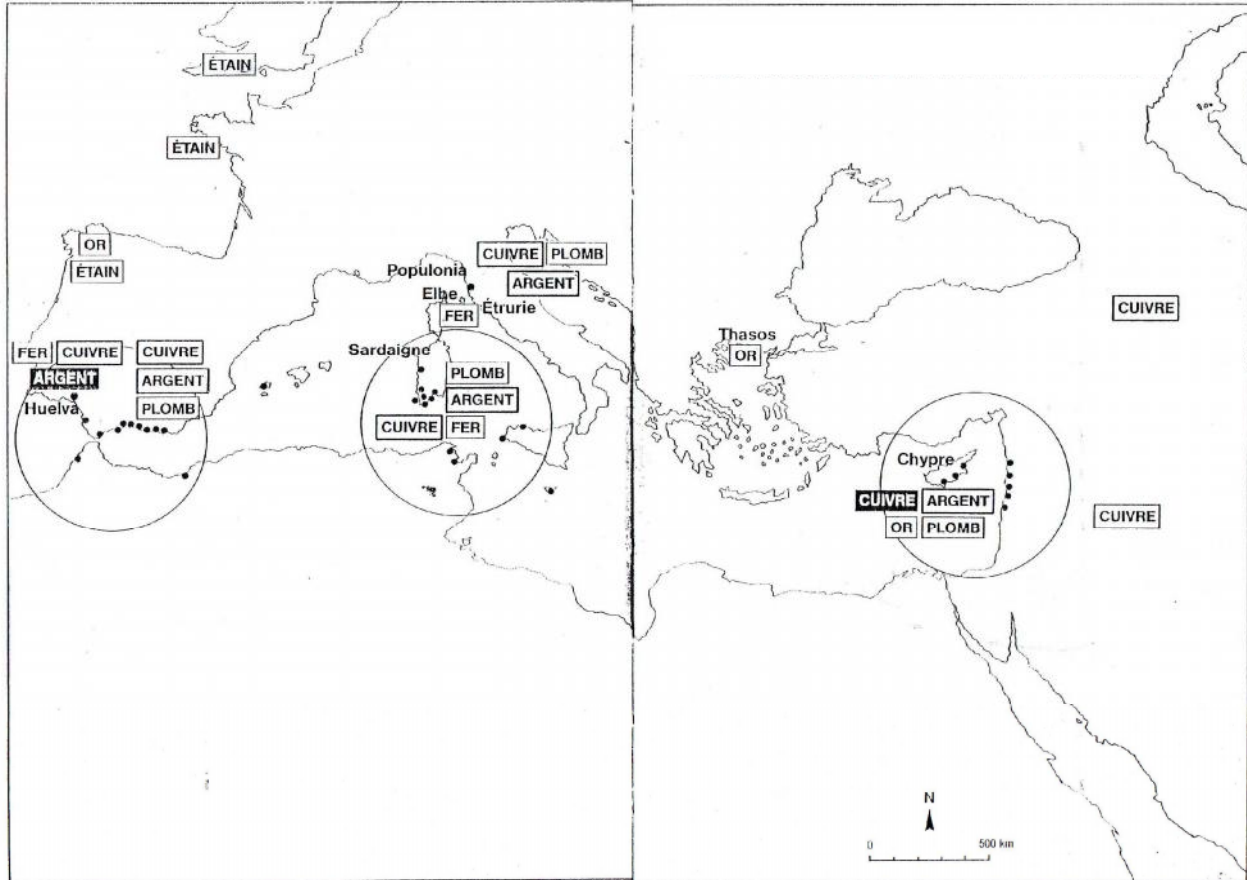
- **الفضاء الأول:** وهو القريب من فينيقيا ويتمثل في سوريا وفلسطين ومهمته توفير المواد الزراعية.
- **الفضاء الثاني:** ويشمل الأناضول الشرقية إلى بلاد العربية الشمالية، ويوفر المواد الناتجة عن الرعي.
- **الفضاء الثالث:** يتمثل في الجزء الأوسط من آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين وجزء من شبه الجزيرة، ويوفر الصناعات التقليدية والعبيد.
- **الفضاء الرابع:** ويشمل المناطق الجنوبية من البلاد العربية وبلاد ترشيش⁽⁴⁾ غرب البحر المتوسط، وكانت توفر المواد المعدنية والمنتجات المختلفة. وذكر النبي

(1) معن عرب، المرجع السابق، ص 142.

(2) محمد بيومي مهران: حضارات الشرق الأدنى القديم، ج1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1999 ص 310.

(3) Gras, Op.cit, p63

(4) انظر شكل رقم 21، ص 84.



شكل رقم 21: خريطة المناجم والمعادن في حوض البحر المتوسط في عهد الفينيقيين

GRAS(M), OP-CT, P98.

الفصل الثاني: التجارة الفينيقية

حزقيال أن واردات الفينيقيين من الفضة والحديد والقصدير والرصاص كانت من شبه جزيرة ايبيريا، والرقيق وأواني النحاس الأصفر من أيونيا والكتان من مصر والضأن والماعز من شبه الجزيرة العربية⁽¹⁾، والحبوب من مصر⁽²⁾.

وتكمن أهمية نبوءة حزقيال في وصفه لفعالية التجارية لإحدى المدن الفينيقية وقد يكون في هذا الوصف ما يبعث على الشك في تحديد المواقع والأمكنة المذكورة وفي حقيقة البضائع إلا أن الصورة العامة تبدي وفرة وكثافة التجارة السورية.

ونلاحظ في سفر حزقيال أنه يذكر مجموعة من الدول كانت تتعامل معها مدينة صور، منها سورية، فلسطين مصر، الجزيرة العربية، بابل، آشور، ما بين النهرين (Mesopotamie) 'حاران' (Haran)، أرمينيا، طوغرامات (Thogormath) آسيا الصغرى، أيونيا (Ionie) فبرص، هيلان، اسبانيا (Tarsis)، فمنها من كان يتعامل معها الفينيقيون بواسطة النقل البحري وأخرى بواسطة النقل البري لأنهم قبل أن يتطلعوا نحو البحر وجهوا أنظارهم باتجاه الشعوب المحيطة بهم والتي تفصلهم عنها حدود برية لأن الوصول إليها والتفاعل معها في مختلف المجالات كان أيسر نسبياً من مغامراتهم البحرية ومن خلال المعلومات التي جاءت بها المصادر الدينية في الميدان التجاري، ورد في العهد القديم ذكر الملك حيرام⁽³⁾ وعلاقاته بالملوك العبرانيين سليمان وداوود، حيث تمثل التعامل التجاري بينهم في توفير المواد الأولية (الخشب) واليد العاملة المتخصصة لبناء هيكل سليمان ومعبد القدس مقابل الحصول على المواد الغذائية ذات الأهمية الاقتصادية لدى الفينيقيين والتي تمثلت في كمية من القمح قدرت 120 000 كور (CORS)⁽⁴⁾.

(1) سفر حزقيال، 27: 3-25.

(2) أشعيا 23 / 3.

(3) الملك حيرام: ملك مدينة صور ما بين 969 ق.م - 939 ق.م، عاصر النبي سليمان تعامل معه في الميدان التجاري والملاحة البحرية، وعرف عهده بالتوسع البحري والتجاري الفينيقي حيث كان يند نشاطهم من المحيط الهندي إلى إسبانيا.

للمزيد من المعلومات انظر: Krings (V). Op- cit, P 270. , Michel Mourre- Op- cit, P 2208.

(4) كور (CORS) وحدة قياس قديمة حيث أن 1 كور يقابله 450 لتر وما يقابله بوحدة الوزن منها مكابيل السعة=

الفصل الثاني: التجارة الفينيقية

والجدير بالذكر أن بلاد الفينيقيين كانت من أغنى بلدان العالم القديم ، مصر وبلاد الآشوريين حيث قصدتها قوافل الإبل المحملة بالسلع المختلفة⁽¹⁾ وتدفقت عليها فضة المناجم الايبيرية وتبر إفريقيا الغربية⁽²⁾، فكانت الفضة ؛ كالتراب والذهب كطين الأسواق⁽³⁾.

أن طبيعة التوسع عند الفينيقيين كانت تجارية بحتة ولم تكن مدفوعة بهدف التوسع على حساب الغير، واستعمار أراضيهم مثلما كان الإغريق والدوريين بالنسبة لغزوهم للعالم القديم⁽⁴⁾ لفينيقيون الأوائل كانوا يمتنون المساحلة (Cabotage) بين الموانئ المجاورة، وكثيرا ما تعرضوا لعمليات القرصنة التي كانت سائدة في بحر 'إيجة' (Egee) من قبل الإغريق، بالإضافة إلى أنهم كانوا عرضه لاعتداءات شعوب البحر من حين لآخر⁽⁵⁾ وفي هذا السياق أورد الشاعر الإغريقي "هوميروس" في الإلياذة أن الفينيقيين امتنوا عملية اختطاف النساء والأطفال والرجال لبيعهم على شكل عبيد حيث أشار هيرودوت بخصوص تجارة العبيد: « فكانوا بمثابة سلعة تحصلوا من ورائها على أموال ضخمة بالإضافة إلى تجارتهم»⁽⁶⁾ فكانوا لا يفرقون في أعمالهم بين التجارة والغدر وبينها وبين اللصوصية، فكانوا يسرقون الضعيف ويبتزون مال الغني⁽⁷⁾.

= - مواد جافة: حمُر (كُر) = 450 لتر، نصف حمر = 220 لتر، إيفة = 45 لتر، قَبّ = 2.5 لتر.

- مواد سائلة: كُرّ = 450 لتر، بثّ = 45 لتر، هين = 7.5 لتر، لَجّ = 0.6 لتر. للمزيد من المعلومات انظر: التوراة (العهد القديم)، ط2، دار المشرق، بيروت 1991، ص 37.

(1) Seignobs, Op- cit, P331.

(2) معن عرب، المرجع السابق، ص 117.

(3) التوراة، سفر زكريا 3/ 9.

(4) Sabatino Moscati, Les phéniciens, Op.cit, P 80.

(5) Michel Tariel ; Chronique des civilisations anciennes, T.1, Les éditions Panthéon, Paris 1997, p 117.

(6) Herodote, Histoire, Op-cit , II. 52.

(7) وول ديورنت: قصة الحضارة - نشأة الحضارة - الشرق الأدنى - ، ج 1 ، دار إنجيل، بيروت، 1971 ص 312.

الفصل الثاني: التجارة الفينيقية

وفي هذا النطاق يوحى معظم المؤرخين بضرورة اتخاذ الحيطة والتزام جانب الحذر لدى استعمالنا لهذه المصادر التاريخية التي خلفها لنا المؤرخون والجغرافيون وحتى الشعراء الإغريق والرومان، وذلك أن الإغريق والرومان كانوا قد دخلوا في منافسة تجارية كبرى ضد الفينيقيين في شرقي المتوسط بالنسبة للإغريق وفي غربيه بالنسبة للرومان، مما جعلهم يحقرون ويتهمون بأعمال لا تليق بتاريخهم السلمي وبقِيمهم النبيلة التي امتازوا بها في مبادلاتهم التجارية، وإن ما صدر عن هوميروس وهيرودوت لا يمكن أن نعتد به ولا نعتبر مصدرا تاريخيا نزيها وموضوعيا لأنه يحمل نظرة لاتينية عدائية لشعوب المشرق بهدف تشويه صورتهم الحقيقية النبيلة.

أن الإنسان في كل زمان ومكان كان هاجسه الرئيسي هو تأمين مستوى عيش لائق، فإن الفينيقيين رغم إمكانات أرضهم المحدودة توصلوا إلى مستوى عيش راق، وإلى ازدهار اقتصادي حسدتهم عليه شعوب عصرهم، إذ كانوا روادا، في مجالات اقتصادية، عديدة، منها الصناعة والتجارة.

ونستنتج أن الفينيقيين أعطوا التجارة معنى خاصا فلم تعد على يدهم مجرد عملية تبادل لتأمين الحاجة الضرورية بل أصبحت عملا قائما بذاته، لا يقتصر ن الحاجة بل يهدف أيضا إلى الربح، وأصبحت إمبراطورية الفينيقيين مثالا أعلى للإمبراطورية التجارية الناجحة، وكم مرة شبه المؤرخون كلا من الهولنديين والبرتغاليين والإنكليز بالفينيقيين.

الفصل الثالث:

دور التجارة في تأسيس الحواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

المبحث الأول: المحطات والمراكز الفينيقية وطبيعتها

المبحث الثاني: مراحل التوسع الفينيقي في البحر
المتوسط

المبحث الثالث: المستوطنات الفينيقية في الحوض
الشرقي من البحر المتوسط

المبحث الرابع: المستوطنات الفينيقية في الحوض
الغربي من البحر المتوسط

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

المبحث الأول: المحطات والمراكز التجارية الفينيقية وطبيعتها:

تميز النشاط التجاري للفينيقيين بخصائص منها تأسيسهم سلسلة من المستوطنات على سواحل البحر المتوسط⁽¹⁾ بعدما زالت في أواخر الألف الثاني ق.م سيطرة الأيجيين على الحوض الشرقي للبحر المتوسط مما مكن السفن التجارية الفينيقية من الانتشار في جميع أنحاء المتوسط وإنشاء المراكز التجارية والمستوطنات الفينيقية، وبداية الألف الأولى قبل الميلاد ظهرت قواعد فينيقية، في جزر إيجه وقيليقية ومالطة وصقلية وسردينيا وشمال إفريقيا وإسبانيا⁽²⁾.

كان التوسع الفينيقي عبارة عن ظاهرة تغطي عليها الصبغة التجارية⁽³⁾ وقد طلب ذلك إنشاء أسواق ومحطات تجارية استطاع الفينيقيون بواسطتها الاتصال بالسكان المحليين ومزاولة نشاطهم التجاري معهم⁽⁴⁾.

من الأسباب والدوافع المباشرة وغير المباشرة لخروج الفينيقيين من مدنهم الأصلية واتجاههم نحو غربي المتوسط وتأسيسهم مدنا فينيقية جديدة على طول السواحل الإفريقية والأيبيرية⁽⁵⁾ موقع الساحل الفينيقي وطبيعة الفينيقيين المحبين للتجوال والمتاجرة مع الشعوب لبيع بضاعتهم المصنعة وجلب المواد الأولية المتوفرة لدى تلك الشعوب التي حلوا بأراضيها علاوة إلى الوضع السائد في المنطقة خلال الألف الثانية ق.م الذي شهد نصفه الثاني تحرك الأقوام الآسيوية عن طريق الهضبة الإيرانية ومضيقي الدردنيل والبوسفور في اتجاه سوريا والساحل الفينيقي، وكان على رأس هذه الأقوام الهكسوس⁽⁶⁾ والتي اصطاح عليها بحركة

(1) سباتيو نوموسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ص 97.

(2) نفسه، ص 97.

(3) Veronique Krings, Op-cit, P 07.

(4) محمد بيومي مهران: حضارات الشرق الأدنى القديم، ص 309. عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ص 102.

(5) رشيد الناظوري: تاريخ المغرب الكبير، ص 155.

(6) الهكسوس: اسم أطلقه المؤرخ المصري 'مننيتون' (Manethon) على الغزاة الذين احتلوا القسم المنخفض من مصر (La Basse Egypte) بين القرن الثامن عشر والقرن السادس عشر ق.م. أسس الهكسوس مملكة مصر واتخذوا من

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

الشعوب الهندوأوروبية⁽¹⁾ فحاجة الفينيقيين للمواد الخام من أجل تموين صناعتهم، بالإضافة إلى العوامل البشرية والطبيعية والسياسية دفعت العنصر الفينيقي للخروج إلى حوض البحر المتوسط وتأسيس محطات تجارية.

يعتبر تحديد التاريخ الذي بدأ فيه الاستيطان الفينيقي في الخارج مشكلة ظل المؤرخون يبحثون عن حلها على مدى عقود من السنين، وقد طرح ذا التساؤل: متى بدأ هذا الاستيطان؟ إذن المسألة في الدرجة الأولى هي مسألة تحديد أزمنة، لكن وراء هذه الأزمنة تكمن أسئلة تاريخية معقدة، تشتمل في آخر المطاف على التاريخ الأول للبحر المتوسط.

يوجد رأيان مختلفان فيما يتعلق بالتاريخ الذي بدأ فيه الفينيقيون نشاطهم التجاري في حوض البحر المتوسط، أحدهما يقول بأن فترة إقامة الفينيقيين للمستوطنات لم تبدأ قبل القرن الثامن ق.م وهي نفس الفترة التي بدأت فيها حركة التوسع الإغريقي أما الرأي الآخر فيقول أن التجار الفينيقيين كانوا أسبق من الإغريق بفترة طويلة في إقامة مستوطناتهم في حوض البحر المتوسط، والوصول بسفنهم إلى شواطئ بعيدة⁽²⁾.

وقد اعتمد أصحاب الرأي الأول على الأدلة الأثرية المتوفرة موضحين أنه لا يوجد دليل أثري يرجع إلى ما قبل القرن الثامن ق.م، ويبدو أن أصحاب الرأي الثاني على صواب ذلك أن غزو شعوب البحر لفينيقياً لا تقتصر أهميته على أنه الباعث الوحيد على التوسع البحري للشعب الفينيقي، وإنما يعتبر في نفس الوقت بداية لتوسع هذا الشعب فيما وراء البحار بعد أن انتهت السيادة البحرية الكريت (Crete) وأصبحت الطرق التجارية

أفارس" (Avaris) هم، لكنهم فشلوا في الاستيلاء على مدينة طيبة (Thebes) التي انطلق منها الفراعنة المصريين لاستعادة ممتلكاتهم في عهد الفرعون سكينيري (Sekenene) مؤسس الأسرة الثامنة عشرة الذي استولى على مدينة أفارس" ووضع حدا لوجود الهكسوس في مصر ولاحقهم إلى سوريا للمزيد من المعلومات انظر: Michel Mourre. Op-cit, P 2251

(1) رشيد الناظوري، المرجع السابق، ص 161.

(2) عبد الحفيظ الميار: المرجع السابق، ص 103.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

مفتوحة أمام الفينيقيين، حيث قاموا بزيارات متعددة حوالي القرن الثاني عشر ق.م إلى صقلية وسواحل البحر المتوسط قبل تأسيس المستوطنات، وظهرت عدة أدلة أثرية⁽¹⁾ أكدت هذا الافتراض واعتبرت هذه الزيارات كتحصير للاستيطان⁽²⁾.

- الوقوف في وجه السيادة البحرية الإيجية:

وإذا انتقلنا إلى المصادر التاريخية نجد أن التوسع الفينيقي بدأ قبل القرن العاشر ق.م، ذلك أن الميقنيين (*Myceneens*) استمروا في سيطرتهم على الطرق التجارية في حوض البحر المتوسط حتى عام ألف ومائتين ق.م وهو التاريخ الذي حدث فيه غزو شعوب البحر والذي أدى إلى اضمحلال الميقنيين وظهور الفينيقيين على مسرح الأحداث حوالي ألف ومائة ق.م (1100 ق.م)⁽³⁾.

وفي هذا السياق نسجل التساؤل الآتي: لماذا كان على جميع المؤلفين الكلاسيكيين أن يشهدوا بأن الفينيقيين قد سبقوا الإغريق في المتوسط، لو لم تكن هذه الأسبقية ذات صلة بالحقيقة، لأنهم ربما اعتمدوا على معلومات غير دقيقة، لكن بما أنهم كتبوا قريبا من زمن الأحداث تبدا هذه الإمكانية محتملة منطقيا⁽⁴⁾ حيث أشارت التوأرة في هذا الصدد: فيذكر أن أسطول صور التجاري في زمن النبي سليمان كان بوسعه القيام برحلات طويلة وشاقة مشيرا إلى 'سفن ترشيش'⁽⁵⁾.

وهناك احتمال أن يكون المراد بـ 'ترشيش' جنوب اسبانيا، ويبدو أن الملاحين الفينيقيين قد توغلوا في وقت مبكر إلى أقصى الغرب، قد يعود إلى القرن العاشر ق.م، حيث كانوا يستخدمون عددا من المرافئ كانوا أقاموها هناك وتمكنوا من تحويل إلى مراكز تجارية ومنها إلى مستوطنات جديدة⁽⁶⁾.

(1) 21 92.

(2) V.Kiring, La civilisation phénicienne et punique Op. cit P 08

(3) عبد الحفيظ الميار، إل 104.

(4) سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 166.

(5) 10 : 22.

(6) A. Aymard et J. Auboyer- Histoire Générale des Civilisations, l'orient et la Grèce, P.U.F, Paris, 1953,p286

الفصل الثالث: _____ دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط



شكل رقم 21: نقيشة فنيقية على صفحة قبرصية تعود إلى القرن الثامن ق م

م. ح. فنطر الفينيقيون بناء المتوسط، لوحة رقم 6.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

وتذكر النصوص التاريخية أنهم وجدوا منافسة عنيدة من طرف الإغريق في المناطق المطلة على بحر إيجه⁽¹⁾ الذي كان موصدا في وجههم، حيث أنهم اتجهوا غربا إلى قبرص ومالطة وصقلية واتبعوا الطريق الجنوبي المتمثل في السواحل الإفريقية إلى أن بلغوا المحيط الأطلسي⁽²⁾.

تميزت رحلاتهم بالمساحلة ينزلون في المناطق الإستراتيجية لمقايضة سلعهم مع السكان الأصليين لهذه المناطق وتدرجيا تحولت إلى مراكز تجارية ومذا إلى مستوطنات فيما بعد استوطنوا على سواحل البحر المتوسط في مراكز توجد على جزر ساحلية مثل: "موتيه" (Motye) و "أراشقون" "موقادور" (Mogador) و "قاس" (Gades) و في "خليج" (La Crique) لجزيرة كبيرة "كسولقيس" (Sulcis) وفي نهاية جزيرة "تاروس" (Tharos) و "نورا" (Nora) وعند مصب نهر غرار " " (Bethia) و "توسكانوس" (Toscanos) و "مورو دوميزيكتا" (Mezquitilla) وفي أسفل خليج "أوتيك" (Utique) و "قرطاج" (Carthage) و "كاغلياري" (Cagliari) بالرم و " (Palerme) "إيزا" (Ibizia) أن الفينيقيون ينزلون دائما بيد ن اليابس والبحر⁽³⁾.

ويبدو أنهم كانوا قد أسسوا محطات تجارية حوالي الألف الأولى قبل الميلاد في كل من "قبرص" و "رودس" و "تييرا" و "كوتيرا" و "فاسوس" و "كريت" (Crete) حيث تدل الشواهد الأثرية على أنهم جاءوا إلى صقلية في نهاية الألف الثانية ق.م. وقد استخدمت كمحطات على الطريق البحري من فينيقيا إلى غرب البحر المتوسط⁽⁴⁾.

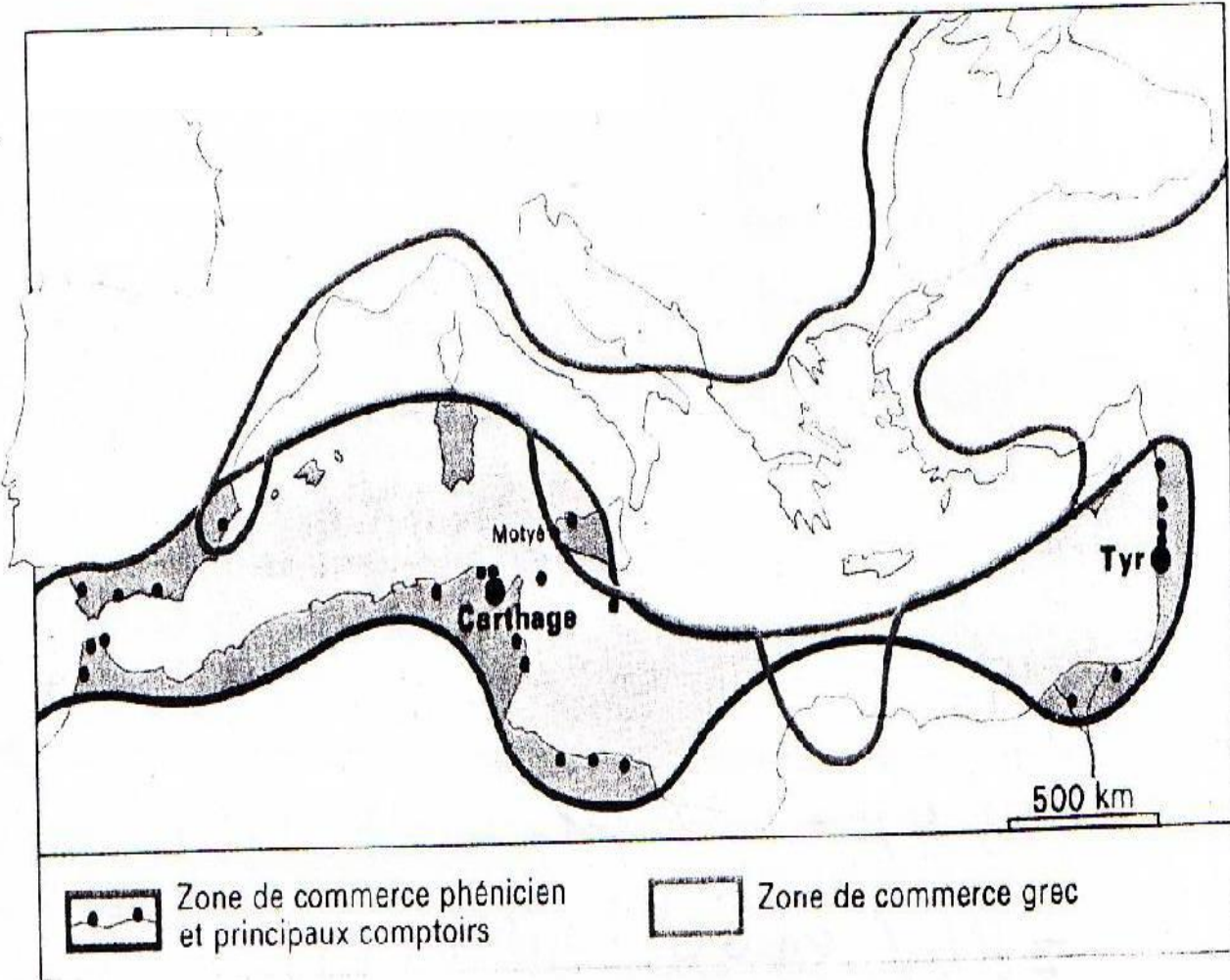
⁽¹⁾ انظر شكل رقم 22، ص 94.

⁽²⁾ Louis Delaprote, Les peuples de l'orient mediteraneen, P.U.F, Paris, 1938, P 229.

⁽³⁾ M. Gras. Op. cit. P 53

⁽⁴⁾ نجيب مخائيل إبراهيم، سورية، الإسكندرية، 1966، ص 106.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط



كل رقم 22: الفضاء التجاري الفينيقي والإغريقي في البحر الأبيض المتوسط

PIERRE VIDAL NAQUET, Histoire de L'Humanité de la Préhistoire à la Fin du XX^{ème} ,Siccle, Hachette, Paris, 1987, P25.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

اقتصروا في المراحل الأولى على بناء منازل على اليابسة ينزلون فيها عند الحاجة وأحيانا على إقامة نفر قليل منهم، يحيون حياة بسيطة من دون أن يشيدوا مساكن لهم أو يخلفوا أثارا جديرة باهتمام علماء الآثار فبداية التوثيق الأثري لا تتطوي بالضرورة على بداية الاستيطان الفينيقي، بل على بداية مستوطنات متطورة تطورا كافيا وثابتة⁽¹⁾ كانوا يستريحون في هذه المحطات أياما معدودات في أول الأمر على الأقل، وقد أدى ذلك إلى تتابع خرجاتهم بالتدرج وعلى مرات متعددة ق هذا النشاط التجاري في هذه الأسواق والمناطق الجديدة⁽²⁾، وهي المراكز التجارية التي ساهمت في تمكين الفينيقيين من الاحتكاك بشعوب مجاورة مثل: شعوب السيكان⁽³⁾ والإليم⁽⁴⁾ (Elymes) Et (Sicanes) و'النوراجيك' 'سردينيا' و'الإبيريين' (Iberes) في إسبانيا واللوبيين في شمال إفريقيا⁽⁵⁾.

- أسلوب المساحلة لدى الفينيقيين:

كانت المحطات تشكل النواة الأولى لحركة استيطان وعمران واسعة النطاق انتشرت في أرجاء العالم القديم مسيطرة على جزر البحر المتوسط ومناطق واسعة من إفريقيا ومن شبه جزيرة إيبيريا⁽⁶⁾ وتجاوزوها إلى مناطق أبعد على سواحل المحيط الأطلسي⁽⁷⁾ وتطورت تلك المستوطنات، واتصلت ببعضها البعض وبالمدن

(1) سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 164.

(2) محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية، ص 270.

(3) السيكان (SICANES): أورد القدماء أنه أول من سكن صقلية هم السيكان، ويحتمل أنهم رحلوا من إسبانيا في الألف الثالث ق.م، وتم إبعادهم في الألف الثاني نحو الغرب من طرف الغزاة الجدد وهم السيكل (SECULES)

الذين نجدهم أيضا في وسط إيطاليا، ويحتمل أنهم من أصل هندوأروبي.. Michel Mourre. Op. cit P 4160.

(4) الإليم (ELYMES): شعب استقر في أقصى الغرب من جزيرة صقلية في منطقة 'سيجيسست' (SIGEST) وفي

أعالي جبال 'إريكس' (ERYX) للمزيد من المعلومات انظر: Michel Mourre. Op. cit P 4160.

(5) M.Gras. Op. cit. p108

(6) معن عرب، المرجع السابق ص 117.

(7) ف. فون زودن: مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ط، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2003، ص 29.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

الأصلية الأم عن طريق الملاحة⁽¹⁾ ولاسيما مع 'صيدا' وصور بواسطة إنشاء طرق بحرية تربط بينهم⁽²⁾.

وفي بداية الألف الأولي ق.م بلغت شهرة الفينيقيين أوجها في حوض البحر المتوسط حيث أسسوا مجموعة كبيرة من المراكز التجارية الدائمة على طول السواحل الشمالية والجنوبية لهذا البحر الداخلي⁽³⁾، وأنهم كانوا يبنون ويؤسسون المستوطنات حيثما ذهبوا، ولما كانوا يمثلون أمة صغيرة فإنهم كانوا يتسربون إلى المناطق الجديدة دون إثارة الشكوك حولهم من قبل السكان الأصليين تجنباً للاضطدام وبذلك استطاعوا التوغل داخل البلاد التي نزلوا بها بالطرق السلمية مثلما حدث في بلاد المغرب القديم عندما توسعوا من قرطاجة⁽⁴⁾.

كان الفينيقيون يحتاجون في المناطق التي ينزلون بها إلى موانئ وسكنات ومحلات تجارية، وهذا ما وجدوه في مصر حيث كانت لهم مخازن لسلعهم المختلفة في مدينة 'منف' (Memphis) وكان لهم حي خاص ينعت 'بحي الصوريين'⁽⁵⁾.

كان لمحطات الفينيقيين آثار شملت جوانب اقتصادية وعمرانية وحضارية حيث تم بواسطتهم نشر الحضارة الفينيقية في أنحاء المدن والمراكز التي سكنوها، كما نقلت الحركة التجارية الفينيقية معها من الخارج إلى الشرق الحضارة الإفريقية والأوربية.

أما في المناطق التي تفتقد إلى الحضارة المدنية فقد كان الفينيقيون يتولون بأنفسهم تشييد هذه المراكز الحضارية، وبمرور الزمن تطورت هذه المراكز التجارية إلى مستوطنات حيث بلغت ثلاث (300) مستوطنة في شمال إفريقيا⁽⁶⁾

(1) أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص 295.

(2) فيليب حتي: خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، ص 123.

(3) J.Bricout , Dictionnaire pratique des connaissances religieuses , T.5 Paris 1927 p 558.

(4) حسان حلاق، المرجع السابق، ص 70.

(5) Herodote. Histoire. IV.42

(6) Seignobs (Ch), Op- cit. P 333.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

وبعدما كانوا في بداية الأمر يغادرون ديارهم ويثبتون حضورهم في غربي المتوسط سعيا وراء الاتصال بأصقاع تتوفر فيها المعادن⁽¹⁾ نزلوا في المناطق المطلة على السواحل ناصبين خيامهم حيث كانوا يتبادلون سلعهم مع السكان الأصليين من مصنوعات فخارية وبرونزية وحلي وأقمشة⁽²⁾ ومقابل ذلك الحصول على المواد الخام، لا سيما معادن الحديد والرصاص والقصدير من شبه جزيرة إيبيريا والمواد الأولية الأخرى التي كانوا يحصلون عليها من المغرب القديم مثل الملح، وريش النعام وجلود الحيوانات والعاج⁽³⁾ وقد اعتمد الفينيقيون في تعاملهم مع السكان على سياسة إقامة علاقات طيبة متميزة مع اللذين يرغبون في اقتناء البضاعة المنضوية في بطون سفنهم⁽⁴⁾. وتميزوا تاريخيا بالوساطة التجارية بين حوضي البحر المتوسط التي كانت مهمتهم الرئيسية⁽⁵⁾.

يعود تاريخ الاستيطان الفينيقي لبلاد المغرب القديم إلى حوالي القرن العاشر ق.م (10 ق.م) اعتمادا على أن 'صور' (*Tyr*) عاشت خلال عصرها الذهبي تحت حكم 'حيرام بني بعل' (*Hiram*) 936-980 ق.م⁽⁶⁾ الذي عمل على توسيع المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي من البحر المتوسط وعمل على تشجيع التجارة وذلك بعد أن وفر 'صور' الاستقرار الداخلي وإليه يرجع الدور الكبير في تثبيت وتوسيع المستوطنات الفينيقية في غرب المتوسط⁽⁷⁾.

(1) م.ح. فنطر: الفينيقيون بنات المتوسط، ص 83.

(2) Michel Taniel, Op-cit P 118.

(3) Donald Harden , The phoenicians, Ed Thames, and Hudson, London 1963, P63.

(4) م.ح. فنطر: الفينيقيون بناء المتوسط، ص 83.

(5) Donald Harden , Op-cit, P63.

(6) P.Cintas – Op-cit , P200

(7) G. Contenau , Op-cit, PP 69-70.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

يمكن أن نذكر أن تحويل المراكز التجارية إلى مستوطنات ثابتة يرجع الدور الأساسي فيه إلى مدينة "صور" التي كانت تترجم الساحل الفينيقي منذ القرن العاشر ق.م في الحوض الشرقي للمتوسط⁽¹⁾.

كان هدف الفينيقيين من إنشاء هذه المحطات دور اقتصادي ودور استراتيجي لوقوع قاس (Gades) و"ليكسوس" (Lixus) على بوابة الحوض الغربي للبحر المتوسط من الناحية الغربية مما سهل لهم احتكار التجارة من جهة كما ساعدهم على مواصلة الرحلات الكشفية عبر المحيط الأطلسي إلى جزر "الكاستريد" (Cassitirides) و"كورنوال" (Cornual) في جنوب بريطانيا والساحل الغربي لإفريقيا.

بعد تأسيسهم مراكز تجارية ساحلية كانت المساحلة تغطي على تحركات الفينيقيين التجارية، حيث كانوا يولون أهمية أكبر للنقل البحري في توزيع سلعهم في المراكز التجارية والمستوطنات فكانت المسافة لا تتعدى بين مركز وآخر ما بين خمس وعشرين كلم إلى ثمانية وأربعين كلم (25 إلى 48 كلم) على العموم⁽²⁾.

كانت هذه المستوطنات تمتد من مصر إلى آسيا الصغرى ومن قبرص إلى كريت ومن مالطة إلى ليكسوس في حوض البحر المتوسط، مكنتهم من الهيمنة على الطرق التجارية مدة تزيد عن ثلاث قرون بين ألف ومائة وثمانمائة ق.م (1100-300 ق.م)⁽³⁾.

المبحث الثاني: مراحل التوسع الفينيقي في البحر المتوسط:

كانت العوامل البشرية والطبيعية والبيئية والسياسية دوافع للفينيقيين للخروج إلى البحر المتوسط وتأسيس محطات تجارية، حيث يمكننا أن نميز لهذا التوسع مرحلتين أساسيتين هما: مرحلة الاستكشاف والاستطلاع المتبوع بمرحلة الاستيطان والاستغلال.

(1) S. Moscati, L'expansion Phenico-Punique dans la méditerranée occidentale, dans acte du 2^{ème} congrès international d'études des cultures de la méditerranée occidentale, Alger 1976, p19.

(2) Cintas (P), Fouilles, Punuques a Tipaza, Revue Africaine, 1948 , P270.

(3) L. Casson, Les marins de l'antiquité, Hachette , 1961, P92.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

مراحل الاستكشاف والاستطلاع:

كان الفينيقيون يحاولون خلال هذه المرحلة معرفة طبيعة سواحل حوض البحر المتوسط قصد اختيار أماكن صالحة لبناء محطاتهم التجارية⁽¹⁾ واعتمادا على النصوص التاريخية يمكننا أن نفترض أن هذه المرحلة بدأت في أواخر القرن الثاني عشر ق.م. نتيجة لأسباب وعوامل عدة منها أن كانت في من أزمات اجتماعية خاصة في 'صور' التي كانت تعاني من مشكلة الزيادة في عدد السكان والتي عالجتها بإقامة المستوطنات في الخارج 'استيعاب العدد الزائد من السكان'⁽²⁾.

يؤكد هذا الرأي 'يوستينوس' (Justin) حيث أشار: "هناك سببين لإقامة مدينة 'أوتيكاً' في شمال إفريقيا: أولاً العدد الكثير للسكان في 'صور' (TYR)، وإثنا محاولة إخراج الشباب من المدينة للتخلص من مشاكلهم التي قد تؤدي إلى إلحاق الضرر بمصالح الطبقة الأرستقراطية الحاكمة"⁽³⁾ وهما من رئيسين يبرزان النمو السكاني الكبير والصراعات الداخلية بين أفراد الهيئات الحاكمة قتل الملك 'فلت' يد 'إيتو بعل' (Itobaal) كاهن عشترت⁽⁴⁾ الذي بادر على الفور بعد استيلائه على السلطة ببناء مدن جديدة لاستيعاب المنفيين من خصومه ومؤيدي الملك السابق⁽⁵⁾ وهذا دليل على اهتمام الفينيقيين بمنطقة الشمال الإفريقي واعتبارها مجالا مناسباً للتوسع وحل مشاكلهم الاجتماعية الناجمة عن زيادة عدد السكان، ومن أهم المستوطنات الباكورة في حوض البحر المتوسط نذكر 'قرينة' (Corinthe)، و'أوتيكاً' (Utique)

(1) محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، ص 69.

(2) عبد الحفيظ الميار، المرجع السابق، ص 107.

(3) Justin, XIII, 4,2.

(4) عشترت: كانت إلهة الصوريين الرئيسية، وقد حمل المهاجرون الصوريون عبادتها عبر البحار إلى جميع أنحاء العالم القديم منها مصر وقبرص ومالطا وصقلية وسيردينيا وقرطاجنة... وكانت عشترت إلهة الخصب لا في صور وحدها بل في فنيقيا كلها وكانت العفة والإمتناع عن الزواج مفروضة على كهنتها وكاهناتها. للمزيد من المعلومات انظر: معن عرب، المرجع السابق، ص 154.

(5) ي. يركيس، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ترجمة يوسف فاضل، جروس برس، بيروت، 1988، ص 9.

الفصل الثالث: ————— دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

وليكسوس" (Lixus) وقادس" (Gades) وقد نتساعل عن سبب سبقها للمستوطنات القريبة من فينيقيا؟ قد تكون الإجابة هي وفرة المواد الخام في هذه المناطق.

وتذكر المصادر أن كل المستوطنات، قد أسست بعد حرب أطرواده" (Troie) حيث يرى "سترابون" (Strabon): «إن الفينيقيين الذين اجتازوا أعمدة هرقل⁽¹⁾ قد أسسوا مستوطنات على شواطئ البحر الداخلي بعد وقت قصير من حرب أطرواده»⁽²⁾.

ويمكننا أن نفترض أن هذه المرحلة بدأت في أواخر القرن الثاني عشر ق.م، وتأسيس مستوطنة قادس" (Gades) كان في ألف ومائة وعشرة ق.م (1110 ق.م) وبعدها مستوطنة أوتيكا" (Utique) ألف ومائة وواحد ق.م (1101 ق.م) على السواحل التونسية الحالية⁽³⁾ رغم أن بلين القديم" (Plin L'ancien) يرى: « أن ليكسوس أقدم منهما»⁽⁴⁾ وذلك اعتمادا على أن معبد الإله هرقل-ملقارت (Melcart) بليكسوس أسبق من مماثله في قادس، ورغم أننا لا نعرف جيدا كيفية إقامة الفينيقيين في هذه البلاد أثناء هذه المرحلة غير أنه يمكننا الاعتقاد أنه تم في ظروف سلمية اعتمدت أساسا على التبادل التجاري فكانت الأنسجة المزروعة، ومنتجات زجاجية وفخارية ومواد معدنية ومنتجات زراعية ومنتجات حيوانية و⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ أعمدة هرقل: مضيق جبل طارق حاليا، سميت بأعمدة هرقل نسبة إلى القائد الإغريقي الأسطوري الذي يذكر أنه عبر بجنوده المضيق إلى بلاد المغرب القديم من شبه جزيرة إيبيريا، أما من الناحية الشكلية فإنه يحتمل أن تكون أعمدة هرقل راجعة إلى عمودي البرونز اللذين كانا يزينان مدخل هيكل الإله ملقارت في قادس على أبواب المحيط الأطلسي ثم أصبحت تعني المضيق الذي يفصل إفريقيا عن أوروبا -المعروف حاليا بمضيق جبل طارق-. للمزيد من المعلومات انظر: معن عرب، المرجع السابق، ص 155.

⁽²⁾ Strabon, Géographie, I. 3.2 . Hachette Paris 1894.

⁽³⁾ Decret (F), Carthage Ou L'empire De la mer, Ed du Seuil, Paris , 1977, Pp 111-112.

⁽⁴⁾ Plin, H.N. XIX. 63.

⁽⁵⁾ Decret (F) et Fantar (M), L'Afrique du nord dans l'antiquité, Des origines Au V^{ème} Siècle, Ed, Payot , Paris 1981, PP 15-16.

الفصل الثالث: ————— دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

اكتفى الفينيقيون في هذه المرحلة بتأسيس محطات أنجزت بمواد بسيطة وبالتالي سهلة الاندثار بمجرد التخلي عنها دون أن تترك أثارا للدراسات الأثرية. باب المقابر في هذه المحطات يعود إلى أن هؤلاء الفينيقيين عندما يشعرون بتقدم السن يعودون إلى الوطن الأم بالساحل الفينيقي حيث يدفنون⁽¹⁾ وهنا يتبادر إلى الذهن التساؤل هل للموت موعد؟ هل يموت الكبار فقط؟ فيبدو أن الرأي القريب من المنطق أنهم كانوا مرتبطين بالوطن الأم في مجال دفن موتاهم في هذه المرحلة المتقدمة من استيطانهم أو كانوا يحرقون موتاهم، أو لم تعثر الدراسات الأثرية حتى الآن على مقابرهم.

وخلال هذه الفترة الباكرة كان الفينيقيون يحاولون اكتشاف طبيعة سواحل منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط لأماكن تصلح لبناء محطاتهم ومستوطناتهم التجارية المقبلة خاصة على شواطئ بلاد المغرب القديم التي كانت معظم سواحلها صخرية⁽²⁾.

وهذا ما يثبته ديديوروس بقوله: « قاموا برحلات بحرية متكررة بهدف التجارة وأسسوا مستوطنات كان عدد كبير منها على السواحل الليبية وأخرى في الجهات الغربية لأوروبا »⁽³⁾.

وإن كنا نتفق مع هذا المؤرخ حول الرحلات البحرية الفينيقية ونشاطهم التجاري، وحول المحطات التجارية والتي تحولت بمرور الزمن إلى مستوطنات فإننا نفتقد المعطيات المادية التي تثبت فعلا تأسيس الفينيقيين القادمين مباشرة من فينقيا لمستوطنات سواحل المغرب القديم باستثناء "قادس" (Gades) وأوتيكا (Utique) و"ليكسوس" (Lixus) و"قرطاجة" (Carthage).

يدعم هذه الفرضية انعدام البقايا الأثرية الفينيقية إذ تنسب أقدم الآثار التي وجدت بهذه المستوطنات إلى القرن السادس قبل الميلاد، حيث أصبحت مستوطنة قرطاجة

(1) Decret et Fantar, Op-cit, P 16.

(2) محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، ص 67.

(3) Diodors, Bibliothèque historique V, 20.1

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

تترجم السيادة البحري والسياسية للحوض الغربي للبحر المتوسط بعد انهيار مملكة 'صور' (TYR) 'الدولة الأم'⁽¹⁾.

ومهما يكن فإن الاختلاف بين المؤرخين مازال موجودا ومنه الباطني والشكلي غير أن ما يجب أن نلمسه هو أن هذه المستوطنات منها من بقي على حاله ومنها من عظم شأنها مثل قرطاجة التي استطاعت أن تبسط سلطانها من البلاد الواقعة عند تخوم ليبيا الحالية إلى مضيق جبل طارق وتحدث بعد ذلك سلطة روما البحرية⁽²⁾.

مرحلة الاستيطان والاستغلال للإمكانات:

تعد هذه المرحلة مكتملة للمرحلة الأولى تترجم فيها تحول تلك المراكز التجارية المؤقتة إلى مستوطنات دائمة⁽³⁾ ويبدو أن اختيارها من طرف المهاجرين كوطن جديد لهم يعود بالدرجة الأولى إلى نمو قوة الفينيقيين نتيجة ممارسة التجارة لمدة طويلة، وهو ما دفعهم إلى إرسال جاليات كبيرة إلى الغرب (صقلية سردينيا، إيبيريا) لإنشاء مستوطنات.

ولا شك أن الفينيقيين لم يقتصروا على الاستيطان في الأماكن التي نشأت بها المستوطنات وازدهرت فيما بعد بل كانت جماعات صغيرة منهم تؤسس مراكز تجارية أخرى في مناطق تختلف عنها جنسيا وسياسيا، وقد تبقى هذه المراكز كأماكن استيطان صغيرة أو تأول إلى الزوال⁽⁴⁾ وعند النظر إلى خريطة توزيع المواقع الأثرية يتبين أن تلك المستوطنات لم تخرج في توزيعها عن السياسة التقليدية للفينيقيين في اختيار مراكز ساحلية على أبعاد مناسبة لتأسيس مستوطناتهم.

(1) خديجة منصوري: الرحلات عبر البحر المتوسط في العصور القديمة، مجلة دراسات إنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الثانية، العدد الثاني 2002، ص 165.

(2) فليب حتي، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، ص 124.

(3) محمد الهادي حارش: المرجع السابق، ص 43.

(4) أبو المحاسن عصفور: المرجع السابق، ص 65.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

وفي رأيي أن هذا الاستيطان يستجيب للمتطلبات الداخلية والخارجية للمدن الفينيقية كامتصاص الفائض السكاني التي تعاني منه فينيقيا، وحماية المكتسبات في حوض البحر المتوسط من الأطماع الأجنبية من جهة والعمل على الاستغلال الأحسن للمستوطنات ودعم الوطن الأم من جهة أخرى لم يعثر الفينيقيون على مواقع هذه المستوطنات بمحض الصدفة وإنما تم اختيارهم لها لتوفر بعض الشروط التي ينشدونها في كل موقع فينيقي يصلح للاستقرار كمحطة على الطريق⁽¹⁾.

تعد مرحلة الاستيطان الفينيقي في غربي المتوسط متممة للتاريخ الفينيقي في شرقه ذلك لأن هذه المستوطنات كانت تابعة للمدن الفينيقية وخاصة مدينة 'صور' (Tyr)، التي كانت تتلقى الضرائب والهدايا السنوية لمعابدها من المراكز والمستوطنات الناشئة على سواحل بلاد المغرب وإيبيريا وجنوب أوربا، فتكونت الإمبراطورية الفينيقية على غرار الدول المعاصرة لها كالإغريق والرومان .

المبحث الثالث: المستوطنات الفينيقية في شرق البحر المتوسط:

أن أرض الفينيقيين عجزت عن استيعاب المزيد من السكان نتيجة لتزايد النمو الديمغرافي، وكانت تفتقر كثيرا للمواد الأولية فاضطروا إلى التعامل مع الخارج، لاسيما عبر البحر فأرسلوا قوافل تجارية استكشافية عبر البر وصلت إلى إيران والهند شرقا، وإلى آسيا الصغرى وبلاد القوقاز شمالا وإلى الجزيرة العربية جنوبا، ولكنهم لم ينشئوا قواعد ثابتة وأماكن سكانية استقروا فيها، بل كان انتشارهم عبر البحر متقلبين من بلد إلى آخر. نزلوا في آسيا الصغرى وجزر قبرص (Chypre) و'رودس' (Rhodes) و'كريت' (Crete) و'إيجه' (Egee)⁽²⁾، بعدما زالت سيطرة الإيجيين⁽³⁾ في أواخر القرن الثاني عشر ق.م على

(1) Cintas (P), Fouilles puniques à Tipaza Peuve Africaine 1949 P. 01.

(2) وهيب أبي فاضل، المرجع السابق، ص 16.

(3) الإيجيين: هم شعب كانوا يقطنون كريت والجزر القريبة من مدخل الدردنيل، وميكني شرق البلوبنيز، أقام حضارة عريقة في حوض بحر إيجه قبل الحضارة الإغريقية خاصة في جزيرة كريت والتي عرفت البروز حوالي 3000 ق.م وأخذت حضارتها تزدهر حتى بلغت الذروة حوالي 1500 ق.م. ونزلت قبل 1100 ق.م وتعتبر=

الفصل الثالث: ————— دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

حوض البحر المتوسط الشرقي، مما مكن السفن التجارية الفينيقية من الانتشار في جميع أنحاء المتوسط⁽¹⁾.

وورد عن 'هيرودوت': «إنه في بلاد الإغريق ظهرت منذ القرن الحادي ر ق.م الموانئ الفينيقية»⁽²⁾ 'رودس' أنشئت ثلاث مدن فينيقية هي 'ليندوس' (Lindos) و'جاليكوس' (Galicos) و'كاميروس' (Camerus)، وفي 'كورانتيا' (Corinthe) كان ميناء 'كيكيون' (Kikion) تحت سيطرتهم، أما جزيرة 'كيترا' (Cyther) فكانت نقطة هامة لتجارهم حيث شيّدوا فيها هيكلًا للإلهة 'أفروديت' (Aphrodite).

وأشارت المآثورات التاريخية اليونانية إلى الوجود 'رودس' حيث تؤكد ما ذهبت إليه بعض الكتابات والنقوش⁽³⁾ في حين تذكر المصادر أن الآثار القليلة المتبقية تثبت الوجود الفينيقي لبيروودس (Rhodes).

- مستوطنة قبرص (Chypre):

قبرص هي جزيرة في الحوض الشرقي من البحر المتوسط، يبلغ طولها 230 كلم وعرضها 95 كم، يفصلها عن مصب نهر النيل 350 كلم، باستثناء جزيرة 'رودس'، فإن أقرب جزيرة يونانية منها توجد على بعد 400 كلم غرب ويفصلها عن السواحل الأناضولية () 70 كلم، وعن السواحل الفينيقية 100 كلم، والجزيرة عبارة عن محطة هامة وضرورية للانتقال إلى الغرب⁽⁴⁾ طبيعياً كانت مهيأة لأن تكون أهم مسرح لنشاطات الجاليات الفينيقية المجاورة

= الحضارة الإيجية أساس الحضارة الإغريقية. للمزيد من المعلومات أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثاني، الطبعة الثانية، دار الجيل بيروت، 1965، ص 1004.

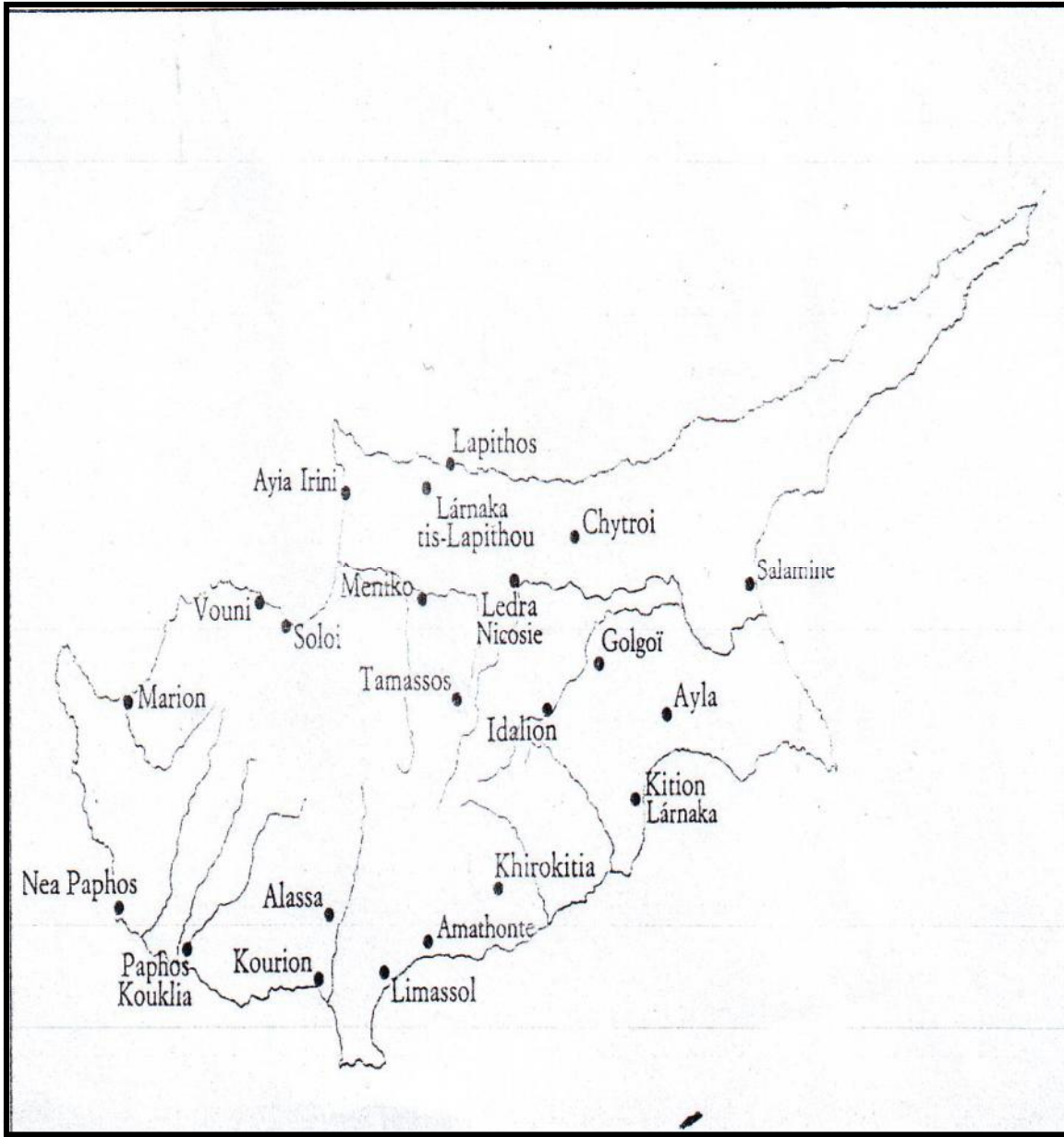
(1) عبد الحفيظ الميار: المرجع السابق، ص 102.

(2) Herodote, Histoire, I, 170.

(3) Sabatino Moscati, Les phéniciens, P 49.

(4) أنظر شكل رقم 23، ص 105 .

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط



رقم 23: خريطة تحدد المستوطنات الفينيقية في قبرص

SABATINO MOSCATI, OP-CIT, p153

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

في ركوب البحر والاشتغال بالتجارة والاستيطان⁽¹⁾ فعادة ما ينسب تأسيس المستوطنات الفينيقية إلى مدينة صور، وهذا ما ينطبق على "قبرص"⁽²⁾، التي أقاموها في منتصف القرن الحادي عشر ق.م، وكانت تعد من أقدم مستوطناتهم⁽³⁾ ومن مميزات قربها من الوطن الأم، حيث أصبح التبادل التجاري سائدا بينهما إلى درجة انه كان من العسير التمييز بين ما هو فينيقي وما هو قبرصي الأصل خاصة في ميدان الفن⁽⁴⁾.

ونظرا لقرب جزيرة قبرص من الساحل الفينيقي، فإنها كانت محط أنظار التجار الفينيقيين لأنها كانت تعتبر بمثابة المحطة الأولى على الطريق التجاري الرابط بين الوطن الأم والبحر المتوسط الغربي عبر بلاد اليونان والمستوطنات الفينيقية الأخرى⁽⁵⁾.

يعود إلى إنشاء الفينيقيين لمراكز تجارية في قبرص لغناها بالماس والأحجار الكريمة وتوفر الحبوب والخمور والزيتون، ولموقعها الوسيط بين الحوض الشرقي والحوض الغربي للمتوسط، فكانت المستوطنة الفينيقية الوحيدة في الحوض الشرقي التي قدر لها أن تخضع لتطور من نوع خاص بسبب قربها من الوطن الفينيقي الأم⁽⁶⁾ ولعبت الحفريات دورا هاما في تحديد الميدان التجاري في الحوض الشرقي من البحر المتوسط خاصة بين فينيقيا وطراقيا (Tarse) وقيليقيا (Celicie)، فكان لطراقيا علاقات تجارية مع صور وصيدا في 1100 ق.م، وهذا ما تثبته زجاجات العطور التي وجدت في الحفريات⁽⁷⁾.

(1) Krings, Op-cit, P 597

(2) Contenau, Op-cit, P 90.

(3) حلمي محروس، المرجع السابق، ص 158.

(4) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 295.

(5) محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، ص 65.

(6) سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 177.

(7) Gras, Op.cit, p82.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

وفي اعتقادي السيطرة على قبرص ضرورية لفينيقيه حتى تتمكن من التوسع البحري، حيث يصعب على السفن الفينيقية الاتجاه شرقا وغربا إذا لم تكن مرافئ الجزيرة مسالمة لهم مما جعلها قبلة أنظار الفينيقيين والملاحين الذين كانوا يبحرون من الموانئ الفينيقية باتجاه الغرب، أو عائدين منه، فكان لابد أن يستعملوا قبرص كأول محطة يحلون بها، واشتغل الفينيقيون بتعدين النحاس في الجزء الشرقي من قبرص⁽¹⁾ وهذا بسبب تواجد مناجم النحاس الغنية به كما حاولوا البحث عن معدن الذهب هذه الجزيرة⁽²⁾.

هيمن الفينيقيون على المدن القبرصية مثل 'كيتيون' (*Kition*) التي شيّدوا فيها معبدا⁽³⁾ زت (*Ashtarte*) و'إيداليون' (*Idalion*) و'تاماسوس' (*Tamassos*) و'ليبنتوس' (*Lapetos*) و'ناركانا' (*Naracana*)، وأحاطوا فيما بعد قبرص بمجموعة من المستوطنات والمراكز التجارية التي اتخذوها كمخازن لسلعهم⁽⁴⁾.

وحول إقامة الفينيقيين في قبرص تتوفر معلومات هامة من خلال علم الآثار من بينها أعمال التنقيب التي قامت بها البعثة السويدية التي ترأسها 'جيار ستييد' (*Gjerstade*) 'كيتيون' وهي المدينة الفينيقية الرئيسة في الجزيرة⁽⁵⁾ فرفعت هذه البعثة النقاب على قلعة 'أكربول'⁽⁶⁾ (*Acropole*) التي ترجع إلى القرن الحادي عشر ق.م ومن المحتمل أن يكون الأكربول قد شيده

(1) محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، ص 65.

(2) اسم هذه الجزيرة قبرص KYPROS أطلق في أكثر اللغات الأجنبية على أهم منتجاتها النحاس فكانت كلمات: CUPRU CUPPER CUIVRE COPPER. للمزيد من المعلومات انظر: معن عرب؛ المرجع السابق، ص 120.

(3) انظر شكل رقم 24، ص 108.

(4) معن العرب؛ المرجع السابق، ص 120.

(5) سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 177.

(6) 'أكربول' (ACROPOLE): كلمة تنقسم إلى قسمين أكر و ACRO وتعني عالي و بوليس POLIS وتعني المدينة وتطلق هذه التسمية على القلاع التي كانت تشيد على الصخور أو في أماكن مرتفعة من المدن اليونانية القديمة. للمزيد من

المعلومات انظر: Michel Mourre; Op.cit, p33 و Le petit la rousse illustre, 1982 p13.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط



رقم 24: آثار معبد الإلهة عشترت في كيتيون قبرص

MOSCATI, OP-CIT, p153

الفصل الثالث: ————— دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

الفينيقيون الأوائل الذين قدر لهم أن يستوطنوا الجزيرة، ويوجد أطلال موقعها مدينة " قرت حدثت " (**Qart Hadshat**) أقاموها نهاية القرن التاسع ق.م، وتوجد أطلالها في موقع 'كيتيون' (**Kition**)، مع العلم أن هذه المدينة انضافت إلى خلية معمارية قبرصية سابقة تعايشت معها ، مما يفسر التعايش بين المجموعتين عرقيا وحضاريا⁽¹⁾.

توجد معلومات مثبتة نقشا حول إقامة الفينيقيين في قبرص منها نقش جنائزي غير معروف الأصل تماما، لكن يحتمل أن يكون مصدره مدينة 'كيتيون' (**Kition**) يشعر الدارس ملامحه إلى جانب نقش 'نورا' (**Nora**) في سيردينيا (**Sardaigne**) بداية التوسع والتعمير الفينيقي⁽²⁾، ونقش آخر وجد في 'موتي سنواس' (**Mouti-Sinoas**) جاء فيه أن أحد من حكموا مدينة قرت حدثت يدعو 'خادم حيرام ملك الصيدونيين'، فهذا النقش مثير للاهتمام لأنه يمدنا بدليل على ممتلكات الفينيقيين في قبرص، إضافة إلى الفخاريات القبرصية التي عثر عليها والتي تحتوي على أشكال معينة ترجع إلى أصل فينيقي خصوصا الأباريق ذات الفوهات، والتي تكون عريضة نوع ما ولها عروة فيما دون العنق، نجد نماذج منها اعتبارا من القرن التاسع إلى القرن الثامن⁽³⁾ علاوة على وجود نقوش لأسماء تشير إلى مدن أخرى في الجزيرة استوطن فيها الفينيقيون مثل 'غولغوي' (**Golgoi**) و 'إيداليون' (**Idalion**) و 'لابثتوس' (**Labthetos**).

ونستنتج أن الفينيقيين قد عثروا على مواقع هذه المدن بعد بحث، واختيارهم لها لتوفر بعض الشروط التي ينشدونها في كل موقع فينيقي يصلح للاستقرار فيه كمحطة على الطريق. وتتحصر هذه الشروط في النقاط الآتية:

(1) م.ح فنطر، الفينيقيون بناء المتوسط، ص 76.

(2) سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 177.

(3) نفسه، ص 189.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

1- وجود ميناء محمي وله شاطئ لا يشترط وفي مساحته أن تكون واسعة وإنما أن تكون مياهه ضحلة تسهل رسو السفن به ذات القواعد المنخفضة والتي لا تحتاج إلى مياه عميقة.

2- وجود منابع ماء عذب تساعد على الحياة للتجار.

3- أن تكون المسافة بين المحطات محدودة وذلك أن سفنه القديمة كانت تواصل رحلاتها نهارا وتتوقف بالليل، وعليه أن المسافة بين محطة رسو وأخرى تعادل مسيرة نهار واحد أي حوالي 31 (60 كلم) ⁽¹⁾.

- مستوطنة رودس (RHODES):

تابع الفينيقيون توسعهم في المتوسط، فبسطوا سيطرتهم على العديد من جزره، وكانت 'رودس' ⁽²⁾ إحدى هذه الجزر حيث كان الإغريق يدعون هذه الجزيرة 'الفينيقية' (*La Phenicienne*) بسبب المنشآت والأسواق التي أقامها الفينيقيون ⁽³⁾ خصوصا في مدينتيها الرئيسيتين 'كامروس' (*Cameros*) و 'إيالييسوس' (*Ialsos*)، اللتين تم إنشاؤهما بإرشاد شخص اسمه فلاس (*Phalas*) قبل نشوب حرب 'طروادة' 1190 ق.م وأن الإغريق قد طردوا الفينيقيين منها بعد ذلك ⁽⁴⁾، وهذا نتيجة توسعهم في هذا الفضاء من الحوض الشرقي للمتوسط، وقربهم أكثر من مناطق النفوذ الإغريقية، فازدادت المنافسة بينهم حدة، خاصة بعد تأسيس الفينيقيين للمراكز التجارية في جزيرة 'رودس' أثناء رحلة 'قدموس' ⁽⁵⁾ الأسطورية

(1) Cintas, Fouilles puniques a Tipaza, Revue Africaine, 1949 , P 01.

(2) رودس (RHODES): جزيرة يونانية في بحر 'إيجه' تقع بالقرب من الساحل الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى، تأثرت بحضارة 'كريت' (CRETE) وتعرضت للغزو الدوري في نهاية الألف الثاني ق.م، ومن بين مدنها 'لويديوس' (LUIDOS) في الشرق و 'إيالييسوس' (IALYSOS) في الشمال و 'كاميروس' (CAMEROS) في الشمال الغربي.

Michel Mourre. Op-cit , P3873

(3) Herman (Z), Peuples, Mers, et Navires, Paris, 1964, P245.

(4) Sabatino Mouscati, Les Phéniciens, P 49.

(5) تشير الأسطورة إلى أن أجنور (AGENOR) ملك فينقيا كان قد أرسل ابنه قدموس للبحث عن شقيقته أوربا

الفصل الثالث: ————— دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

وهذا ما تؤكد به بعض الكتابات والنقوش في مدينتي 'كاميروس وإياليوسوس'⁽¹⁾ بالإضافة إلى أن كان لهم الفضل في إنشاء مستوطنة 'إيطانوس' (*Itanosse*) جزيرة 'رودس'⁽²⁾.

المبحث الرابع: المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي من البحر المتوسط:

إن أكبر إشكالية تواجه المؤرخين هي تحديد تاريخ استقرار الفينيقيين في منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط فالمخلفات الأثرية التي تتمثل عموماً في الأوان الفخارية قد تفيد الباحث بتواريخ كثيراً ما تتعارض مع تلك الموجودة في المصادر الأدبية⁽³⁾.

فبينما تحدد المصادر الكتابية تأسيس أول مستوطنة فينيقية في غربي المتوسط وهي مستوطنة 'قادس' (*Gades*) في شبه جزيرة 'إيبيريا' إلى نهاية القرن الثاني عشر ق.م (1110 ق.م) نرى أن المصادر المادية تقف عاجزة عن إثبات هذا التاريخ ولا يتجاوز أقدمها منتصف القرن الثامن ق.م⁽⁴⁾.

لأزالت الهوية قائمة لحد الآن بين المصادر المادية والكتابية حيث لا تتجاوز ثلاثة قرون، ونفس الملاحظة تتميز بها مدينة 'قرطاجنة' التي حدد 314 ق.م، غير أن الفارق الزمني بين المصادر الأدبية والمصادر الأثرية يقلص تدريجياً بفعل الاكتشافات الأثرية بعد دراستها واستخلاص الحقائق التاريخية منها.

(EUROPE) التي اختطفها الإله 'زيوس' (ZEUS) من مرج على الساحل الفينيقي بعد أن وقع في حبها، وفي 'كريت' استعاد الإله 'زيوس' (ZEUS) شكله الحقيقي ثم تزوج من أوربا فأنجبت له الملك 'مينوس' (MINOS) وتذكر أسطورة قدموس هذه أن أوربا القارة يمكن أن تكون أخذت اسمها من اسم أوربا (EUROPE) والددة الملك 'مينوس' والتي تعني في اللغة الفينيقية الغرب، للمزيد من المعلومات أنظر فيليب حتي: لبنان في التاريخ، مؤسسة فرانكلن للطباعة، بيروت، 1965، ص 144.

(1) Sabatino Mouscati , Les Phéniciens, P 49.

(2) يوسف الدبس، المرجع السابق، ص 269.

(3) M. Gras, Op-cit, P54.

(4) P. Cintas, Manuelle archeologique punique, P 374.

الفصل الثالث: ————— دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

ومن بين الصعوبات التاريخية العويصة التي تعترض الدارس للتوسع الفينيقي الباكر في غربي المتوسط، قلة المصادر الكتابية والمادية الفينيقية الأصل.

وهذا ما يجعل المتتبع لتاريخ التوسع الفينيقي يعتمد في بحثه على ما كتبه المؤرخون الأجانب أمثال الكتاب الإغريق والرومان وغيرهم، ومن جهة أخرى فإنه يلجأ إلى مقارنة البقايا المادية التي يعثر عليها علماء الآثار في مواقع المستوطنات الفينيقية في غربي وشرقي المتوسط من وقت لآخر خاصة أن هذه المصادر تركز بالدرجة الأولى على مدينة 'صور' وتولي أهمية كبيرة بتاريخها حيث كانت تعد الأهم في عملية التوسع الاستيطاني⁽¹⁾.

غير أننا قبل أن نستشهد بأقوال هؤلاء المؤرخين أنه من الضروري أن نذكر بعض المآخذ العامة والصعوبات التي تقف حائلا دون الاعتماد كلية على الآراء والمعلومات المقدمة من قبل هؤلاء المؤرخين منها:

أولاً: اعتمادهم على أساطير تصور النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية وتأتي في الدرجة الثانية بالنسبة للمرجعية التاريخية ولا تخدم الحقائق التاريخية مباشرة.

: اتخاذ بعض الأحداث التاريخية الإغريقية البارزة مثل دمار 'طرواده' (Troie) (1190 ق.م) والاحتفال بالألعاب الأولمبية الأولى عام 776 ق.م، نقاط استناد بارزة تقاس عليها الأحداث التاريخية الأخرى، وخاصة التوسع الاستيطاني الفينيقي غربي المتوسط.

إن المستوطنات التي أسست وسط وغرب البحر المتوسط تعود إلى منتصف القرن الحادي عشر ق.م، اتخذها الفينيقيون كمراكز للاستراحة لمواصلة رحلاتهم نحو أعمدة هرقل فاستقروا أولاً في 'بانوراموس' (Palerme)

(1) Krings, Op-cit, P 07.

الفصل الثالث: ————— دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

و'سولويس" (Solente) و'موتيا" (Motya) حيث اختاروا الموقع الممتاز لهذه المدن الثلاثة والفوائد المستتجة منها⁽¹⁾ حيث أسس الفينيقيون سلسلة من المحطات التجارية ، شبه جزيرة 'إيبيريا" (Iberia) نذكر منها: " " (Malaga) 'أبديرا" (Abdera) 'باريا" (Baria)⁽²⁾ ومن أهمها وأحدثها 'قادس" (Gades) لتسهيل عملية التبادل التجاري مع سكان المنطقة الغنية بالمعادن⁽³⁾.

ولتجسيد هيمنتهم على الحوض الغربي للبحر المتوسط وتأمين طرق مرورهم بالسواحل أقاموا مستوطنات في " " (Sicile) و'مالطه" (Malte) و'سردينيا" (Sardaigne) وجزر 'الباليار" (Balears) بالإضافة إلى المراكز التجارية التي أقاموها في أوتيك" (Utique) و'حدرومات" (Hadrumete) -سوسة . - وقرطاجة" (Carthage) على سواحل بلاد المغرب القديم و" " (Tingi) (Tanger) على ساحل المحيط الأطلسي.

من المحتمل أن المستوطنات الفينيقية في غربي المتوسط كانت قد بدأت على شكل محطات تجارية مرتبطة بالوطن الأم، وتحولت إلى مستوطنات كاملة بعد أن استكملت شروطها الأولى المتمثلة في تكاثر أعداد المهاجرين إليها⁽⁴⁾ حيث كان ، أكثريتهم من الكنعانيين⁽⁵⁾.

وعندما اشتدت المنافسة بين الفينيقيين والإغريق في الحوض الشرقي للبحر المتوسط في القرن العاشر ق.م، نقلوا نشاطهم التجاري إلى الحوض الغربي وقادت 'صور" هذه الحركة التوسعية الجديدة⁽⁶⁾.

كانت المستوطنات الإغريقية تشكل قواعد منافسة للعمليات البحرية الفينيقية فأصبح من الضروري بالنسبة لهم للتحكم ومراقبة الوضع للتدخل

(1) Contenau , Op-cit, P91.

(2) M.Sartre, A. Troney, Op-cit, P24.

(3) Albert Ayache, Histoire ancienne de l'Afrique du nord, Ed, Sociales, Paris 1964, P 23.

(4) محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، ص 68.

(5) محمد عزه دروزه، المرجع السابق، ص 70.

(6) وهيب أبي فاضل، المرجع السابق، ص 95.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

بأقصى سرعة وفعالية لتأسيس قواعد يسهل الدفاع عنها وغنية بالمواد التموينية لضمان التموين للبحرية التجارية وحمايتها، وإبعاد الإغريق عن ترشيش "مصدر رخاء الفينيقيين و ثراء تجارتهم"⁽¹⁾.

- مستوطنة مالطة (Malte):

مالطا⁽²⁾ في وسط البحر المتوسط بين الحوض الشرقي والغربي⁽³⁾، عند مدخل قناة " " ⁽⁴⁾، وكانت قديماً تسمى " " (Melite)⁽⁵⁾ ويحتمل أن يكون اسمها سام، الأصل بمعنى 'ملط' أي 'هرب'⁽⁶⁾ وحسب ديورس فإن سكان جزيرة مالطة كانوا من أصل فينيقي⁽⁷⁾ وقد اعتمد في إبداء رأيه على بقاء اللغة البونية متداولة بين سكان الجزيرة في عهده، بالإضافة إلى العثور على مقابر فينيقية تعود إلى القرن الثامن ق م⁽⁸⁾ كانت محطة أمنية تنطلق منها الملاحة الفينيقية إلى بلاد الغرب البعيدة⁽⁹⁾ واستوطن الفينيقيون جزيرة ميليت (مالطا)⁽¹⁰⁾ عندما وسعوا تجارتهم باتجاه الحوض الغربي حيث وجدوا في هذا الملاذ وسط البحر مراسي جيدة لسفنهم⁽¹¹⁾، عندما كانوا يوسعون أفق تجارتهم حتى المحيط الغربي استولوا على هذا المأوى الواقع في قلب اليم والممهور مرافئ جيدة⁽¹²⁾.

(1) م.ح. فنطر: الفينيقيون بناء المتوسط، ص 87.

(2) مالطة: تقع جنوب صقلية تتكون من ثلاثة جزر هي مالطة و قوزو (GOZO) و كومينو (COMINO) "لافاليت" (LAVALETTE)، وللجزيرة مركز استراتيجي هام في وسط البحر المتوسط، ظهرت بها الحضارة منذ الألف الثالث ق م، استوطن بها الفينيقيون في القرن التاسع ق م. للمزيد من المعلومات: Michel Mourre. Op-cit, p2811.

(3) أنظر شكل رقم 25، ص 115.

(4) M. Gras, Op-cit, P 59.

(5) م.ح. فنطر: الفينيقيون بناء المتوسط، ص 101.

(6) محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، ص 87.

(7) Diodoros, Bibliothèque Historique V, 2- 4.

(8) نجيب مخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 166.

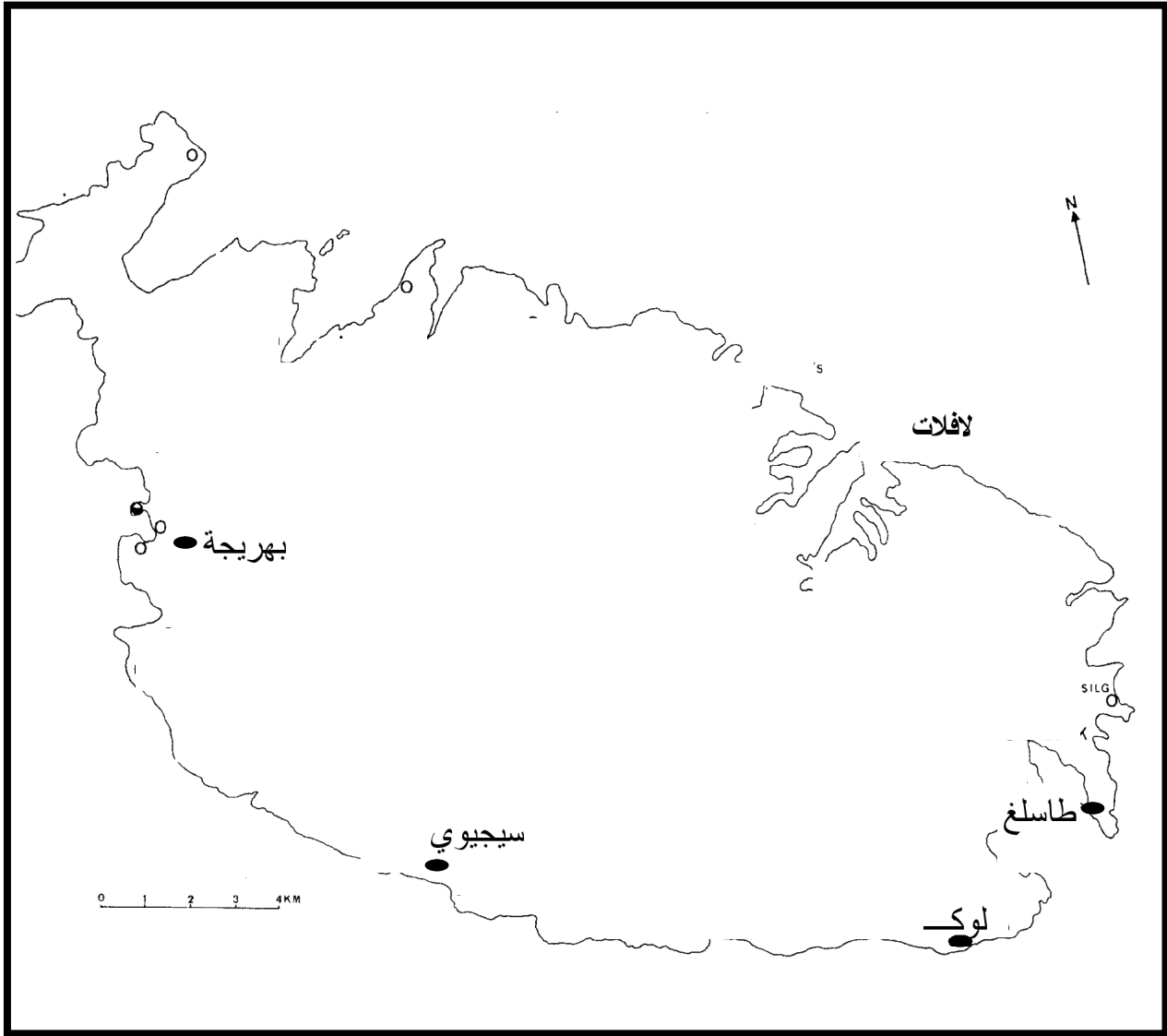
(9) معن عرب، المرجع السابق، ص 121.

(10) كلمة مالطة هي من أصل فينيقي تعني الملجأ أو الملطي، أنظر معن عرب: المرجع السابق، ص 121.

(11) D. Harden, Op-cit , 1963, P 63.

(12) م.ح. فنطر، الفينيقيون بناء المتوسط، ص 101.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط



شكل رقم 25: خريطة تمثل المستوطنات الفينيقية في مالطة -مستوطنة مالطة -

KRINGS(V),OP-CIT, p702

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

ساهمت الحفريات التي قام بها علماء الآثار من إيطاليا وبريطانيا في إثراء المعرفة حول الحضور الفينيقي في هذه الجزيرة، وفي ضوء المخلفات الأثرية التي تم يتضح أن الإلهة 'تانيت' (TANIT)⁽¹⁾، كانت تعبد بمالطة وهو ما يثبت الحضور الفينيقي في هذه الجزيرة المتربعة في قلب المتوسط تحتل في نظر الفينيقين قيمة إستراتيجية هامة، وقد كانوا يعتبرونها ضرورية لحماية مناطق نفوذهم في حوض البحر المتوسط، تميز الوجود البشري الفينيقي في الجزيرة باندماجه مع السكان الأصليين بسهولة بسبب طبيعتهم المسالمة⁽²⁾.

- مستوطنة صقلية:

تعد صقلية إحدى المحطات التي حظيت باهتمام الفينيقين في البحر المتوسط هذا الاهتمام تولد نتيجة لموقعها الاستراتيجي وسط هذا البحر، حيث وصل الفينيقيون إلى هذه الجزيرة وأسسوا محطاته ببعض المواقع الساحلية⁽³⁾ مما سهل ربط حوضه الشرقي بالغربي حيث تنتشر المحطات التجارية والمستوطنات الفينيقية⁽⁴⁾.

كانت هذه الجزيرة منذ أقدم الأزمنة أحد مراكز الفينيقين الهامة وكل ملاحه من نصفه الشرقي إلى النصف الغربي وبالعكس كانت تمر بها كانت تتميز بالحيوية الاقتصادية، وبالحركة التجارية القوية التي كانت تعج بها شواطئ الجزيرة، وهذا ما أكدته التنقيبات الأثرية التي كشفت عن بقايا فخارية فينيقية بمقابر 'موتية' (Motya).

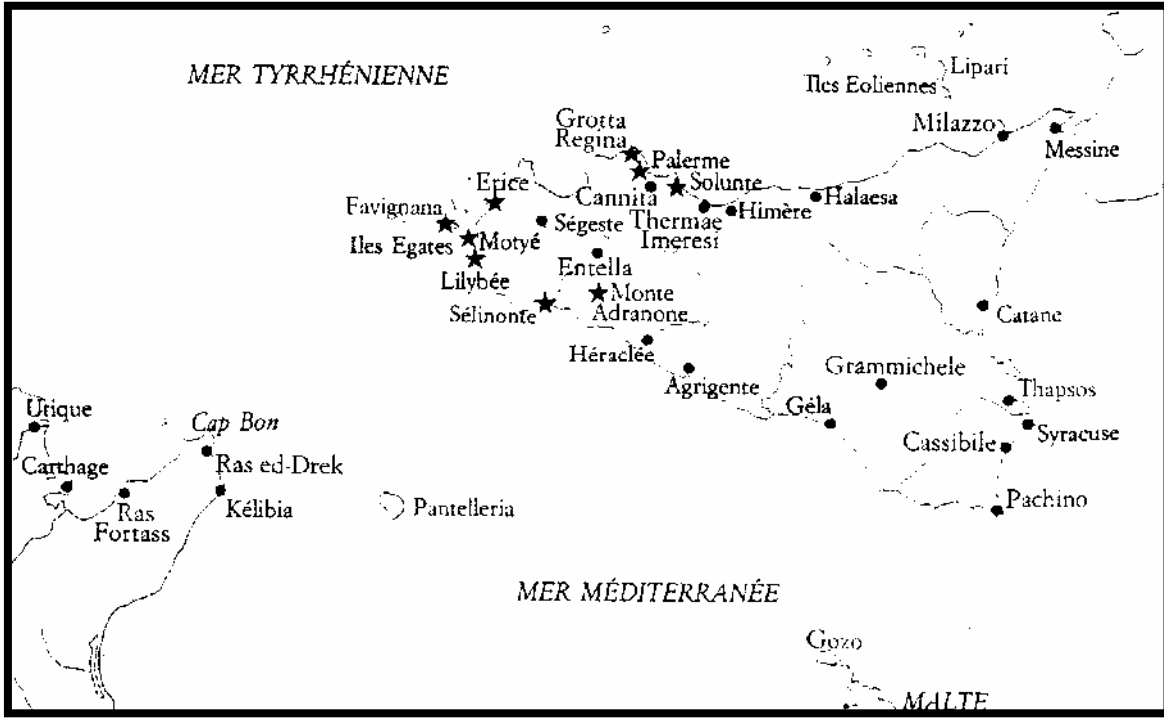
(1) تانيت: هي إلهة عبادتها تراوحت قديما ما بين شرقي المتوسط وغربه، وعبادتها كانت مرتبطة بالقمر، بحيث يظهر الهلال والقرص يعلوا رمزه في كثير من النصب النذري في المواقع الأثرية الفينيقية، وقد يعني اسم الإلهة تانيت (TANIT) في اللغة السامية (أعطيه) ذلك أن معتقدها مرتبط بالخصب بالإضافة أنها تتحكم في البذر والحصاد، ويستعان بها عند الولادة، وقد رسم رمزها المثلث على الأواني الفخارية والحلي وأشرعة السفن. للمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة للفكر الديني في شمال إفريقيا، دار الهدى، عين مليلة، 2005، ص ص 91-92.

(2) Krings, Op-cit, P 708.

(3) Decret (F) Carthage ou l'empire de la mer, Op-cit, P36

(4) انظر شكل رقم 26 ، ص 117.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط



رقم 26: خريطة تحدد المستوطنات الفينيقية في صقلية

SABATINO MOSCATI, Les Pheniciens , p48

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

إن اكتشاف تمثال الآله ملقرت⁽¹⁾ البرونزي⁽²⁾ " (Siaca)

صقلية الجنوبي والذي يعود إلى القرن العاشر ق.م، يؤكد وصول سفن 'حيرام' (Hiram) في زمن متقدم إلى هذه الجزيرة فأستقروا أولا في 'بانوراموس' (Palerme) و'سولنتي' (Solente) و'موتي' (Motya) التي تقع في أبعد نقطة من غرب جزيرة صقلية حيث كانت تترب 45 هكتار واتخذوها مركزا للاستراحة لمواصلة نشاطاتهم ورحلاتهم نحو أعمدة هرقل⁽³⁾.

وعن اختيار هذه المواقع وضبط الأهداف، أشار 'تويسيداس' (Thcydide): «لقد أحاط الفينيقيون سواحل صقلية مستقرين على نتوءات ممتدة في البحر، كما انتصبوا في الجزر الصغيرة الواقعة قرب الشاطئ وكانوا في ذلك يستهدفون الاتجار مع الصقليين (SIKELES)»⁽⁴⁾.

والملاحظ أن رواية 'تيوسديس' كانت محل شك واعتراض فترة طويلة من الزمن من قبل المختصين حتى جاءت المكتشفات الأثرية التي أكدتها.

وكان لـ 'موسكاتي' (MOSCATI) دور كبير في هذا المجال حيث كشف في أبحاثه الغطاء عما يثبت حضور الفينيقيين في شرق الجزيرة قبل الوجود الإغريقي فيها.

وكانت الجزيرة نتيجة لأهميتها الاقتصادية والحضارية محل صراع بين الفينيقيين والإغريق الذين وصل نفوذهم فيما بعد إلى هذه الجزيرة في نهاية القرن التاسع ق.م

(1) ملقرت: إله مدينة صور الرئيسي، دمج الإغريق بإلههم هرقل وأضافوا عليه الكثير من صفات ملقرت ومن شخصيته كانت له صفتين مزدوجتين، إله نبات من جهة وإله بحري من جهة ثانية، عبرت عنهما صور في العمودين الذين كانا يزينا هيكلا. وكانت المدن الفينيقية تميل إلى نسبة صفات بحرية إلى آلهتها لارتباط حياتها بالبحر. للمزيد من المعلومات انظر: معن عرب، مرجع سابق، ص 154. محمد أبو المحاسن عصفور، املدن الفينيقية، ص 40.

(2) انظر شكل رقم 27، ص 119.

(3) Contenau, Op.cit, P 91

(4) Thcydide, IV, 2.6.

الفصل الثالث: _____ دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط



شكل رقم 27 : تمثال الإله ملقرت الذي عثر عليه في سياكا صقلية

VIGOUROX (CF) , OP-CT, P 238.

الفصل الثالث: ————— دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

ففي قسميها الشرقي تمركزت المستوطنات الإغريقية ومن بينها 'إغرجنتي' (Agrigente) و'سراقوسة' (Syracuse) ⁽¹⁾، في حين تنتشر المحطات الفينيقية على الساحل الغربي كل من 'بانومروس' (Panoramos) و'إيريكس' (Eryx) و'سولويس' (Soloeis) والتي انطلقوا منها باتجاه المغرب القديم ⁽²⁾.

إن غرض الفينيقيين من الاستيطان في جزيرة صقلية كان استراتيجيا أكثر منه تجاريا" ولذلك ركزوا استيطانهم في الناحية الغربية من جزيرة صقلية التي تعزز جانب أوتيكا" (Utique) و'قرطاجة' (Carthage) من طرف الآخر من شمال إفريقيا وكذلك قصد السيطرة على المضيق الذي يربط بين حوضي البحر المتوسط الشرقي والغربي ⁽³⁾.

- مستوطنة سردينيا (Sardaigne):

كانت جزيرة سردينيا غنية بخامات الفضة والرصاص والحديد وأراضيها صالحة لزراعة الحبوب بالإضافة إلى موقعها الاستراتيجي في البحر المتوسط، لهذا كانت محل اهتمام الفينيقيين، إن سردينيا هي الجزيرة الوحيدة التي وجدت بها المراكز الفينيقية داخل الجزيرة بعيدا عن الساحل، مثل: مونتي سيراي (Monte Serai) وباني لوريغا *Pani Loriga*، ومعظم هذه المراكز توجد في جنوب غرب الجزيرة، في أسفل منطقة جبلية، وتاريخ اكتشافهم لهذه الجزيرة يعود إلى نهاية الألف الثانية ق.م حيث أرغم التجار الفينيقيون إثر ظهور عاصفة بحرية إلى النزول بالشواطئ الجنوبية الغربية للجزيرة ⁽⁴⁾ فخطوط الملاحة من شواطئ المتوسط الشرقية إلى إسبانيا والمحيط الأطلسي تسير على محاذاة شواطئ سردينيا الجنوبية، ولو سيطر على هذه الشواطئ شعب معادي أو مزاحما لهدد مصالح الفينيقيين في كل مستوطناتهم الغربية ولهذا

(1) M. Sartre, A. Troey , Op-cit, P24.

(2) Heurgon, Rome et la méditerranée occidentale, P.U.F, Paris, 1969, P 37.

(3) Gsell (S), H.A.A.N. T1, P409.

(4) J. Mazel, Les phéniciens, Edit , Laffont, Paris, 1967 , P 227.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

عارض الفينيقيون كل محاولات الإغريق للاستيطان على هذه الجزيرة⁽¹⁾، ومن أهم مستوطناتهم في سيردينيا⁽²⁾ 'كاغلياري' (Cagliari) و " (Bethia) و'سلوقيس' و'كارلوفيتي' و'تاروس' (Taros) وقد أثبت الحضور الفينيقي في 'كارلو فورتى' (Carloforti) التي جاء ذكرها في أحد النقوش تحت وصف (جزيرة الصقور) واتخذ الفينيقيون من مدينة كراليس (Caralis) مستودعا لموادهم التجارية في البحر المتوسط⁽³⁾ وقد دلت التنقيبات التي قام بها 'ج. (G. Pesce) " 'بريكا' (Barca) على وجود مستوطنات فينيقية قبل العهد القرطاجي⁽⁴⁾.

- مستوطنة قادس (Gades):

تقع جزيرة قادس⁽⁵⁾ في غربي إسبانيا طولها إثنا عشر ميلا قريبة من البر، بينها وبين البر الأعظم خليج صغير قد حازها إلى البحر عن البر⁽⁶⁾. وتعد مستوطنة قادس⁽⁷⁾ في شبه جزيرة إيبيريا من بين المستوطنات الفينيقية القديمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط وتقع بالقرب من نهر 'واد الكبير' (Guadalquivir) لتسهيل عملية التبادل التجاري مع سكان هذه المنطقة الغنية بالمعادن⁽⁸⁾ واشتق اسم 'قادس' (Gades) من كلمة فينيقية معناها 'جدار' أو مكان مستور وتحول هذا الاسم في اللغة الرومانية 'جادس' وأصبح اليوم 'قادس'⁽⁹⁾.

(1) معن عرب، المرجع السابق، ص ص 122-123.

(2) انظر شكل رقم 28 ، ص122.

(3) محمد عزة دروزه: المرجع السابق، ص 71.

(4) سياتينو مسكاتي: الحضارة الفينيقية، ص 71.

(5) انظر شكل رقم 29 ، ص123.

(6) ياقوت عبد الله الحموي، معجم البلدان، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1990، ص 330.

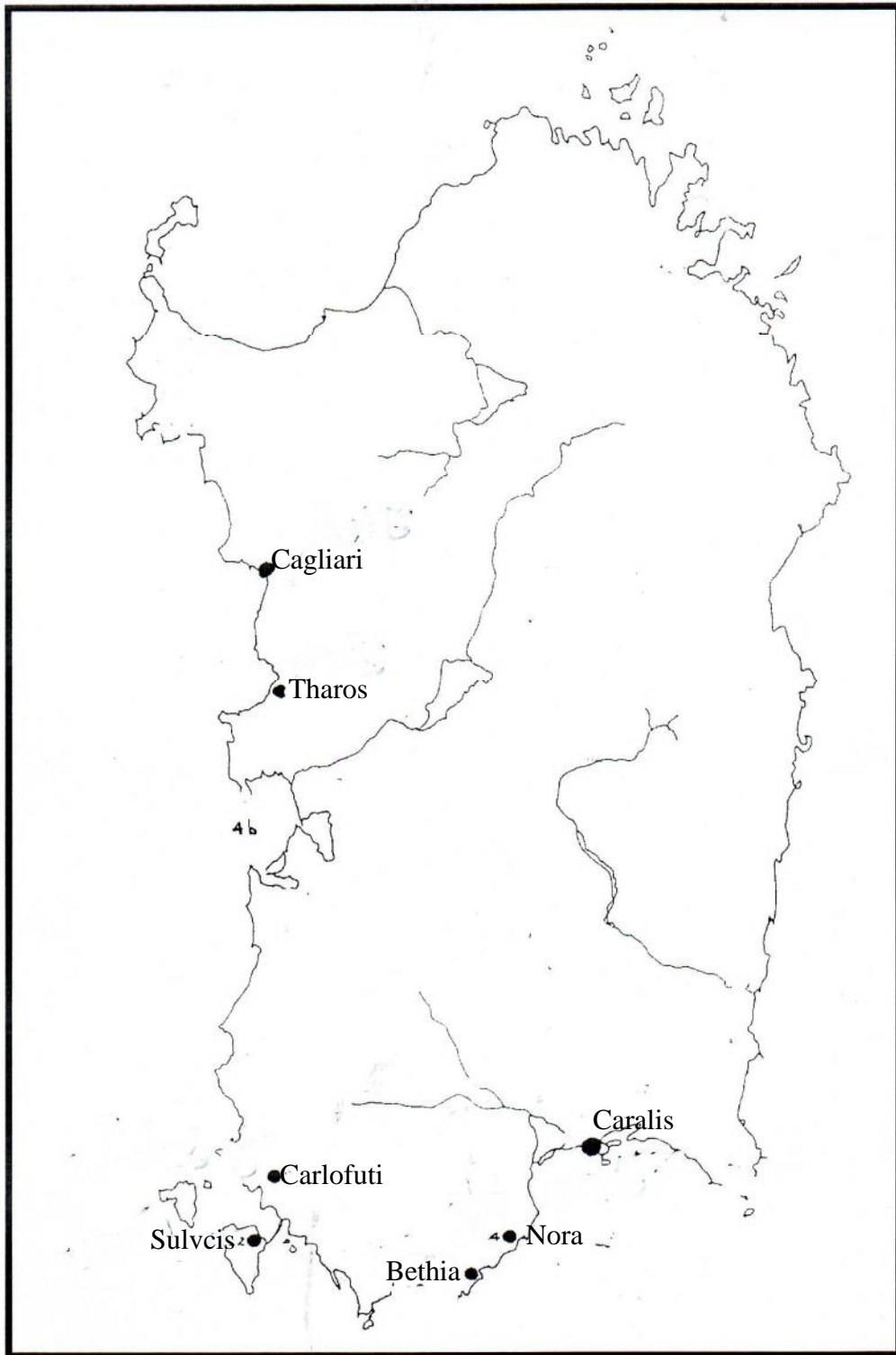
(7) قادس: 'جدار' العربية، وكلمة 'أغادير' (AGADIR) تعني بالبربرية 'جدار' أيضا: انظر فليب حتي:

تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص 111.

(8) Albert Ayache, Op-cit, P 23.

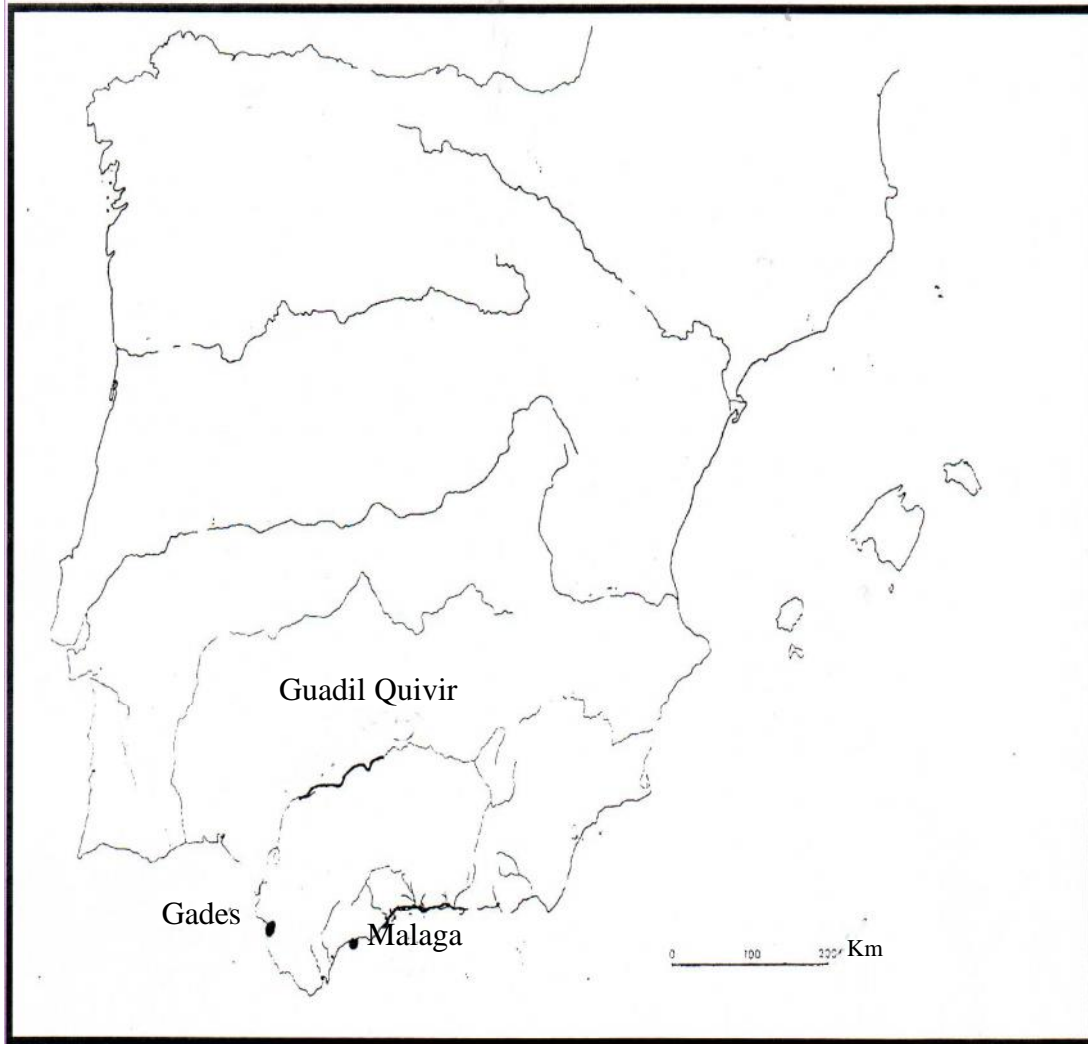
(9) م.ح. فنطر: الفينيقيون بناء المتوسط، ص 84.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط



شكل رقم 28: خريطة المستوطنات الفينيقية في سردينيا (SARDAIGNE)
KRINGS(V), OP-CIT, p713

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط



شكل رقم 29: خريطة لأهم المستوطنات الفينيقية في شبه جزيرة أيبيريا

KRINGS(V),OP-CIT, p744

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

تختلف المصادر المادية والكتابية حول التاريخ الحقيقي لتأسيس مدينة قادس حيث أورد 'بلين' (Plin): «إن الفينيقيين أسسوا مدينة قادس بعد ثمانين عاما من سقوط 'طرواده'»⁽¹⁾ وحسب ما يذكره هذا المؤرخ حدث هذا عام 1190 ق.م فإن تأسيس قادس يرجع إلى 1110 ق.م، بينما ورد في رواية أخرى "ديودورس" (Diodoros) حول تأسيس قادس: «نجح الفينيقيون في مشاريعهم وجمعوا ثروات طائلة، فعقدوا العزم على عبور البحر الذي يمتد فيما وراء آدة 'هيرقليس' ويسمى 'أوقيانوس'»⁽²⁾ وبادروا بتأسيس مدينة قرب ممر العمودين وسموها 'جديرة'»⁽³⁾ ومعظم المستوطنات الفينيقية في شبه جزيرة إيبيريا تقع في 'ترشيش' (Tartessus)⁽⁴⁾ وخاصة في المنطقة بين 'قرطجينة' (Carthagene) و'قادس' (Gades)⁽⁵⁾.

أما عن التوسع الفينيقي في إسبانيا فتتفق جل المصادر التاريخية وأخبار العهد القديم على أنه شمل قسما كبيرا منها، حيث ورد عن 'سترابون': «إنهم استولوا قبل عصر 'هوميروس' على أفضل قسم من إيبيريا» وأن الفينيقيين القادمين من 'صور' إلى شبه جزيرة إيبيريا قد أخضعوها كلها لسيطرتهم»⁽⁶⁾.

(1) Plin, Hist-Nat, V. 76.

(2) من اليونانية أوقيانوس (OKEANOS) واشتقاقها من كلمة 'عوج' (ÜG) 'حلق' وقد عرف 'هيرموس' وجود الأطلسي لأول مرة من الفينيقيين، للمزيد من المعلومات انظر: فليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص 111

(3) Diodoros, B.H. Op- cit, V. 20.

(4) ترشيش: ربما كان موقعها إلى الشمال من قادس عند منبع الواد الكبير (Guadilquivir) وأقرب الآراء احتمالا هو الذي يعين موقعها عند استراخيا (ISTRAGIE) والمواحدة بين 'ترشيش' و'ترسوس' تؤدي بنا إلى الاعتقاد بأننا نستطيع إرجاع إقامة الفينيقيين في إسبانيا إلى القرن العاشر ق.م. للمزيد من المعلومات انظر: سباتينو موسكاتي، الحضارة الفينيقية، ص 172.

(5) فليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص 112.

(6) Strabon, Géographie, XVII, 3.15.

الفصل الثالث: ————— دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

إن ترشيش⁽¹⁾ (Tartessus) ربما كان موقعها إلى الشمال من قادس عند " " الوادي الكبير " (Guadilquivir) وأقرب الآراء احتمالا هو الذي يعين موقعها عند 'استراخيا' (Istragie) والمواحدة بين ترشيش و'ترسوس' تؤدي بنا إلى الاعتقاد بأننا نستطيع إرجاع إقامة الفينيقيين في إسبانيا إلى القرن العاشر ق.م⁽²⁾ ومن سفريات الفينيقيين إلى إسبانيا تعرف الشرق القديم على «بلاد الفضة المطرقة ترشيش»⁽³⁾ الواقعة في آخر العالم آنذاك وورد العهد القديم : «إن مدينة قادس كانت قد حلت ل مدينة ترشيش القديمة التي كانت تحمل السفن منها لأمك سليمان» كل ثلاث سنوات الذهب والفضة والعاج والقردة»⁽⁴⁾ بالإضافة إلى الرصاص والنحاس والقصدير والعسل والشمع والزفت⁽⁵⁾.

ومن خلال دراستنا للعلاقات الاقتصادية والسياسية التي كانت بين النبي سليمان و'حيرام' ملك صور" أثناء القرن العاشر ق.م، ندرك بأن ترشيش المشار إليها" نت تحت إشراف البحارة الفينيقيين، وما نلاحظه بالنسبة للمستوطنات الفينيقية في شبه الجزيرة الأيبيرية أن فترة حكم الفينيقيين فيها أطول من غيرهم رغم تعدد المصاعب نظرا لبعد إسبانيا الشاسع عن مراكز القوة الفينيقية في الوطن الأم.

كان الغرض من تأسيس الفينيقيين لمستوطنة قادس على ساحل المحيط الأطلسي اقتصادي مواصلة الرحلات الاستكشافية عبر المحيط الأطلسي، والدليل أنهم انطلقوا من مستوطنة قادس" عبر سواحل أوربا للوصول إلى جزر "كاستيريد" (Cassiterides) و'كورنوال" (Cornowall).

(1) إن اسم ترشيش الذي يصادفه في كتابات التوراة وأشور هو اسم فينيقي على الأغلب، بمعنى المنجم أو مكان الصهر أو معمل التكرير، هذا وقد اكتسبت تسمية ترشيش بسبب بعد البلاد أو أبعد البلاد التي بلغت التجارة الفينيقية وذهب بعض الباحثين إلى أن ترشيش " ترسوس" . للمزيد من المعلومات أنظر: بيومي مهران: المدن الفينيقية، ص 275.

(2) سباتينو موسكاتي: الحضارة الفينيقية، ص 172.

(3) العهد القديم، سفر أرميا 09/10.

(4) سفر الملوك الأول 10: 22-23.

(5) محمد عزت دروزه، المرجع السابق، ص 70.

الفصل الثالث: _____ دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

- محطات شمال الحوض الغربي للبحر المتوسط:

- محطات شمال إفريقيا:

- مستوطنة أوتيكا (Utique):

لقد أنشئت مستوطنة "أوتيكا"⁽¹⁾ لأهداف اقتصادية وإستراتيجية، وذلك بسبب موقعها على الطريق الرابط بين "صور" (Tyr) وقادس (Gades) هذا من جهة، ومن جهة أخرى وقوعها في سهول شمال تونس الغنية بثرواتها الزراعية أما عن تاريخ تأسيسها فقد جاء عن 'سترابون' (Strabon): «إن التجار الفينيقيين أسسوا مدنا بالقرب من وسط الساحل الليبي بعد وقت قصير من نهاية حرب 'طرواده'»⁽²⁾.

وبما أن الأسطول الفينيقي الذي سيطر على البحار قد بنى مدينة "قادس" بعد حوالي ثمانين عاما (80) بعد سقوط 'طروادة' (Troie) وبعد ذلك بقليل بنيت مدينة "أوتيكا" (Utique) وبما أن سقوط طروادة كان حوالي 1190 ق.م أن بناء مدنية "قادس" كان حوالي 1110 ق.م و'أوتيكا' في حوالي 1100 ق.م⁽³⁾. ويعزز هذا الاتجاه 'بلين' (Plinie) بقوله: «إن عمر خشب الأرز في معبد 'أبولو' (Apolo) 'أوتيكا' قد بلغ 1178»⁽⁴⁾.

إذا فإن "أوتيكا" قد شيدت عام 1101 ق.م بعد أن نذكر أن 'بلين' وضع مؤلفه في حوالي 77 ق.م، وبرأي آخر فإن "أوتيكا" قد أنشأت قبل 287 عاما من إنشاء قرطاجة الأمر الذي يرجح إنشاء "أوتيكا" إلى العام 1101 ق.م وقرطاجة 814 ق.م.

ويبدو من خلال ملاحظتنا اختلاف المؤرخين حول بناء مستوطنة "أوتيكا" ومنهم من يرى أنها بنيت حوالي 1100 ق.م ومنهم من يرى أنها بنيت سنة 1101 ق.م وهذه إشكالية الدراسات التاريخية القديمة التي تفتقر إلى تحديد تاريخ دقيق.

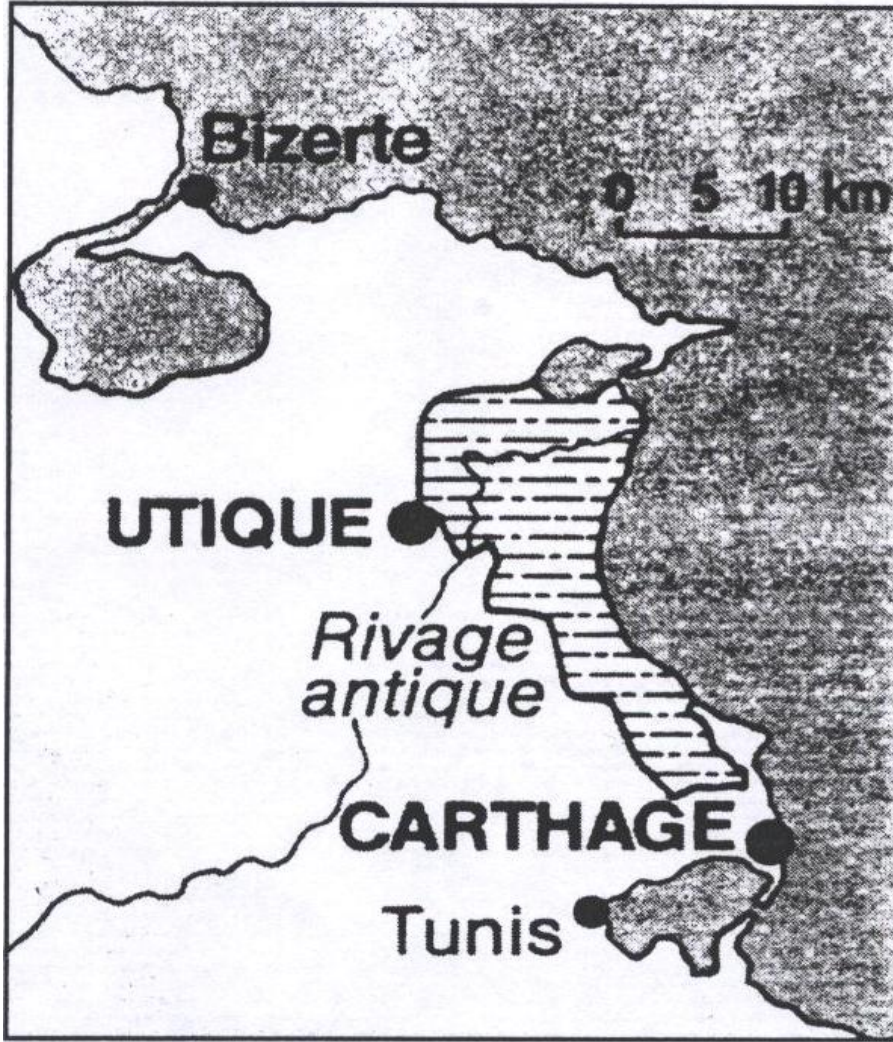
(1) انظر شكل رقم 30 ، ص 127.

(2) Strabon, Géographie I. 2-3.

(3) موسكاتي، الحضارة الفينيقية ، ص 169.

(4) Plinie, Hist-Nat, V.76.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط



شكل رقم 30 : خريطة تحدد مستوطنة أوتيكا (UTIQUE)

Serge Lancel-Carthage, Op-cit, p33

الفصل الثالث: ————— دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

وبخصوص تأسيس واختيار موقع "أوتيكا" إن "سليمان" ملك العبرانيين كان يزود الفينيقيين بالمواد الغذائية مقابل تزويده بالمهندسين والفنيين والأخشاب، وعند انتهائه من بناء معبده قطع تمويله للفينيقيين، فكان على هؤلاء الآخرين أن يبحثوا على مراكز تمويل أخرى، فوجدوا ذلك متوفرا في سهول شمال تونس، فأسسوا بذلك مستوطنة "أوتيكا" التي تقع على الطريق إلى قادس" التي تعوض لهم ما فقدوه من تمويل الملك العبراني "سليمان" في الساحل الفينيقي" وتخلصوا من الحصار الاقتصادي الذي ضرب عليهم بالرحلة والاستكشاف وبناء هذه المستوطنة الوافرة الغذاء في بلاد المغرب القديم⁽¹⁾.

تشير المصادر المادية إلى أن "أوتيكا" كانت قد أسست على مرتفع من الأرض بالقرب من مصب نهر "مجرده" الذي يغطي بطميه موقعها حاليا، وهي الآن بعيدة عن البحر بحوالي 10 كلم، أما المسافة التي تفصلها عن مدينة قرطاجة فتقدر بحوالي أربعة وعشرون كلم (24 كلم)⁽²⁾ . إن المصادر المادية والكتابية التي أشارت إلى "أوتيكا" تجمع على أن هذه المدينة كانت من بين المستوطنات القديمة التي ساعدت الفينيقيين على التوسع في الحوض الغربي في المتوسط وساهمت فيما بعد تأسيس المستوطنات اللاحقة على السواحل الغربية للمتوسط⁽³⁾.

- مستوطنة ليكسوس (LIXUS):

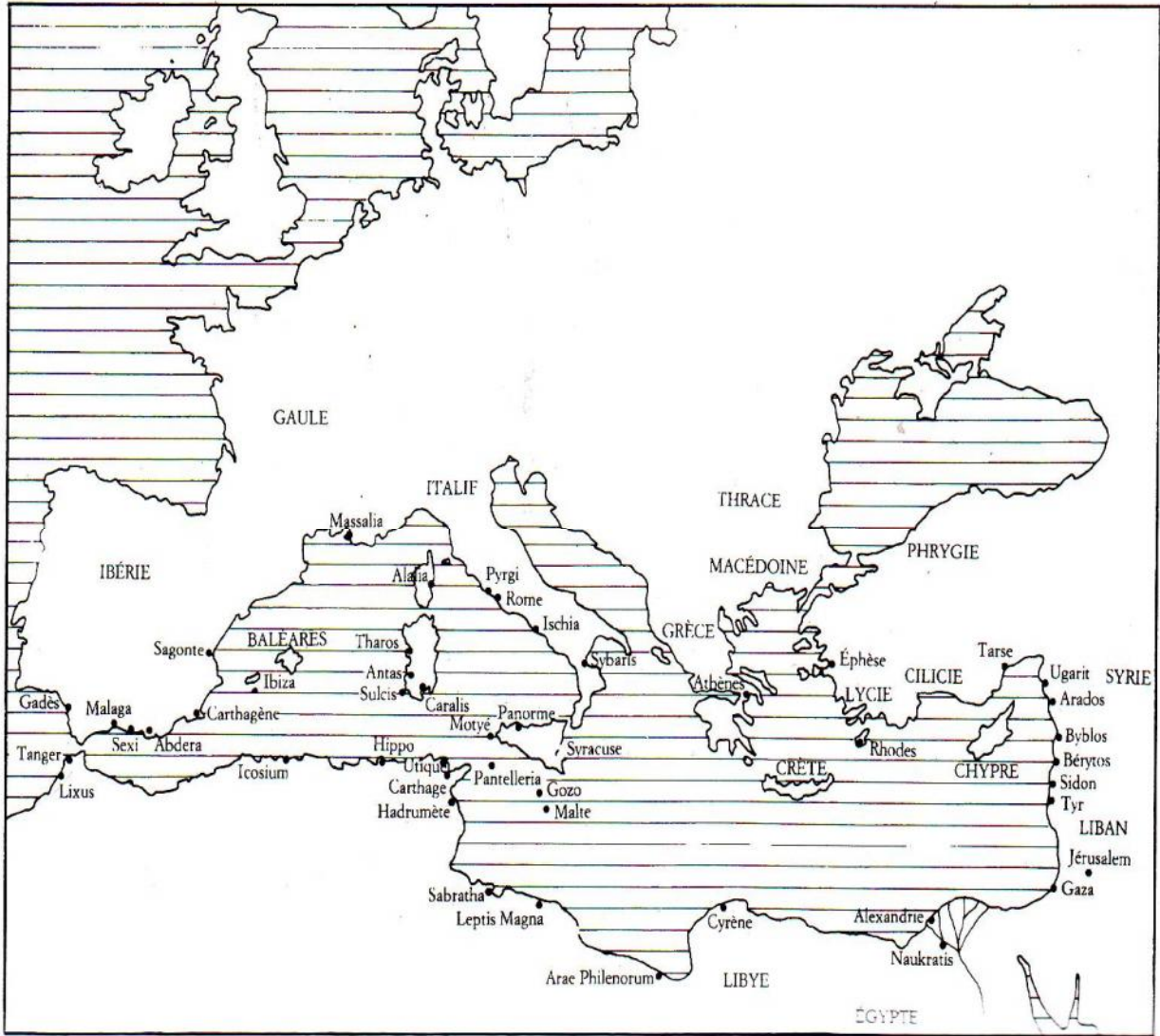
لقد جذب موقع المغرب القديم أنظار الفينيقيين سواء بالنسبة " للصوريين " أو 'الصيداويين' أو 'الجبايليين' (Byblos)، الذين تمركزوا جنوب غرب مضيق جبل طارق على الساحل الأطلسي . أقصى الحوض الغربي للبحر المتوسط فتحت أبواب المحيط الأطلسي للفينيقيين حيث أنشئت أول المراكز التجارية الفينيقية، من

(1) Decret, Carthage ou l'empire de la mer, Ed, du seuil 1977, P 41.

(2) G. Charles et Colette Picard, Vie et mort de Carthage, Paris 1970, P 14.

(3) أنظر شكل رقم 31 ، ص 129.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط



رقم 31 : خريطة تمثل المراكز التجارية والمستوطنات الفينيقية

Fantar (M), Les Phéniciens en Méditerranée, ed. Alif.1997, p70

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

أهمها "ليكسوس" (*LIXUS*)⁽¹⁾، التي كانت تعد من أهم المستوطنات الفينيقية القديمة التي أسست على سواحل المحيط الأطلسي⁽²⁾.

إن المخلفات الأثرية لمستوطنة "ليكسوس" والتي معظم مصادرها أواني رية⁽³⁾ مصبوغة باللون الأحمر تسمح باعتبار هذه المستوطنة فينيقية وتعرفنا على تاريخ استيطانهم بها⁽⁴⁾ بينما تشير الكتابات التاريخية إلى أن تأسيس المستوطنة يعود إلى نهاية القرن الثاني عشر ق م⁽⁵⁾ وهي مستوطنة قديمة أسست خارج البحر المتوسط بعد اجتياز الفينيقيين لأعمدة هرقل بعد قدومهم من شرق المتوسط، حيث يذكر "بلين" (*Pliny*): «إن مستوطنة "ليكسوس" يمكن أن تكون أقدم من قادس" و"أوتيكا"»⁽⁶⁾.

ويستدل على ذلك بأن معبد الإله 'ملقارت' "ليكسوس" أقدم من معبد الإله الذي يشابهه في قادس مما يدل على قدم المستوطنة ويقوم موقع المدينة حاليا على تل مرتفع يبعد بحوالي أربعة كلم شمالي مدينة 'العرائش' وبفضل وجود 'قادس' في الطرف الغربي من إسبانيا و'ليكسوس' في الطرف الشمالي الغربي من القارة الإفريقية تحكم الفينيقيين ومن بعدهم القرطيين في بوابة الدخول الغربية لبحر المتوسط، ولهذا إن المستوطنتين كانتا قد أسستا لأغراض إستراتيجية أكثر منها اقتصادية⁽⁷⁾.

(1) Krings : Op-cit, P 776.

(2) انظر شكل رقم 32 ، ص 131.

(3) كان الفخار الفينيقي في المرحلة الأولى تنقصه دقة الصناعة وجمال الهيئة، حيث كانت المصنوعات الفخارية ضخمة ومتينة، إلى أن استعمل الصانع عجلة الفخار، وتميز الفينيقيون باستعمالهم القصدير في تلميع الخزف لكي يكسب بريقا خاصا، ويتميز الفخار الفينيقي بأنه أقل نوعية مقارنة بالفخار الإغريقي حيث لا توجد به زخرفة تزيينية ويقتصر على خطوط ملونة بالأسود والأصفر المائل للون البني على غطاء ذي لون أحمر، للمزيد من المعلومات

أنظر محمد بيومي مهران المدن الفينيقية، ص 401 و GRAS, OPCIT, P92

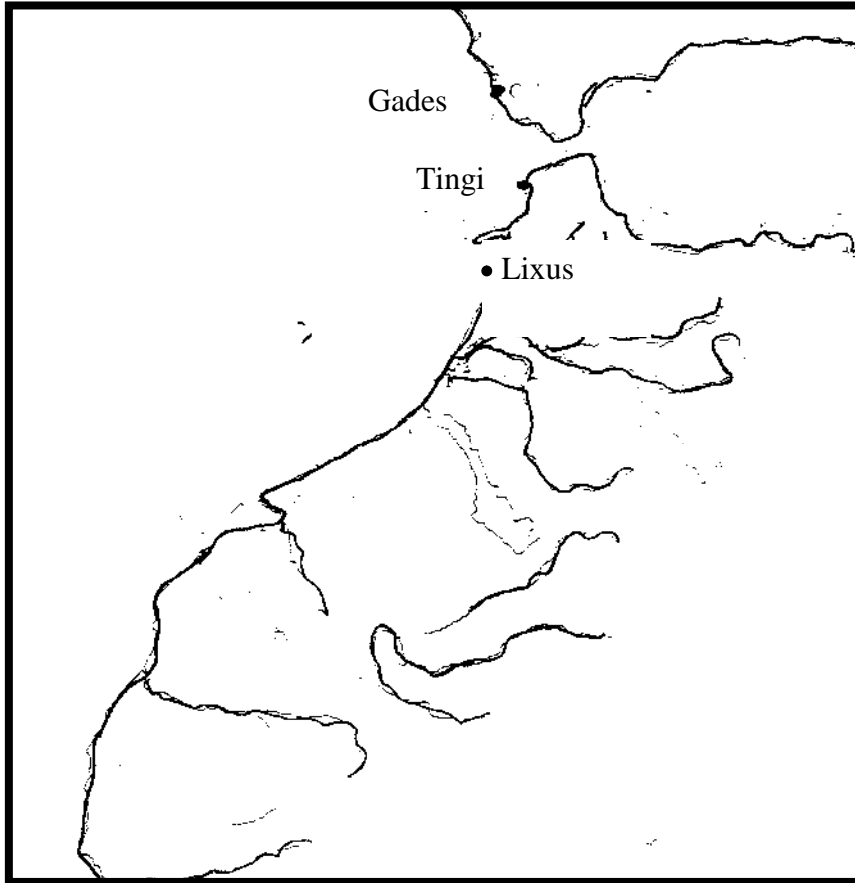
(4) Krings Op- cit: P 779.

(5) محمد الصغير غانم: التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، ص 88.

(6) PLIN, H.N.XIX.63.

(7) GSELL, H.AA.N.T1.P 361.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط



شكل رقم 32: مستوطنة ليكسوس (LIXUS)

SABATINO MOSCATI, LES PHENICIENS, p50

الفصل الثالث: _____ دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

وينضح لنا أن علاقة ليكسوس بقادس كانت أحسن بكثير من علاقاتها بقرطاجة وذلك تقرب المسافة بينهما وطبيعتهما البحرية على المحيط الأطلسي كما أنه لا يستبعد على الرغم من قلة المصادر المادية أن يكون الذين أسسوا قادس وليكسوس قدموا من الشاطئ الفينيقي سواء من "صور" أو من "صيد" على الساحل الشرقي للبحر المتوسط.

وعلى ضوء الدراسات المقارنة يمكن أن نقول أن مستوطنة ليكسوس (*Lixus*) كانت من بين أهم المستوطنات الفينيقية.

- مستوطنة قرطاجة (*CARTHAGE*):

أحاط القدماء الأحداث التاريخية الكبرى بهالة من الأسطورة مثل ميلاد مدنهم الكبرى، ومثلما حدث حول تأسيس مدينة روما وما وقع بين 'ريموس' (*Rimos*) و'ريمولوس' (*Romilius*) وكذا ما جرى أو ما أحاط بعملية إنشاء مدينة قرطاجة.

إن تأسيس قرطاجة⁽¹⁾ يعد مرحلة هامة بالنسبة لتاريخ فينقيا، حيث لعبت هذه المدينة منذ تأسيسها دورا هاما في الميدانيين التجاري والسياسي على حساب الوطن الأم عندما تعرضت صور إلى التخريب فحلت محلها في الجزء الغربي من البحر المتوسط وأصبحت أكثر قوة مما كانت عليه صيدا⁽²⁾ وتقع قرطاجة قرب مدينة تونس ويعني إسمها المدينة أو القرية الحديثة⁽³⁾ تميزا عن جارتها 'أتويكا' (*Utique*) أي المدينة العتيقة.

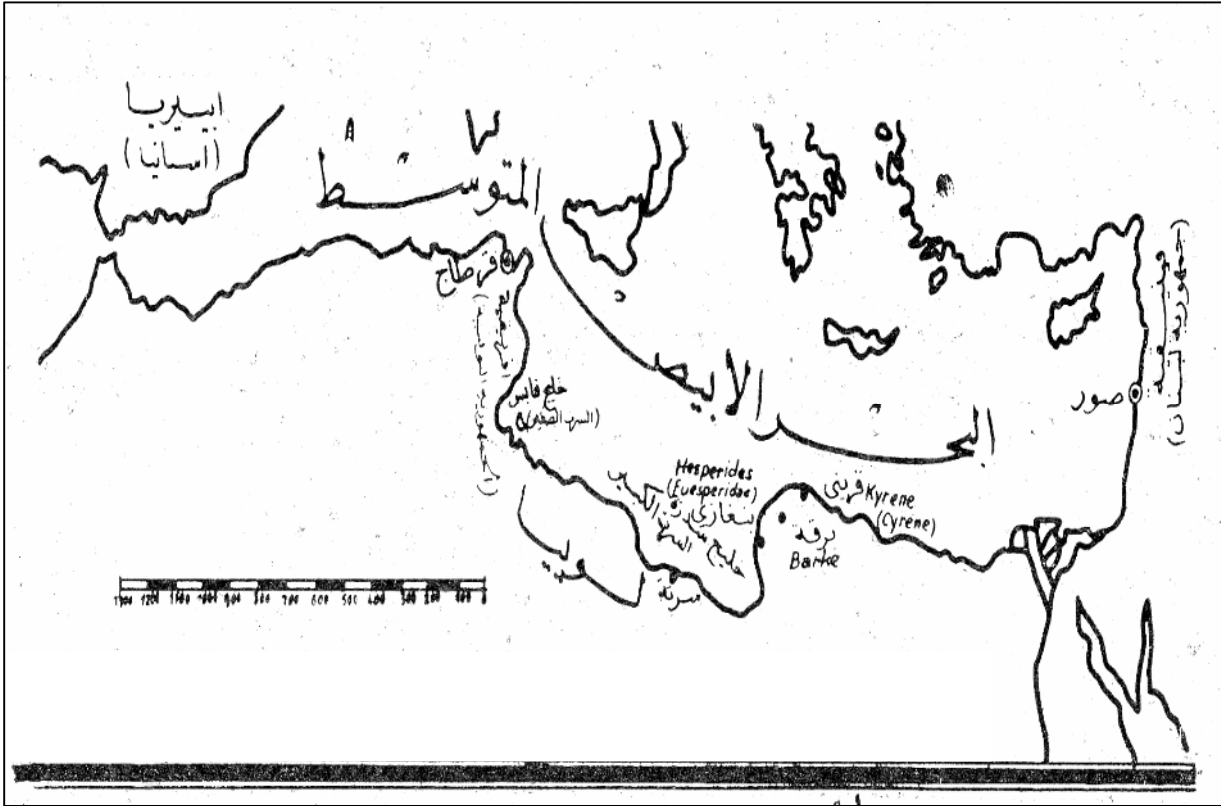
لم يحظ تاريخ تأسيس قرطاجة المؤلف (814 ق.م) الذي أورده المصادر الأدبية الإغريقية والرومانية بتأييد جميع المؤرخين المعاصرين، فكون موضوع جدال متشعب بين مؤيدين ورافضين منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريبا، وتتمثل المسألة خاصة في التناقض بين المعلومات المأخوذة من المصادر الأدبية وبين المعطيات الأثرية.

(1) شكل رقم 33، ص 133 .

(2) SEIGNOBS, OP-CIT, P 335 .

(3) حلمي محروس، المرجع السابق، ص 158.

الفصل الثالث: _____ دور التجارة في تأسيس المواضع الفينيقية في حوض البحر المتوسط



شكل رقم 33 : خريطة مستوطنة قرطاجنة

أحمد صفر، المرجع السابق، لوحة رقم 32.

الفصل الثالث: _____ دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

فإذا كانت أهم النصوص تدعي أن قرطاجة تأسست في أواخر القرن التاسع ق.م⁽¹⁾، فإن أقدم الآثار التي عثر عليها قبل سنة 1987 تعود إلى الربع الأخير من القرن الثامن ق.م أو إلى منتصفه⁽²⁾ فنتج عن ذلك ظهور نظريتين متناقضتين بصفة عامة تعتقد إحدهما في الشهادات الأدبية بينما تعتبر الأخرى إلا المعطيات الأثرية وتقترح إنزال تاريخ تأسيس قرطاجة إلى ما تمليه آثار الموقع.

إن تشعب الطابع الأسطوري لقصة تأسيس قرطاجة جعلنا نجعل بداية تاريخ هذه المدينة لفقدان المعطيات، فلم يعثر لحد الآن على نقائش تعود إلى ذلك العهد⁽³⁾.

ترجع المصادر الأدبية تأسيس المدينة إلى أميرة تدعى " (Elissa) إلى أسرة ملكية لمدينة صور وقد جاءت بحاشيتها بهدف الاستقرار⁽⁴⁾.

ولا يستبعد أن يكون المكان الذي أسست فيه مدينة قرطاجة والمتمثل في خليج شمال تونس قد تعرف عليه الفينيقيون الأوائل وبينوا مكانته الإستراتيجية في المنطقة.

لم يترك الفينيقيون الذين يميلون إلى اختلاق الأساطير حول منشأ مدنها قرطاجة من دون أسطورة خاصة بها وحول محتوى أسطورة " (Elissa) ورد عن 'يوستينوس' (Justin): «إن الحكم قد عاد بعد وفاة الملك 'ماتان' (Mattan) إلى ابنته " و'بيغماليون' (Pygmalion)، وتزوجت " ذات الجمال الباهر خالها عاشر باص كبير كهنة "ملقارت" والغني، والذي كان يخشى على ثروته من جشع الملك، فدفنها في جوف الأرض، لكن 'بيغماليون' (Pygmalion) الذي قرر الاستيلاء عليها، لم يتوان في قتل خاله وزوج أخته في نفس الوقت ولما شعرت " بهذا الخطر الذي أصبح يهدد ثروتها قررت الفرار، وعرفت كيف تحتال على أخيها، وأبحرت بأموال زوجها ومؤيديها إلى قبرص ومنها توجهت إلى إفريقيا بعد أن

(1) Gsiell (S), H.A.A.N.T1.PP359-401.

(2) P.Demargne, La céramique punique, Revue Africaine, 33, 1951, P 44.

(3) بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، بيت الحكمة، تونس، 1993، ص 09.

(4) G.Lapyre, Carthage punique, ED, Payot, Paris, 1942, P 09.

الفصل الثالث: دور التجارة في تأسيس العواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

انضم إليها في قبرص كاهن 'جونو' (Juno) الذي ضمن لنفسه ولأسرته من بعده الإشراف الديني على المدينة الجديدة»⁽¹⁾ وحملت " معها من جزيرة قبرص ثمانين فتاة ليكن أزواجا للشباب الذين كانوا معها، وفي إفريقيا اشترت قطعة أرض بمقدار جلد ثور، فقطعت الجلد إلى قطع صغيرة أحاطت بمساحة تكفي ببناء قرط حدشت"⁽²⁾ والتي حرف الرومان اسمها إلى قرطاجنة، ولم تكن تعمر هذه المدينة حتى طار صيتها في الآفاق⁽³⁾.

ودون الدخول في التفاصيل حول الأسباب والأهداف التي أدت إلى تأسيس قرطاجنة، فثبت أن ما صنف حول الأميرة " أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع التاريخي إذ هي قصة خيالية من وحي الواقع شأنها في ذلك شأن الأساطير عامة، على أن الذين أوردوها وتناقلوها لم يترددوا في إثرائها بعناصر اقتبسوها من محيطهم وعلى ضوء هذه الرواية فإن تأسيس قرطاجنة كان نتيجة للصراع بين القصر والمعبد⁽⁴⁾.

لكن هذه الفرضية تصطدم بغياب البغضاء والعداوة بين قرطاجنة وصور في أخبار القدامى، وبالمقابل أخبرنا هؤلاء بالاعتبار الكبير الذي كانت تكنه قرطاجنة لمدينة صور عبر تاريخها منذ تأسيسها وحتى سقوطها، ورغم الاختلاف المظهري بين المؤرخين الذين تناولوا قصة هجرة الفينيقيين من صور فإن الإطار العام الذي وردت فيه القصة يبدو متفقاً جوهرياً، يبقى تأكيد حقيقة الأشخاص الذين كان لهم دور في القصة⁽⁵⁾ وهناك رأي آخر حول هذه الهجرة الجماعية التي كانت غير معروفة عند الفينيقيين، وهو أن الآشوريين ازدادوا قوة وأصبحوا يهددون الفينيقيين، وفرضوا عليهم ضرائب كبيرة، مما حتم عليهم للحفاظ على ثرواتهم وأموالهم أن يبحثوا على منطقة بعيدة آمنة عن الخطر الآشوري ليهربوا أموالهم بعد أن أصبحت مدينة صور غير آمنة⁽⁶⁾.

(1) Justin, H.Universelle. XVIII.4.

(2) Gsell (S), H.A.A.N. T1, P 89.

(3) عبد العزيز الثعالبي: مقالات في التاريخ القديم، دار الغرب الإسلامي 1986، ص 19.

(4) G.Lapre, Op-cit, P76.

(5) Salah Eddin Tlatli, Carthage la punique, Paris, 1978, P49.

(6) Edmon Jouhaud, Histoire de l'Afrique du nord, Editions des deux ceps d'or 1968 P 23.

الفصل الثالث: _____ دور التجارة في تأسيس العواصر الفينيقية في حوض البحر المتوسط

أصبح تاريخ تأسيس قرطاجة المؤلف 814 ق.م الذي أوردته المصادر الأدبية الإغريقية والرومانية بتأييد جميع المؤرخين المعاصرين منذ منتصف القرن التاسع عشر (19م) تقريباً موضوع جدال متشعب بين مؤيدين ورافضين، وحتى الآن لا تزال قرطاجة في حاجة إلى حضوة وتتمثل المسألة خاصة في التناقض بين المعلومات المأخوذة من المصادر الأدبية وبين بعض الاكتشافات الحديثة لمخلفات القرطاجيين، أهم النصوص تدعي أن قرطاجة تأسست في أواخر القرن التاسع ق.م⁽¹⁾ وأن عام 814 ق.م يعد تاريخ تأسيس الرسمي على اعتبار أن هذا التاريخ قد سبق بداية الألعاب الأولمبية الأولى (776 ق.م) بحوالي 38 وهذا ما ذكره تيمائوس⁽²⁾ (Timee) (250-340 ق.م) الذي اطلع على النصوص البونيقية⁽³⁾.

إن البحث في تاريخ قرطاجة يواجه رأيين متناقضين، حيث يعتمد أحدهما . الشهادات الأدبية، بينما لا يعتمد الثاني إلا على المعطيات الأثرية فالمصادر الأدبية هي في حقيقة الأمر، مقتطفات غير مدققة تنقصها المستندات، وينحدر أهمها من مصدر واحد يصعب على الباحث في تاريخ قرطاجة إقرار مصداقيته كما لم تقنع الدراسات القليلة لأقدم آثار قرطاجة جل المختصين في الدراسات القرطاجية بنتج عن ذلك وجود مواقف مختلفة حول عهد وصول الفينيقيين الأوائل على هذه المنطقة، فلا نستطيع حسب ما توفر لدينا حتى الآن من وثائق ونصوص إلى حل موضوعي ومنطقي يتطابق مع المعطيات التاريخية والأثرية لتحديد تاريخ قرطاجة، و. القول أن الفينيقيين أسسوا مدينة قرطاجة لتكون محطة تجارية، فأصبحت مع الأيام مدينة عظيمة، وقلب إمبراطورية واسعة، فقرطاجة ليست بنت الصدفة، بل الحاجة دفعت بالفينيقيين إلى تأسيسها، إن سكان 'صور' احتاجوا إلى مركز دائم في شمال إفريقيا يرحلون إليه ويكون ملجأ قويا عند الحاجة.

(1) Gsell, H.A. AN, OP-CIT, T1, P 359.

(2) تيمائوس (TIMEE) تأسيس قرطاج بثمانية وثلاثين سنة قبل الأولمبياد الأولى، وهو يوافق السنة

المذكورة (الأولمبية الأولى) 776 + 38 = 314 ق.م. للمزيد من المعلومات انظر: Gsell, Op-cit, T1, P 397.

(3) محمد الصغير غانم/ التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، ص 102.

خاتمة

يمكن لنا بعد هذه الدراسة أن نحدد النتائج التي توصلنا إليها كإجابات عن تساؤلات الإشكالية ومنها:

1. نظرا للموقع الذي تمتعت به فينيقيا والذي كانت له أهمية إستراتيجية، لأنه كان يعد الممر الطبيعي الوحيد الواصل بين العالم القديم (آسيا، أوربا، إفريقيا) جلب أنظار الشعوب المجاورة مما أدى إلى تعرض فينيقيا لمختلف الغزوات.

2. إن ضيق المساحة ووعورة التضاريس جعلت الفينيقيين يتأثرون إلى أبعد الحدود مع هذه البيئة التي عاشوا فيها واستجابوا لها لطبيعة الجغرافية لفينيقيا أثرت على تاريخ الشعب الفينيقي اقتصاديا حيث كانت عاملا هاما في توجهه نحو الرحلات الاستكشافية البحرية، وامتھان التجارة وإنشاء المراكز التجارية التي تحول الكثير منها إلى مستوطنات.

3. يعتبر تنوع نظريات تسمية الفينيقيين بالنسبة للمصادر الأدبية والمادية سواء كانت متوافقة أو متعارضة، دليل على أن الفينيقيين هم شعب واحد، رغم سيادة وعي الانتماء للمدينة على الوعي الانتماء إلى الأمة.

4. من بين العوامل الاقتصادية التي اعتمد عليها الفينيقيون في بداية تاريخهم، استثمار إمكانياتهم الزراعية المحدودة لتلبية حاجياتهم، مما دفعهم إلى البحث عن مصادر أخرى تمثلت في الصناعة المتعددة الأنواع والتي اتقنوها بفعل مهارتهم المشهود بها تاريخيا، فعمت منتوجاتهم مختلف أسواق العالم القديم وهذا كان حافزا بتوجه الفينيقيين نحو الميدان التجاري.

5. إن نشاط الفينيقيين الاقتصادي حدده البحر بالدرجة الأولى، فتطور حركة التجارة والملاحة سمح لهم بالتوسع الفينيقي في البحر المتوسط بحوضيه وادی هذا لإقامة مراكزه تجارية ومستوطنات على مختلف سواحلہ وجزره، ومكنه من الهيمنة على العالم القديم اقتصاديا وحضاريا لفترة زمنية امتدت عدة قرون.

6. إن الشعب الفينيقي عب، وحضارة، كانوا وما زالوا يثيرون إهتماما كبيرا من الباحثين والدارسين للحضارات القديمة، فمنذ أن كشف الشاعر الإغريقي " هوميروس" (HOMERE) عن خصائصهم البحرية والتجارية أصبحوا محط أنظار، مما منحته أمم أخرى، كانت أوفر إنتاجا في مضماري الثقافة والسياسة.

7. كان ظروف القاسية التي كانت تسيطر على حياة المدن الفينيقية شرقا، والتي أصابها وهنٌ من جراء اعتداءات الشعوب المجاورة (شعوب البحر، الآشوريون...) بالإضافة إلى العوامل الطبيعية، البشرية والاقتصادية أثره الكبير على حضور الفينيقيين في حوض المتوسط.

8. عندما أطلق المؤرخون على الفينيقيين " شعب البحر" فهذا يعود إلى أنهم اتقنوا كل ما يتعلق بالبحر من صيد وملاحة وصناعة السفن التجارية والعسكرية، وبرعوا في بناء المرافئ، واستعانوا بهم شعوب عصرهم في كل ما يتعلق بالبحر، حيث اتقن الفينيقيون العلوم الضرورية للملاحة، واسترشدوا بالنجوم لركوب البحر.

9. إن الفينيقيون لم يكونوا تجارا فقط بل اشتهروا أيضا بالصناعة، ولم يكونوا يتجرون بمصنوعات الآشوريين والكلدانيين والمصريين فقط، بل كانوا أول شعب يجعل الصناعة لتأمين الأدوات الضرورية ووسيلة للبيع وتحقيق الربح، فقد نظموا طرق الصناعة وخصصوا لها مناطق معينة، ونوعوا مصنوعاتهم وتعلموا مصنوعات غيرهم واتقنوها وصنعوا منها كميات وفيرة تلاءم حاجات عصرهم واذواق الفينيقيين وشعوب العالم التي تعاملوا معها.

10. اعطى الفينيقيون التجارة بعدا واسعا ومهما لم يعرفه غيرهم من قبل، وكانت لهم نظرة ارقى من بقية شعوب العالم القديم المعاصرة لهم. التجارة الفينيقية التي استمرت قرونا انتشرت في افاق العالم القديم جلبت للمدن الفينيقية - صور - صيدا - الثروة والغنى والازدهار والاحتكار الاقتصادي والتحكم في تجارة حوض البحر المتوسط.

11. من نتائج الحضور الفينيقي بغرب المتوسط أنهم لفتوا الانتباه الإغريقي حتى أصبحوا يلاحقونهم ويزاحمونهم، فالانتشار الإغريقي في غرب المتوسط يعتبر وليد الحضور الفينيقي فيه.

12. إن مهارة الفينيقيين كتجار وملاحين أصبحت أسطورية حيث شبه المؤرخون الشعوب المتاجرة الناجحة بالفينيقيين، ووصفوا كل تاجر ناجح بأنه فينيقي عصره.

13. لم يعتمد الفينيقيون في تأسيس إمبراطوريتهم وإدارتهم بالقوة العسكرية، بل على المرونة السياسية وعلى المصلحة الاقتصادية، فاحترموا للشعوب التي تعاملوا معها وساهموا في تحضيرها ورفع مستواها الاقتصادي.

استخلص مما سبق أنه مهما قيل من آراء وأفكار حول الفينيقيين من قبل المؤرخين القدامى والمحدثين فإنها تحمل في طياتها شيء من المبالغة والتحليل، خاصة من قبل المؤرخين الغربيين، فيجب توخي الحذر واليقظة حتى تكون أعمالنا جدية ودقيقة ومنصفة.

وما توفيقي إلا بالله رب العالمين.

الملاحق

الإصحاح 09

'وبنى الملك سليمان أسطولا في عصيون جابر التي بجانب أيلة، عند شاطئ بحر القصب في أرض أدوم. فأرسل حيرام رجاله في السفن مع رجال سليمان، وهم قوم ملاحون عارفون بالبحر. فأتوا أوفير وأخذوا من هناك أربع مئة وعشرين قنطارات من الذهب. وأتوا بها إلى الملك سليمان⁽¹⁾.

الإصحاح 10

وأعطت الملك مئة وعشرين قنطار ذهب وأطيابا كثيرة وحجارة كريمة، ولم يرد من بعد في الكثرة مثل ذلك الطيب الذي وهبته ملكة سبأ للملك سليمان. وكذلك فإن سفن حيرام التي كانت تحمل ذهباً من أوفير جاءت من أوفير بخشب صندل كثير جدا وبحجارة كريمة. فعمل الملك خشب الصندل درازينا لبيت الرب وبيت الملك، وكنارات وعيدانا للمغنين، ولم يرد مثل ذلك الخشب الصندل ولا رأي مثله إلى هذا اليوم. وأعطى الملك سليمان ملكة سبأ كل ما عبرت عن رغبتها فيه، فوق ما أعطاها من العطايا على حسب كرم الملك سليمان.

وانصرفت وعادات إلى أرضها هي وحاشيتها. وكان وزن الذهب الذي ورد على سليمان في سنة واحدة ست مئة وستة وستين قنطار ذهب، ما عدا الوارد من الجوالين التجاريين ومن ربح التجار وجميع ملوك العرب وولاة البلاد. فعمل الملك سليمان مني مجنب من ذهب مطروق، للمجنب الواحد ست مئة متقال ذهب مركب. وعمل أيضا ثلاث مئة ترس من ذهب مطروق، للترس الواحد ثلاثة قناطير ذهب مركب، وجعلها الملك في بيت غابة لبنان.

وعمل الملك عرشا كبيرا من عاج، ولبسه ذهباً إبريزاً. وكان للعرش ست درجات، وراس العرش مدور من الوراء، وعلى جانبي المقعد يدا من هنا ومن هناك، واسدان واقفان عند اليدين. وهناك اثنا عشر اسدا واقفة على الدرجات الست من هنا ومن هناك. لم يصنع لهذا العرش نظير في جميع الممالك. وكانت جميع انية شرب الملك سليمان ذهباً، وجميع انية بيت غابه لبنان كانت من ذهب خالص، لم يكن فيها فضة، إذ لم تكن الفضة تحسب شيئاً في أيام سليمان.

(1) — 26/9 - 28، منشورات دار المشرق، بيروت، 1991

لأن الملك كانت له في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام، فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنوات حاملة ذهب وفضة وعاجا وقرودا وطواويس. وعظم الملك سليمان على جميع ملوك الأرض في الغنى والحكمة. وكانت الأرض كلها تلتمس مواجهة سليمان، لتسمع حكمته التي أودعها الله في قلبه. وكان كل واحد يأتيه بهداياه من أنية ذهب ولباس وسلاح وأطياب وخيل وبغال في كل سنة.

وجمع سليمان مركبات وخيلا، فكان له ألف وأربع مئة مركبة واثنان عشر ألف فرس فأقامها مدن المركبات وعند الملك في أورشليم. وجعل الملك الفضة في أورشليم مثل الحجارة، وجعل الأرز مثل الجميز الذي في السهل كثرة. وكانت الخيل تجلب لسليمان من مصر ومن قوى، وكان تجار الملك يشترون من قوى بثمان معين.

وكانت المركبة تصعد من مصر بست مئة من الفضة، والفرس بمئة وخمسين. وهكذا كان شأن جميع ملوك الحثيين وملوك آرام، فقد كانوا يجلبون عن يدهم⁽¹⁾.

الاصحاح 23

قول على صور: ولولي يا سفن ترشيش. فقد دمرت صور حتى لم يبق بيت عند وصولهم من أرض كتيمة أخبروا بذلك يا تجار صيدون ويا سكان الجزيرة الذين عبر رسلهم البحار. دهشوا وكانت غلتها زرع شيخور وحصاد النيل على مياه غزيرة وكانت هي متجرة الامم. إخزي يا صيدون. فإن البحر إحصن البحر قد تكلم قائلا: 'إني لم أحبل والم الد ولم ارب فتيانا ولم اكبر فتيات'.

'عند سماع مصر بالخبر يرتاعون عند سماعهم بخبر صور. اعبروا إلى ترشيش ولولوا يا سكان الجزيرة. اهذه مدينتكم المبتهجة التي ترقى إلى الايام الاولى ورجلاها تنقلانها إلى سكنى بعيدة؟ من قضى ذلك على صور التي تتوج الملوك. وتجارها امراء ومتاجروها كرام الارض؟ رب القوات هو قضى ذلك ليزل كبرياء كل بهاء ويهين كرام الارض.

فيفضي في أرضك كالنيل يا بنت ترشيش. فلا مانع بعد اليوم. مد يده على البحر وزرع الممالك امر الرب على كنعان بتدمير حصونها. وقال: لا تعودين تفتخرين ايتها العذراء المهتوكة. بنت صيدون قومي فاعبري إلى كتيمة هناك ايضا لا راحة لك. هاهي ذي أرض الكلدانيين الشعب الذي

لم يكن. فأسسها آشور لوحوش القفار. قد قاموا بروجهم. دمروا قصورها فجعلت خرابا. ولولي يا سفن ترشيش. فإن حصنكم قد دمر⁽²⁾.

الإصحاح 27

((وكانت إلي كلمة الرب قائلا: 'وأنت يا ابن الإنسان، إرفع رثاء لصور، وقل لصور الساكنة عند مداخل البحر، تاجرة الشعوب في جزر كثيرة: هكذا قال السيد الرب: يا صور أنك قلت أنا كاملة الجمال. حدودك في قلب البحور. بناؤك أكملوا جمالك. وبسروا من سنير بنوا كل ألواحك من سورسنير. أخذوا أرزا من لبنان ليصنعوا لك سوارى.

صنعوا من بلوط باشان مجاذيفك. صنعوا مقاعدك من عاج مطعم في البقس من جزائر كتييم. كتان مطرز من مصر هو شراعيك ليكون لك راية. الأسمانجونى والرجوان من جزائر أليشة كانا عطاؤك.

أهل صيدون وإرواد كانوا ملاحيك. حكماءك يا صور الذين كانوا طانوا فيك هم ربابينك. شيوخ جبيل وحكماءها كانوا فيك قلافوك. جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك. فارس ولود وفوط كانوا في جيشك رجال حربك.

علقوا فيك ترسا وخوذة. هم صيروا بهاءك. بنو إرواد مع جيشك على الأسوار من حولك. هم تمموا جمالك. ترشيش تاجرتك بكثرة كل غنى بالفضة والحديد والقصدير والرصاص أقاموا أسواقك. يا وان وتوبال وماشك هم تجارك. بنفوس الناس وبانية النحاس أقاموا تجارتك.

ومن بيت توجرمة بالخييل والفرسان والبغال أقاموا أسواقك. بنو ددان تجارك. جزار كثيرة لجاريديك. ادوا هديتك قرونا من العاج والابنوس. أرام تاجرتك بكثرة صنائعك تاجروا في أسواقك بالبهرمان والارجوان والمطرز والبوص والمرجان والياقوت. يهوذا وأرض إسرائيل هم تجارك.

تاجروا في سوقك بحنطة منيت وحلاوى وعسل وزيت وبلسان. دمشق تاجرتك بكثرة صنائعك وكثرة كل غنى بخرم حلبون والصوف الأبيض. ودان وياوان قدموا غزلا في أسواقك. حديد مشغول وسليخة وقصب الذريرة كانت في سوقك.

ددان تاجرتك بطنافس للركوب. العرب وكل رؤساء قيادهم تجا يدك بالخرفان والكباش والاعتدة. هذه كانوا تجارك. تجار شبا وزعمة هم تجارك. بأفخر كل أنواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك. حران وكنة وعدن تجار شبا وأشور وكلمد تجارك.

(2) سفر أشعياء، 1/23 - 14 - 1563.

هؤلاء تجارك بنفائس بأردية أسما نجونية ومطرزة وأصونة مبرم معكومة بالحبال مصنوعة من الأرز
بين بضائعك.
سفن ترشيش قوافلك لتجارتك فامتلات وتمجدت جدا في قلب البحار. القذافون أتوا بك إلى مياه غزيرة
فحطمتك الريح الشرقية في قلب البحار. غناك وسلحك وبضائعك.
وملاحوك وبحارتك وجلافطة صدوعك وسماسرة تجارتك وجميع رجال حربك الذين فيك وكل الجمع
الذي في وسطك يسقطون في قلب البحار يوم سقوطك من صوت صراخ بحارتك ترتعش سواحلك.
فجميع ضابطي المقاذيف والملاحون وجميع البحارة ينزلون من السفن ويقفون على البر ويسمعون
عليك أصواتهم ويصرخون بمرارة فوق رؤوسهم ترابا قيثمرغون في الرماد ويحلقون شعر رؤوسهم
عليك ويتحزمون بالمسوح ويكون عليك بمرارة النفس نحيبا مرا.
وفي نوحهم يرفعون الرثاء عليك ويرثونك قائلين: من كان شبيها بصور في وسك البحر؟ بإنزال سلحك
من البحار اشبعت شعوبا كثيرة وبوفرة أموالك وبضائعك أغنيت ملوك الأرض. ها إن الأمواج
حطمتك في أعماق المياه فسقطت بضائعك وكل جمعك في وسطك.
جميع سكان الجزر دهشوا عليك وملوكهم اقشعرت شعورهم وامتقعت وجوههم والتجار في
الشعوب صفروا عليك وقد صرت موضع رعب فلا تكونين للابد⁽¹⁾.

(1) سفر حزقيال، 36 - 3/27 1813 - 1815.

ملحق رقم 02: الإشارة إلى أصل الكنعانيين كما ورد في سفر التكوين بالتوراة

الإصحاح العاشر

'هذه سلالة بني نوح، سام وحام ويافت ومن ولد لهم من البنين بعد الطوفان: بنو يافت : جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبل وماشك وتيراس وبنو جومر: أشكماز وذيفات وتوجرمة وبنو ياوان: اليشا وترشيش والكتيم والرودانيم. من هؤلاء تشتت الناس في جزر الأمم. هؤلاء بنو يافت بحسب بلدانهم. كل بحسب لغتهم وعشائرتهم وأممهم وبنو حام: كوش ومِصْرَائِيم وفلوط وكنعان. وبنو كوش: سَبَأَ وَحَوِيلَةَ وَسَبْتَةَ وَرَعْمَةَ وَسَبْتَكَا ، وبنو رَعْمَةَ: شَبَأَ وَدَدَانَ. وكوش ولد نمرود، وهو أول جبار في الأرض وكان صياد جبارا امام الرب ولذلك يقال 'كنمرود صياد جبار أمام الرب، وكان أول مملكته بابل وأرك وأكد وكلنه في أرض شنعار ومن تلك الأرض خرج إلى آشور فبنى نينوى ورحبوت عير وكالح وراسن بين نيل وكالح وهي المدينة العظيمة. ومصرائيم ولدن اللوديم والعاميم واللاهيم والنفثوحيم والفتروسييم والكسلوحيم والكفتوريم الذين خرج منهم الفلسطينيون وكنعان ولَدَ صِيْثُونُ بِكَرِهِ وَحِثَا واليَبُوسِيِّ وَالْأَمُورِيِّ وَالْجَرْجَاشِيِّ وَالْحَوِيِّ وَالْعَرَقِيِّ وَالسِّيْنِيِّ وَالْأَرَوَادِيِّ وَالصَّمَارِيِّ وَالْحَمَاتِيِّ وبعد ذلك تفرقت عشائر الكنعانيين وكانت حدود الكنعانيين من صيدون وانت ات نحو جرار إلى غزّة، وانت ات نحو سدوم وعمورة وادمّة وصبُونِيم إلى لاشع. هؤلاء بنو حام بحسب عشائرتهم ولغاتهم وبلدانهم واممهم⁽¹⁾.

(1) سفر التكوين، 20- 10/10، 83.

ملحق رقم 03: وصف الصناعة الفنيقية كما ورد في التوراة

الإصحاح 07

وصنع البحر مسبوكة مستديرا، قطره من شفة إلى شفة عشر أذرع. وعلوه خمس أذرع، ومحيطه خيط طوله ثلاثون ذراعا. وكان تحت شفته من كل جهة قناء يحيط به، لكل ذراع عشر على صفيين محيطين بالبحر كله، والقناء مسبوكة معه في سبك واحد. وكان قائما على إثني عشر ثورا، ثلاثة منها وجوها نحو الشمال. وثلاثة نحو الغرب، وثلاثة نحو الجنوب، وثلاثة نحو الشرق، والبحر عليها وجميع مؤخراتها إلى الداخل. وكان سمكه شبرا، وشفته كشفة كأس على مثال زهر السوسن، وكان يسع ألفي بث وصنع القواعد العشر من نحاس، طول القاعدة الواحدة أربع أذرع، وعرضها أربع أذرع، وعلوها ثلاث أذرع، وهذا صنع القواعد: كانت لها ألواح، وكانت الألواح في وسط أطرافها. وعلى الألواح التي في وسط الأطراف أسود وثيران وكرويين، وعلى الأطراف من فوق الأسود والثيران ومن تحتها حبال زهور مطروقة. وكانت لكل قاعدة أربع عجلات من نحاس بمحاور من نحاس، ولزواياها الأربع أكتاف مسبوكة تحت الحوض، الواحدة بإزاء الأخرى. وكان فم القاعدة في داخل إطار وكان يفوقه بذراع، وكان مستديرا على شكل قاعدة من ذراع ونصف ذراع وعلى الفم أيضا كانت نقوش، غير أن الواحها كانت مربعة لا مدورة. وكانت العجلات في القاعدة، وعلو العجلة الواحدة ذراع ونصف ذراع. وصنع العجلات كصنع عجلات المركبة، أسنتها وأطرافها وبرامقها وقبوبها كل ذلك مسبوكة. وكانت أربع أكتاف في الزوايا الأربع من كل قاعدة، وأكتاف القاعدة جزء منها. وفي أعلى القاعدة السنة والواح جزء منها. ونقش على ظاهر السننتها وعلى الواحها كرويين واسودا ونخيلا. بحسب ما وسع كل منها، وحبال زهور من حولها كذلك صنع القواعد العشر، ولجميعها سبك واحد وقياس واحد وصوغ واحد. ثم صنع عشرة أحواض من نحاس، منها يسع أربعين بئرا. وكان كل حوض أربع أذرع، وكان على كل قاعدة من القواعد العشر حوض. وجعل القواعد خمسا على الجانب الأيمن من البيت وخمسا على الجانب الأيسر، وجعل البحر الجانب الأيمن من البيت إلى الشرق من جهة الجنوب. وصنع حيرام القدور والمجارف والكؤوس. وانتهى حيرام من كل العمل الذي عمله للملك سليمان لأجل بيت الرب العمودين وقالبتي التاجين اللذين على رأس العمودين والحبيكتين المغطيتين لقالبتي التاجين، والرمانات الأربع مئة التي للحبيكتين، صنفين من الرمان لكل حبيكة، لتغطية التاجين اللذين على العمودين، والقواعد العشر والأحواض العشرة التي على القواعد، والبحر الوحيد والثيران الاثني عشر التي تحت البحر، والقدور والمجارف والكؤوس وجميع الأدوات التي صنعها حيرام للملك سليمان لأجل بيت الرب من نحاس مصقول.

سبكها الملك في بقعة الأردن ، في أرض خزفية، بين سكوت وصرتان. وأهمل سليمان وزن جميع الأدوات، لأنها كانت كثيرة جدا جدا، حتى كان وزن النحاس لا يقدر ⁽¹⁾.

الإصحاح 27

"وقل لصور الساكنة عند مداخل البحر، تاجرة الشعوب في جزر كثيرة: هكذا قال السيد الرب: "صور انك قلت أنا كاملة الجمال. حدودك في قلب البحور. بناؤك أكملوا جمالك. وبسروا من سنير بنوا كل ألواحك من سورسنير. أخذوا أرزا من لبنان ليصنعوا لك سوارى. صنعوا من بلوط باشان مجاذيفك. صنعوا مقاعدك من عاج مطعم في البقس من جزائر كتييم. كتان مطرز من مصر هو شراعيك ليكون لك راية. الأسمانجونى والرجوان من جزائر الليشة كانا عطاؤك.

أهل صيدون وإرود كانوا ملاحيك. حكماؤك يا صور الذين كانوا طانوا فيك هم ربابينك. شيوخ جبيل وحكماؤها كانوا فيك قلافوك. جميع سفن البحر وملاحوها كانوا فيك ليتاجروا بتجارتك. فارس ولود وفوط كانوا في جيشك رجال حربك.

علقوا فيك ترسا وخوذة. هم صيروا بهاءك. بنو إرود مع جيشك على الأسوار من حولك. هم تمموا جمالك. ترشيش تاجرتك بكثرة كل غنى بالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقاموا اسواقك. يا وان وتوبال وماشك هم تجارك. بنفوس الناس وبانية النحاس اقاموا تجارتك. ومن بيت توجرمة بالخييل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك. بنو ددان تجارك. جزار كثيرة لجاريديك. ادوا هديتك قرونا من العاج والابنوس. والابنوس فياضا لك." ⁽²⁾

(1) 43/23/7 642-643.
(2) سفر حزقيال 3/27-15. 1813-1814.

بيبليو غرافية البحث المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1. **DIODORE DE SICILE** – Bibliothèque Historique, Edition Imprimerie royale – PARIS 1834-1837.
2. **HERODOTE** : Histoire – Livre I, II ,III,IV,V,VII texte établi et traduit par P.H.E LE GRAND, Société d’Edition « LES BELLES LETTRES » PARIS 1948-1951.
3. **JUSTIN** : Histoires Universelle, TOME II Livre XVIII, Traduction : J. PIERROT et E. BOITARD, Edition PANKOUCKE – PARIS 1853
4. **PLINE L’ANCIEN** – Histoire Naturel V, IX, XVI, XIX, XXII, XXVI – PANCKOUCKE – PARIS 1829
5. **SALLUSTE, CATALINA ET GUERRE DE JUGURTA** TRADUCTION , ALFRED ERNOUT, 5^{eme} EDITION , BELLES LETTRES , PARIS 1962
6. **STRABON** : Géographie , I, II, III, IV, XVI, Traduction d’Amédée Tardieu HACHETTE – 1894.

7. العهد القديم (التوراة)، منشورات دار المشرق، بيروت، 1991.

8. القرآن الكريم ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1990.

: المراجع :

1. إسماعيل حلمي محروس): الشرق العربي القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر 1997.
2. انطوان (مورتكات): تاريخ الشرق الادنى القديم، تعريب توفيق سليمان، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1967.

3. إيمار (أندريه) وجانين أوبوايه: تاريخ الحضارات العام - الطبعة 2، منشورات عويدات، بيروت 1981.
4. جوزف (صقر) : قصة وتاريخ الحضارات العربية- لبنان من عصور ما قبل التاريخ
د المتصرفية، منشورات كريس، Creps - 2003
5. حارش (محمد الهادي): التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى
الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1995.
6. (فليب): لبنان في التاريخ، مؤسسة فرانكلين للطباعة بيروت 1965.
7. // : خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى المجلد الأول، الطبعة 1، الدار
المتحدة للنشر بيروت 1975.
8. // : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج1، دار الثقافة، بيروت 1957.
9. حسين (أحمد إلياس): سلع التجارة الصحراوية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات
التاريخية، بنغازي 1979.
10. حلاق (إحسان): ملامح من تاريخ الحضارات، الدار الجامعية، بيروت 1991.
11. // : مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات،
دار النهضة العربية، بيروت، 1991.
12. خريسات (محمد عبد القادر): تاريخ الحضارة الإنسانية، الطبعة الأولى، دار الكندي للنشر
والتوزيع أريد - الأردن - 1999.
13. الخوري (منير): صيدا عبر حقبة التاريخ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر،
بيروت 1966.

14. الدبس (يوسف): تاريخ الشعوب المشرقية، الطبعة الأولى، دار نضير عبود، بيروت 2000.
15. دبور (محمد علي): تاريخ المغرب الكبير، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه 1964.
16. دروزة (محمد عزة): تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار، ج3، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، لبنان 1959.
17. ديورانت (أول): قصة الحضارة، نشأة الحضارة الشرق الأدنى، الجزء الأول، المجلد الأول، دار إنجيل بيروت 1971 .
18. ذراع (إطاهر): الديانات القديمة في شبه الجزيرة العربية، مطبعة بغيضة، قسنطينة، 2008.
19. رفعت (محمد): تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، القاهرة، 1959.
20. زايد (عبد الحميد): الشرق الخالد، دار النهضة العربية القاهرة 1966.
21. زودن (ف.فون): مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق 2003.
22. سركين (ي): الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ترجمة يوسف فاضل، جروس بريس، بيروت 1998.
23. سليم (أحمد أمين): في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر، سوريا القديمة، دار النهضة العربية، بيروت 1989.
24. صفر (أحمد): مدينة المغرب العربي في التاريخ، الجزء الأول، دار النشر بوسلامة، تونس 1959.

25. الصياد (محمد محمود): جغرافية الوطن العربي، ج2، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1968.
26. عبد العزيز (الثعالبي): مقالات في التاريخ القديم، دار الغرب الإسلامي، 1986.
27. عرب (معن): صور حاضرة فينيقيا، دار المشرق، بيروت 1970.
28. عصفور (محمد أبو المحاسن): المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1981.
29. // : معالم الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1981.
30. غانم (محمد الصغير): التوسع الفينيقي في غربي المتوسط دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2003.
31. // : الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى عين مليلة 2005.
32. // : التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى عين مليلة 2003.
33. // : المملكة النوميدية والحضارة البونية، شركة الامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1998.
34. غلاب (محمد): الساحل الفينيقي وظهره في التاريخ والجغرافيا، دار العلم للملايين، بيروت 1969.
35. فرجاوي (احمد): بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، بيت الحكمة، تونس 1993.

36. فنطر|محمد حسن|: الفينيقيون بناء المتوسط، منشورات أليف، تونس 1998.
37. محمد صادق (صابور) : موجز تطور الحضارات الإنسانية، ط1، دار الأمير، الجزيرة، مصر، 1998.
38. مهران|محمد بيومي|: المدن الفينيقية بتاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1994.
39. // : حضارات الشرق الأدنى القديم ج1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1999.
40. موسكاتي|سباتينو|: الحضارات السامية القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997.
41. // : الحضارة الفينيقية، ط1، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1988.
42. ميدان (مادلين هورس): قرطاج، ترجمة إبراهيم بالش، منشورات عويدات بيروت 1981.
43. الميار عبد الحفيظ: الحضارة الفينيقية في ليبيا، ط1، دار الكتب الوطنية بنغازي () 2001.
44. الناضوري|رشيد|: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب اسيا وشمال افريقيا، الكتاب الاول، مكتبة الجامعة العربية، الطبعة الثانية، بيروت 1968.

45. // : المغرب الكبير، العصور القديمة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،

بيروت 1981.

46. نجيب ميخائيل إبراهيم): سورية، الإسكندرية، 1966.

47. // : مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعارف بيروت 1966.

1. **ALBERT AYACHE** , Histoire ancienne de l'Afrique du Nord , Editions Sociales, 1964.
2. **ALEXANDARE MORET** , histoire de l'Orient.T1,P.U.F, Paris 1941.
3. **ANDRE PARROT** , Ninive et L'Ancien testament, Edit Payot. Paris 1953.
4. **AYMARD (A) ET J. AUBOYER**- Histoire Generale Des Civilisation, L'Orient et la Grèce P.U.F, Paris 1953.
5. **BARTHELEMY (L)**, Les PHENICIENS en Afrique. IMP Jules Janin, Paris 1895.
6. **BORBIN(C), C .Bonnet**, Les Phéniciens Marins des Trois Continents, MP,Semand Collin, Paris 1992.
7. **BOULOS (JAWAD)**, les peuples et les civilisations du proche orient, tome i, mouton et co, 1961.
8. **BRIQUEL.(F) CHATONNET** , Les Phéniciens Aux Origines du Liban. IMP. Gallimard 1998.
9. **CARY (M), E. warmington**, Les Explorateurs de L'antiquité Trad. De H. Collin Decanaud Payot, Paris 1932.
10. **CASSON (LIONEL)**, LES MARINS DE L'ANTIQUITÉ HACHETTE, 1961.

11. **CHARLES (G) ET Collecte Picard**, Vie et Mort de Carthage, Paris 1970.
12. **CHARLES (GILBERT)** – et Collette Picard vie et mort de Carthage Hachette, Paris, 1970.
13. **CINTAS (P)**, Manuel D'archéologie Punique. Edit PICARD, 1970.
14. **CLAUDE SHAEFENRE**, Histoire universelle ulistre, les périodes empires naissance de la Grèce, Edit Rencontre - Lausanne, 1968.
15. **CONTENAU (G)**, La civilisation phénicienne, Payot, paris ; 1949
16. **DAVID SOREN**, Carthage, édition Albin Michel, PARIS, 1994.
17. **DE LAPPORTE (LOUIS)**, Les Peuples de L'orient Méditerranée, P.U.F, Paris 1938.
18. **DECRET (F)**, Carthage ou l'Empire de la mer, Edition – Du Seuil, PARIS, 1971. Ou 1977.
19. **EDMOND JOUHAUD**, Histoire de l'Afrique du nord- Editions des deux coqs- d'or, 1969.
20. **FANTAR (M'HAMED HASSINE)**, Carthage la Prestigieuse cité d'Ellissa, maison Tunisienne de l'Edition, Tunis, 1970.
21. // , Les Phéniciens en Méditerranée ,ed. Alif.1997
22. **GABRIEL (J) Le Roux**, les Premier et Civilisation de la Méditerranée P.U.F, Paris 1961.
23. **GAUTIER (E.F)**, Le passe de l'Afrique du nord, Payot, PARIS, 1937.
24. **GRAS (M)**, L'univers Phénicien. Ed. ARTHNAUD, Paris 1989.

25. **GSEL (STEPHANE)**, Histoire ancienne de l'Afrique du nord – Tome I, Troisième édition – librairie HACHETTE, 1921.
26. **HARDEN (DONALD)**, The Phoenicians, Ed Thames and Hudson. London 1963.
27. **HERGON**. Rome et la Méditerranée Occidentale , P.U.F, Paris 1969.
28. **HERM (G)**, Les Phéniciens « l'Antique royaume de la Pourpre » , Fayard, 1976.
29. **HERMAN (Z)**, Peuples, Mers et Navires, Paris 1964.
30. **HOMO (LEON)**, Histoire d'orient. Fayard 1945.
31. **HOURS- MEDIA(MADLELEINE)**, Carthage- P.U.F, Paris 1964.
32. **JEAN DESHAYES**, Les civilisations de l'orient ancien, Arthaud, Paris, 1969.
33. **KRINGS (VERONIQUE)**, La Civilisation Phénicienne et Punique E.J. Britelan, Koelen 1995.
34. **LANCEL (SERGE)**, Carthage, Librairie Arthemme , FAYARD, 1992.
35. **LAPEYRE (G)** – Pellegrin, Carthage Punique (814 - 146 Av-J-C) Coll, Bibliothèque Historique, Edition – Payot, 1942.
36. **LE ROUX (J.G)** , le premières civilisations de la méditerranée P.U.F 1966.
37. **MAZEL(J)**, les Phéniciens, Edit- Laffont , Paris 1967.
38. **MOSCATI (SABATINO)** , Les Phéniciens, Edit .Belbord, Paris 1989.
39. **MOSCATI (SABATINO)**, L'Empire de Carthage- PARIS – Méditerranée, 1966.

40. **MOSCATI (SABATINO)**, l'Epopée des Phéniciens, PARIS, 1971.
41. **NAQUET (PIERRE VIDALE)**, Histoire de l'humanité, de la préhistoire à la fin du XX^{eme} siècle ,1 édition, hachette, Paris 1987.
42. **PARETI (LUIGI)**, L'histoire de L'humanité, Volume II , L'ANTIQUITÉ, L'UNESCO- Paris 1965.
43. **PICARD (G. CH)**, et B, WARMINGTON, Histoire et Civilisation de Carthage, Payot, PARIS, 1961.
44. **PRADO (J.J)**, l'invasion de la Méditerranée par les peuples de l'océan . XIII^{eme} siècle, A.J.C , Edition l'harmathan, Paris, 1992.
45. **QUARTEMERE (ENTIENNE)**, Mémoires sur Le Pays D'Ophir, Paris 1908.
46. **SARTRE (M).A.TRONEY**. La Méditerranée Antique, IV^{eme} Siècle A.J.C III^{eme} Siècle, A.P.J.C, IMP, Armand Collin, Paris 1990.
47. **SEIGNOBOS (CH)**, Histoire Ancienne Des Peuples de L'orient, Librairie Armand Collin, Paris 1912.
48. **TARIEL (M)**, Chronique des civilisation anciennes.T1 Les Edi t Panthéon, Paris 1997.
49. **TLATLI (SALAH-EDDINE)** , Carthage la Punique, Paris 1978.

: الدوري مات :

1. مجلة دراسات إنسانية، جامعة الجزائر - السنة الثانية، العدد 02 2002
2. مجلة الدراسات التاريخية: العدد الخامس جامعة الجزائر 1988.
3. الدروس العمومية، منشورات كلية الاداب، منوية تونس 1995.
4. مجلة الفكر، عدد 08، ماي 1970.

5. مجلة سيرتا، السنة الخامسة، العدد 9/8، جامعة قسنطينة، 1983.
6. مجلة دراسات تاريخية، العدد 82/81، جامعة دمشق، 2003.
7. إفريقية. مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية (REPPAL) المعهد الوطني للتراث، تونس، عدد 13 2004.

1. DEMARGNE (P), La Céramique Punique revue Africaine 33. 1951.
2. DUSSAUD (R), Revue historique des religions 1933,N° 11.
3. MOSCATI (S) , A.G.I.E.C.M.O, Alger 1976.

رابعا : الموسوعات والقواميس:

1. موسوعة المعرفة- المجلد الثالث، مؤسسة خليفة للطباعة، بيروت 1984.
2. وهيب ابن فاضل: موسوعة عالم التاريخ والحضارة، العالم من عصور ما قبل التاريخ - من القرون الوسطى، ج1، ط1، نوبليس، بيروت، 2003.
3. اندرية إيمار وجانين اوبواييه، تاريخ الحضارات العام، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، بيروت 1981.
4. محمد فؤاد إبراهيم ، المعرفة، مج3، الدار الشرقية للمطبوعات، بيروت، 1981.
5. ليونار كوتريل، الموسوعة الاثرية العالمية ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.
6. جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، 2001.
7. سيف الدين الكاتب اطلس التاريخ القديم، دار المشرق العربي، بيروت، 2005.

8. سلسلة تاريخنا ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع، الكتاب الأول، دار

التراث، جنيف، سويسرا، 1977.

9. الموسوعة العربية العالمية ط2 مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض،

السعودية، 1999.

10. ليونارد سيللي، موسوعة عالم المعرفة، الجزء الأول، دار نويس للنشر، بيروت، لبنان،

2002.

11. ياقوت عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

1. **SOMMEST- FREY**. Le Grand Livre de l'histoire du Monde, Edit, Deux Cup d'or, paris 1986.
2. **LE TOUZEY (F). VIGOUROUS**, Dictionnaire, de la Bible letouzey Etané éditeurs, Paris 1912.
3. **BRICOUT (J)** , Dictionnaire des connaissances Religieuses T.5 Paris 1927.
4. **PETIT LAROUSSE ILLUSTRÉ** , Librairie larousse, 1982.
5. **UNESCO**, Histoire de l'Humanité, Volume II, PARIS 1965.
6. **MICHEL MOURRE**, Dictionnaire Encyclopédique d'histoire, Bordas, 1978.
7. **ENCYCLOPEDIE ALPHA BETA**, Edit centre de culture moderne, Paris, 2000.

فهرس الأعلام

1- أسماء الأعلام:

| أ- شور ناصر بعل: 73 | ص- صيدون: 20 |
|--|------------------------|
| أفروديت: 104 | ع- : 134 135 |
| أوغسطين: 16 | عشرت: 99 107 |
| إيتو بعل: 99 | عاشر باص: 134 |
| ب- باروس: 62 | ف- فلاس: 110 |
| بلين: 11 28 29 36 55 100 124 126 130. | فلت: 99 |
| بيغماليون 134 135 | ق- قداموس: 110 |
| ت- تانيث: 116 | ك- كنعان: 13 16 20 |
| تيماووس 136 | م- ماتان: 134 |
| ج- جواد بلوس: 13 | ماغون: 24 |
| جونو: 135 | ملقرت: 100 118 130 134 |
| جيار ستيد: 107 | مورتكات: 67 |
| ح- حام: 20 | موسكات: 15 118 |
| حسان حلاق: 19 | ن- ناصر بعل: 73 |
| حنون: 63 | نخاو: 63 |
| حزقيال: 34 50 78 83 85 | لوح: 20 |
| حيرام: 60 61 78 85 97 109 118 125. | |

فهرس والأعلام

| - د - | - - |
|--|-------------------------------------|
| داوود: 85 | هوميروس: 14 47 51 63 86 87 124 |
| ديسو: 17 | هميلكون: 63 65 |
| ديودوروس: 101 114 124 | هيرقل: 100 |
| - ز - | هيردوت: 17 18 32 63 75 86 87 104 |
| روميليس: 132 | - ي - |
| ريموس: 132 | يوستينوس: 18 99 134 |
| - س - | |
| الساميه: 10 46 59 | |
| سالوست: 72 73 | |
| سترايون: 18 28 38 66 77 100 124 126 | |
| سرجون الثاني: 44 78 | |
| سليمان: 32 60 62 78 85 91 125 128 | |

فهرس الأماكن والمدن والبلدان

فهرس الأماكن والمدن والبلدان

1-الأماكن

| أ-أ | ز-ز |
|--|--|
| أثرووريا: 31 | الرافدين: 78 70 |
| الأناضول: 54 57 77 78 83 104 | س-س |
| أبولو: 126 | السويس: 17 |
| إفريقيا: 7 24 34 47 57 61 62 73 83 | ط-ط |
| 86 89 95 120 135 | طوغرامات: 85 |
| أرواد: 19 | ف-ف |
| أودونيس: 4 | فارس: 44 |
| اورنتي: 5 | الفرات: 78 |
| أوروبا: 7 36 47 57 78 104 | الفرس: 7 |
| آسيا: 7 28 31 47 71 79 | ك-ك |
| أشور: 21 44 135 | كاسيوس: 2 10 |
| إيبيريا: 32 72 85 97 102 103 113 121 124 | الكاستريد: 65 81 |
| إيجه: 47 86 89 93 | الكرمل: 2 10 125 |
| إيلات: 17 61 | كورنوال: 81 125 |
| البحر الأحمر: 19 63 | - - |
| البحر الأسود: 60 | الليطاني: 5 |
| البحر الأدرياتيكي: 60 | ليكوس: 5 |
| البحر الأيوني: 57 | ليوننتاس: 5 |
| ب-ب | م-م |
| : 79 93 | البحر المتوسط، 5 9 18 20 22 26 27 28 32 47 50 53 55 57 60 77 79 83 89 90 91 97 98 101 102 104 105 113 116 120 121 130 |
| البحر الإيبريتيري: 17 18 | المحيط الأطلسي: 8 29 57 60 93 95 125 130 |
| البقاع: 5 | المحيط الهندي: 79 |
| البوسفور: 89 | ن-ن |
| ت-ت | النصيرية: 4 |
| ترشيش: 51 61 62 81 83 91 114 125 | الذ: 104 |
| تارتوسوس: 61 62 | - - |
| ح-ح | الهرمن: 5 |
| حاران: 85 | و-و |
| حضر موت: 79 | وادي الكبير: 61 125 |
| د-د | |
| الدرنيل: 89 | |

2- المدن:

| -أ- | -ص- |
|--|--|
| أبديرا: 113 55 | صور: 54 50 41 29 28 19 14 11 60 63 69 70 73 75 78 91 96 97 136 134 132 105 103 102 99 97 |
| أبيزا: 93 | صيدا: 96 79 78 75 73 54 69 20 |
| أرشقون: 93 | -ط- |
| أرواد: 19 50 69 | طروادة: 126 124 63 |
| أغر جنتي: 120 | -ع- |
| استراجيا: 125 | 36 : |
| الاسكندرية: 57 | -غ- |
| أوتيكا: 113 120 101 100 99 93 55 132 130 128 126 | غولغوي: 108 |
| أوديسا: 16 | -ق- |
| أوغاريت: 75 19 17 | قادس: 100 98 93 66 63 57 55 130 128 126 124 121 113 101 111 135 132 |
| أوفير: 61 60 | قرط حدشت: 135 132 |
| إيداليون: 107 | قرطاجة: 111 96 93 63 32 11 135 134 132 128 126 113 120 136 |
| إيريكس: 120 | قرطجينة: 124 |
| -ب- | قربنة: 104 99 |
| البصرة: 19 | -ك- |
| باريا: 113 55 | كاميروس: 110 |
| بانوراموس: 118 112 93 | كاراليس: 121 55 |
| بريقا: 121 | كيتز: 104 55 |
| بومباي: 61 | كيتيون: 107 |
| ': 121 93 55 | كيكيون: 104 |
| بيروت: 69 | - - |
| -ت- | لابثيتوس: 107 |
| تاروس: 121 95 | ليكسوس: 130 101 100 98 66 55 132 |
| تاسوس: 32 | -م- |
| تماسوس: 107 | 55 : |
| 113 : | مجدو: 34 |
| توسكانونس: 93 83 | المدينة: 79 |
| -ج- | 79 : |
| جاليكوس: 104 | مديرا: 63 |
| ': 128 78 75 73 70 69 54 19 5 | منف: 96 |
| -ح- | موتيه: 118 113 93 83 |
| حدرومات: 113 | مورودوميزيكتيا: 93 |
| -ر- | موقادور: 93 |
| الرافدين: 78 70 | |

فهرس الأماكن والمدن والبلدان

| | |
|------------------|-----------------|
| رودس: 99 103 110 | -ن- |
| روما: 57 | ناراكانا: 107 |
| -س- | نورة: 55 93 108 |
| سراقوس: 120 | |
| سولويس: 113 118 | |
| سوفار: 61 | |
| سولوفيس: 55 93 | |
| سيمبابوي: 62 | |

3- البلدان:

| -أ- | -ف- |
|----------------------------------|-------------------------------|
| الأردن: 79 20 | فلسطين: 2 5 17 18 20 76 85 |
| أرمينيا: 85 76 | 2 : 4 5 7 8 13 15 19 |
| | 20 22 24 38 44 48 60 72 |
| | 73 75 83 99 101 105 |
| -ب- | -ق- |
| إسبانيا: 34 57 61 62 66 83 85 89 | |
| 91 95 100 124 130 | |
| | قبرص: 47 57 66 77 83 85 93 |
| | 98 103 105 107 108 135 |
| -ج- | -ك- |
| البرازيل: 63 | |
| باليار: 57 | كريت: 57 54 90 93 98 103 |
| -د- | الكناري: 63 |
| تراقيا: 32 | : 55 89 |
| -ه- | كيتير: 55 |
| الحبشة: 76 | - - |
| -و- | لبنان: 4 5 |
| رودس: 83 | : 55 |
| -ز- | : 62 |
| -ح- | -م- |
| سردينيا: 32 55 57 78 83 89 95 | مالطا: 55 57 89 93 98 114 116 |
| 102 113 120 | ماديرا: 63 |
| السودان: 76 | مصر: 7 17 18 32 34 54 57 |
| سورية: 5 17 73 83 85 89 | 61 66 76 77 |
| -ط- | -ن- |
| : 57 66 83 89 91 93 95 102 | نياسلاند: 62 |
| -ي- | - - |
| العراق: 77 | الهند: 34 61 103 |
| م: 31 | -ي- |
| -ق- | اليونان: 7 25 29 31 |
| : 63 | |

فهرس الأشكال

والخرائط

والنصوص

أولا : فهرس الأشكال

| الصفحة | رقم الشكل و عنوانه |
|--------|--|
| 12 | شكل رقم 01 : قطع نقدية لمدينة صور تعود إلى القرن السادس |
| 30 | شكل رقم 02 : تمثيل خطي لمختلف أنواع المريق (MUREX) |
| 33 | شكل رقم 03 : صورة تمثل تجار فينيقيين يقدمون الهدايا، منقوشة على قبر سبخوتب (Sebekhoteb) في طيبة |
| 35 | شكل رقم 04 : مشط فينيقي من العاج وجد في إسبانيا |
| 37 | شكل رقم 05 : نماذج من مصنوعات زجاجية فينيقية |
| 39 | شكل رقم 06 : أواني فخارية فينيقية من مختلف المستوطنات الفينيقية |
| 40 | شكل رقم 07 : منتوجات فخارية |
| 43 | شكل رقم 08 : سفينة شراعية تجارية فينيقية |
| 45 | شكل رقم 09 : سفن فينيقية تحمل خشب في القرن الثامن ق.م، منقوشة على جدران قصر خرسباد في العراق |
| 52 | شكل رقم 10 : نموذج من السفن التجارية الفينيقية |
| 74 | شكل رقم 11 : منحوتة تمثل رجال البحر الفينقيين يحملون الجزية إلى الملك الاشوري (شالمنصر الثالث) (824-858) ق.م |
| 80 | شكل رقم 12 : تجار من فينيقيا |
| 92 | شكل رقم 13 : نقيشة فينيقية على صفحة قبرصية تعود إلى القرن الثامن ق.م |
| 108 | شكل رقم 14 : اثار معبد الإلهة عشترت في كيتيون قبرص |
| 119 | شكل رقم 15 : تمثال الإله ملقرت الذي عثر عليه في سياكا صقلية |

: فهرس الخرائط

| الصفحة | رقم الخريطة وعنوانها |
|--------|---|
| 03 | شكل رقم 01: خريطة فينقيا |
| 06 | شكل رقم 02 : خريطة أنهار فينقيا |
| 56 | شكل رقم 03: خريطة الطريق الجنوبي الذي كان يسلكه التجار الفينيقيين |
| 58 | شكل رقم 04: خريطة الطريق الشمالي الذي كان يسلكه التجار الفينيقيين |
| 59 | الشكل رقم 05: خريطة الطرق التجارية الفينيقية في حوض البحر المتوسط |
| 64 | الشكل رقم 06: خريطة أهم الطرق التجارية الفينيقية في العالم القديم |
| 76 | الشكل رقم 07: خريطة تمثل نطاق التجارة الفينيقية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط من 1200 ق.م وبعدها. |
| 82 | الشكل رقم 08: خريطة المناطق التجارية التي كان يتعامل مع الفينيقيون حسب وصف النبي حزقيال |
| 84 | الشكل رقم 09: خريطة المناجم والمعادن في حوض البحر المتوسط في عهد الفينيقيين |
| 94 | الشكل رقم 10: الفضاء التجاري الفينيقي والإغريقي في البحر الأبيض المتوسط |
| 105 | الشكل رقم 11: خريطة تحدد المستوطنات الفينيقية في قبرص |
| 115 | الشكل رقم 12: خريطة تمثل المستوطنات الفينيقية في مالطة -مستوطنة مالطة- |
| 117 | الشكل رقم 13: خريطة تحدد المستوطنات الفينيقية في صقلية |
| 122 | الشكل رقم 14: خريطة المستوطنات الفينيقية في سردينيا (SARDAIGNE) |
| 123 | الشكل رقم 15: خريطة لأهم المستوطنات الفينيقية في شبه جزيرة إيبيريا |
| 127 | الشكل رقم 16: خريطة تحدد مستوطنة اوتيكا (UTIQUE) |
| 129 | الشكل رقم 17: خريطة تمثل المراكز التجارية والمستوطنات الفينيقية في الحوض البحر المتوسط |
| 131 | الشكل رقم 18: مستوطنة ليكسوس (LIXUS) |
| 133 | الشكل رقم 19: خريطة مستوطنة قرطاجنة |

: فهرس النصوص

| الصفحة | رقم النص وعنوانه |
|--------|--|
| 139 | نص رقم 01 : وصف التجارة الفينيقية كما ورد في التوراة |
| 143 | نص رقم 02 : الإشارة إلى أصل الكنعانيين كما ورد في سفر التكوين بالتوراة |
| 144 | نص رقم 03 : وصف الصناعة الفينيقية كما ورد في التوراة |

فهرس

الموضوعات

| الصفحة | العنوان | | الفصل |
|--------|---|---------------|------------------------------|
| 1 | البيئة الفينيقية | | المدخل |
| 2 | التعريف بفينيقيا | المبحث الأول | |
| 9 | لمحة تاريخية عن تسمية وأصل الفينيقيين | المبحث الثاني | |
| 21 | النشاط الاقتصادي الفينيقي | | الفصل الأول |
| 22 | الزراعة وطرق الإنتاج ومحاصيلها | المبحث الأول | |
| 26 | الصناعة وأنواعها | المبحث الثاني | |
| 47 | الملاحة التجارية ووسائلها | المبحث الثالث | |
| 68 | النجارة الفينيقية | | الفصل الثاني |
| 69 | دوافع خروج الفينيقيين إلى حوض البحر المتوسط | المبحث الأول | |
| 75 | المبادلات التجارية الفينيقية | المبحث الثاني | |
| 88 | دور التجارة في تأسيس الحواضر الفينيقية في حوض البحر المتوسط | | الفصل الثالث |
| 89 | المحطات والمراكز الفينيقية وطبيعتها | المبحث الأول | |
| 98 | مراحل التوسع الفينيقي | المبحث الثاني | |
| 103 | المستوطنات الفينيقية في الحوض الشرقي من البحر المتوسط | المبحث الثالث | |
| 111 | المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي من البحر المتوسط | المبحث الرابع | |
| 137 | | | الخاتمة |
| 141 | | | الملاحق |
| 149 | | | ببليوغرافية البحث |
| 161 | | | فهرس الاعلام |
| 163 | | | فهرس الاماكن والمدن والبلدان |
| 167 | | | فهرس الاشكال والخرائط |
| 170 | | | فهرس النصوص |
| 173 | | | فهرس الموضوعات |